الشوقيات

شعر المرحوم

احمد شوقى

الجزء الثالث

فى

المراثى

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى

طبع على مطابع
دار الكتاب العربي في بيروت

سليمان باشا أباظه (*)

مَن ظنَّ بعدَكَ أن يقولَ رِثاء ... فلْيَرْثِ مِن هذا الورى مَن شاء
فَجع المكارمَ فاجعٌ فى رَبِّها ... والمجدَ فى بانيهِ ، والعلياء
ونعَى النعاةُ إلى المروءة كنزَها ... وإلى الفضائل نجمَها الوضَّاء
أأبا محمدٍ ، اتَّئِدْ فى ذا النَّوى ... وارفُقْ بآلك ، وارحمِ الأبناء
واستبق عِزَّهمُ (بطهراء) التى ... كانوا النجومَ بها وكنتَ سماء(١)
أدجى بها ليلُ الخطوبِ ، وطالما ... مُلِئتْ منازلُها سَنًى وسَناء(٢)
وإذا سليمان استقلّ محلَّةً ... كانت بساطاً للندى ورجاء(٣)
فانظر من الأعواد حولك هل ترى ... من بعدِ طبِّك للعُفاة دواء(٤)
سارت جنازةُ كلِّ فضلٍ فى الورى ... لما ركبتَ الآلة الحَدْباء(٥)

(*) سليمان باشا اباظه : احد سراة مصر الكبار ، وكان فى حياته كبير الأسرة الاباظية الشهيرة ، وقد اسندت اليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفى سنة ١٩٠١ ـ١ـ طهراء : علم على بلد الفقيد ، وهى من أعمال اقليم الشرقية بمصر ـ ٢ ـ تدجى الليل وادجى : كلاهما بمعنى اظلم ، والسنى ـ بالقصر ـ : الضوء ، والسناء ـ بالمد ـ الرفعة . ـ٣ـ المحلة : فى الاصل هى الناحية التى ينزل بها القوم ، ولاتقل عن هائة بيت ، والمراد هنا بقوله : « استقل محلة » اى انه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها . ـ ٤ ـ الاعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ،وعلى السرير للحى أو الميت . كان رجل من العرب يلقب « ذا الاعواد » لانه كان يحمل دائما فى سرير ، والشعراء العظماء يستعملون الاعواد للموتى ، وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : ارايت من حملوا على الاعواد .. الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل او رزق ـ٥ـ الجنازة بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بالكسر : هى الميت ، وبالفتح هى النعش ، وقيل بالعكس ، وارجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو اطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحدب كما هو معروف .

وتيتَّمَ الأيتامُ أوَّلَ مرَّةٍ ورمى الزمانُ بِصَرفه الفقراءَ(١)
ولقد عَهِدتُكَ لا تُضيِّع راجياً واليومَ ضاع الكلُّ فيك رجاءَ
وعلمْتُ أنك مَنْ يَوَدُّ ومَنْ يَفِى فقف الغداةَ لو استطعتَ وفاءَ
وذكرتُ سعيَكَ لى مريضاً فانياً فجعلتُ سَعْيِيَ بالرثاءِ جزاءَ
والمرءُ يُذْكَر بالجمائل بعدَه فارفع لذِكْرِكَ بالجميل بِناءَ(٢)
واعلمْ بأنك سوف تُذْكَر مَرةً فيقالُ : أحسنَ ، أو يقالُ : أساءَ
أبَنِيه ، كونوا للعِدَى مِن بَعده كيداً ، وكونوا للْوَلِيِّ عَزَاءَ
وتجلَّدُوا لِلخطْب مثلَ ثَباته أيامَ كان يُدافع الأَرْزاءَ
والله ما مات الوزيرُ وكنتمُ فوقَ الترابِ أعزَّةً أحياءَ

---

١ ــ صرف الزمان : نوائبه وحدثانه .

٢ ــ جمائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة ، او بمأثرته الجميلة ، فحذف الموصوف ، ثم جمع الصفة واستعملها . اقول : وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت .

مصطفى باشا فهمى(*)

يا أيها الناعى أبا الوُزراء هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريدَ مشارقاً ومغارباً واركبْ جناحَ البَرْقِ فى الأرجاء(١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دَماً فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تَنْعَ للأحياء غيرَ ذخيرةٍ ولّتْ ، وغيرَ بَقِيَّةِ الكُبَراء
رُزْءُ البريَّةِ فى الوزير زيادةٌ غيما أَلَمّ بها منَ الأرزاء
ذهبَتْ على أثرِ المشيَّع دولةٌ برجالها وكرائم الأشياء
نَدمانُ (إسماعيلَ) فى آثاره ذهبوا ، وتلك صُبابةُ الندماء(٢)
وُلِدوا على راحِ العُلا ، وترعرعوا فى نعمة الأملاك والأُمراء
أوْدَى الرَّدى بمُهَذَّبٍ لا تنتهى إلا إليه شمائلُ الرؤساء
صافى الأديمِ ، أغرَّ ، أبْلَجَ لم يَزِدْ فى الشَّيْب غيرَ جلالةٍ ورُواء(٣)
مُتجنِّبِ الخُيلاء إلا عزةً فى العزّ حُسنٌ ليس فى الخيلاء

(*) مصطفى باشا فهمى : كان الهاما موفقا لامير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء ، فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان ياورا للخديو اسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، فرئيسا للوزراء ، ثم استقال ، ثم عاد للرئاسة ولم يتركها الا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤ م .

١ــ البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون اذناب واعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله : « حث البريد » « واركب جناح البرق » : هو الامر للناعى باذاعة النعى فى الدنيا بأسرع وسائل الاذاعة ، والغرض من ذلك هو اظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شان .

٢ــ الندمان ــ بفتح النون الاولى ــ : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس ، او المجالس على الشراب . واسماعيل : هو سمو الخديو اسماعيل .

٣ ــ الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

عَفُّ السرائرِ والمَلاحَظِ والخُطا نَزِهِ الخلائقِ طاهرِ الأَهواء(١)
مُتدرِّعٍ صَبْرَ الكرامِ على الأذى إن الكرامَ مشاغلُ السفهاء
نقموا عليه رأيَهُ وصَنِيعَه والحكمُ للتاريخ فى الآراء
والرأىُ إن أخلَصْتَ فيه سريرةً مثلُ العقيدةِ فوقَ كلِّ مِراء(٢)
وإذا الرجالُ على الأُمور تعاقبوا كشفَ الزمانُ مواقفَ النُّظراء
يا أيُّها الشيخُ الكريمُ ، تحيةً أنْدَى لقبرِكَ من زُلالِ الماء
هذا المصيرُ ، أكان طولَ سلامةٍ أمْ لم يكن إلا قليلَ بَقاء ؟
ماذا انتِفاعُك بالليالى بعد ما مرَّتْ بك السبعونَ مَرَّ عِشاء ؟(٣)
أو بالحياةِ ، وقد مشى فى صفْوها عادىالسنين ،وعاثَعادىالداء؟
من لم يُطبِّبْه الشبابُ فداؤه حتى يغيِّبَه بغير دَواء
قسماتُ وجهِك فى الترابِ ذخائرٌ من عِفَّةٍ ، وتكرُّمٍ ، وحياء(٤)
ولكم أغارَ على مُحَيًّا ماجدٍ وطوى محاسنَ مَسمحٍ مِعطاء(٥)
كم مَوقفٍ صعبٍ على من قامه ذلَّلْتَه ، ونهضتَ بالأعباء
كِبْرُ الغضنفرِ يومَ ذلك زاده من نَخْوةٍ وحَمِيَّةٍ وإباء(٦)

١ــ الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : انه عفيف القلب ، وعفيف الأعين ، فلا يقع لحظه على الريب ــ٢ــ المراء : الجدل ــ٣ــ يقصد سبعين عاما ، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحاء فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم (ان تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرته ــ٤ــ القسمات : ملامح وتقاسيم الوجه ــ٥ــ مسمح ــ بفتح الميم ــ : واسع السماحة . وفى القاموس المحيط : « يقال ان فيه لمسمحا كمسكن . اى متسعا » . والمعطاء : كثير العطا ــ٦ــ الغضنفر : اسم من اسما الأسد .

مَن يَكذبِ التاريخَ يَكْذِبْ رَبَّه ويُسىء للأَمواتِ والأَحياء
السلم لو لم تُودِ أَمْسِ بجُرحِها أَوْدَتْ بهذى الطعنةِ النَّجلاء(١)
لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعةً لبَكَتْ عليك بمَدْمَع الخنساء(٢)
أنفضْ غبارَكَ عنك، وانظر، هل ترى إلاَّ غبارَ كتيبةٍ ولِواء ؟
ياويحَ وجهِ الأَرض: أصبح مَأْتَماً بعدَ الفوارس من بنى حَوَّاء
مِن ذائدٍ عن حَوْضه، أو زائدٍ فى مُلْكِه من صَولةٍ وثَرَاء
أو مانعٍ جارًا يُناضلُ دونَه أو حافظٍ لِعهودِه مِيفاء(٣)
يتقاذفون بذاتِ هولٍ، لم تَهَبْ حَرَمَ المسيحِ ولا حِمى العذراء(٤)
من مُحدَثاتِ العِلْمِ، إلا أنها إثمٌ عواقبها على العلماء

* * *

لهفى على رُكنِ الشيوخ مُهدَّما والحاملاتِ الثُّكْلَ واليُتَماء(٥)
وعلى الشبابِ بكلِّ أَرضٍ مَصْرَعٌ لهمُ، وهُلْكٌ تحتَ كلِّ سماء
خرجوا إلى الأَوطان من أَرواحِهم كرمٌ يليق بهم ومَحْضُ سخاء(٦)

١ــ يشير الى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية، كانه يقول: ان اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن الا لان المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس، فهو والسلم توأمان ــ٢ــ يقول فى هذا البيت: ان السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء، وهى شاعرة عاشت فى صدر الاسلام اشتهرت بمراثيها فى اخيها صخر، وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله ــ٣ــ ميفاء: كثير الوفاء ــ٤ــ بذات هول: اى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول، وهذا من باب اقامة الصفة مقام الموصوف ــ٥ــ الثكل: فقد الابناء. واليتماء: من اليتم، وهو فى الناس فقد الاب، ويكون فى غير الناس فقد الام ــ٦ــ المحض: الخالص من كل شىء.

من كلِّ بانٍ بالمنِيَّةِ فى الصِّبا لم يتَّخِذ عِرْساً سِوى الهَيْجاء(١)
المُرضِعاتُ سَكبْن فى وِجْدانِه حُبَّ الدِّيار وبِغضةَ الأعداء
وقرَرْنَ فى أُذُنيهِ يومَ فِطامِه أن الدماء مُهورةُ العَلْياء

• • •

أأبَا البناتِ ، رُزِقْتَهُنَّ كرائِماً ورُزِقْت فى أصهارِك الكُرَماء
لا تذهَبنّ على الذكورِ بحسرةٍ الذِّكْرُ نعمَ سُلالةُ العظماء
وأرى بُناةَ المجدِ يَثْلِمُ مجدَهم ما خلَّفوا من طالحٍ وغُثاء(٢)
إن البناتِ ذخائرٌ من رَحمةٍ وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووَفاء
والساهراتُ لِعلَّةٍ أو كَبْرَةٍ والصابراتُ لشدَّةٍ وبَلاء
والباكياتُكَ حينَ ينقطعُ البكا والزائِراتُكَ فى العَرَاء النائى(٣)
والذاكِراتُكَ ما حَيِينَ تحدُّثاً بسَوالفِ الحُرماتِ والآلاء
بالأمس عزَّاهنّ فيكَ عقائلٌ واليومَ جامَلَهُنّ فيك رِثائى
أبيكَ ما الدنيا سِوى معروفِها والبِرُّ ، كلُّ صَنيعةٍ بجزاء
أجَزِعْنَ أن يجرى عليهنّ الذى مِن قبلهنّ جرى على «الزهراء»؟(٤)
عذراً لهن إذا ذَهبْنَ مع الأسى وطلبن عندَ الدمعِ بَعضَ عَزاء
ما كلُّ ذِى ولَدٍ يُسمَّى والداً كم من أبٍ كالصخرةِ الصمَّاء
هبْهُنّ فى عقل الرجال وحلمِهم أقلوبُهن سوى قلوب نِساء ؟

---

١ ــ يقال: بنى على فلانة ، اذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين: الزوجة ، يصف هذا الشباب السخى بروحه للاوطان بانه يألف الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .
٢ ــ الغثاء ، بضم الغين : الفاسد ــ ٣ ــ العراء النائى : الخلاء البعيد . ويعنى به هنا القبور ــ٤ــ الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذى جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق .

أبو هيف بك(*)

اجعَلْ رِثاءَكَ للرجالِ جَزاء وابعثْهُ للوطنِ الحزين عَزاء
إن الديارَ تُريقُ ماء شُئونِها كالأُمهاتِ وتندُبُ الأَبناء(١)
ثُكْلُ الرجالِ من البنينَ ، وإنما ثكلُ المَمالكِ فَقْدُها العلماء
يَجْزَعْنَ للعَلَم الكبيرِ إذا هَوَى جَزَعَ الكتائبِ قد فَقَدْنَ لِوَاء(٢)
عَلَمُ الشريعةِ أدركتْهُ شريعةٌ للموتِ يَنظِمُ حكْمُها الأَحياء(٣)
عانى قضاءَ الأَرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ واليومَ عالجَ للسماءِ قَضاء
ومضى وفيه من الشبابِ بقيّةٌ للنفْعِ أرجَى ما تكونُ بقاء
إنَّ الشبابَ يُحَبُّ جَمًّا حافِلاً وتُحَبُّ أيامُ الشبابِ مِلاء(٤)
بالأَمسِ كانت لابن هَيْفٍ غَضبةٌ للحقّ نَذكرُها يداً بَيضاء(٥)
مَشَتِ البلادُ إلى رسالةِ (ملنَرٍ) وتحفَّزَتْ أرضاً لها وسماء(٦)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك ابو هيف ، شغل منصب الاستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفا قانونيا لامعا ، فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦ ـ١ـ ماء الشئون : الدموع ـ٢ـ الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة او الفرقة من الجيش لها لواء ، اى رئيس تلتف وحدتها حوله ـ٣ـ الشريعة : القانون ٤ـ الملاء : الاغنياء المتمولون ، الواحد منهم مليء ومن معانى الملاء ايضا : الحسنو القضاء . يقول : ان الشباب يحب كثيرا على اى حال ، ولكن ايام الشباب يحببن اكثر وهن فى غنى ، من المال الكثير ، ومن تولى المناصب ، كالحال فى شباب الفقيد ـ٥ـ يريد غضبته على مشروع ملنر ، وموقفه فى طليعة معارضيه ـ٦ـ اللورد ملنر : هو احد وزراء انجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد اليها وتحفزت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع اربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع ، لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثا قانونية فى تفنيد المشروع ، كانت من اهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

فلمحْتُ أعرجَ فى زَوايا الحقِّ لم أعلمْ عليه ذِمَّةً عَرْجاءَ(١)
ارتَدَّت العاهاتُ عن أخلاقِه لسُمُوِّهِنَّ وحَلَّتِ الأعضاء
عَطفَتْهُ عَطْفَ القوسِ يومَ رِمايةٍ وثَنَتْهُ كالماضى ، فزادَ مَضاءَ(٢)
لما رأى (التقريرَ) ينفُثُ سُمَّهُ سَبقَ الحُواةَ فأخرجَ الرُّقْطاءَ(٣)
هَتَكَ الحمايةَ والرجال وراءها يتلمَّسون لها السُّتورَ رياءَ
ما قبَّحوا بالصبح من أشباحها راحوا إليك فحسَّنوه مَساءَ
ياقيِّمَ الدارِ التى قد أخْرجَتْ للمُدْلِجين مَنارةً زَهراءَ(٤)
وترى لديْها الواردِين ، فلا ترى إلا ظِماءً ينزلون رواءَ(٥)
وتُجالِسُ العلماءَ فى حُجُراتِها وتُسامِرُ الحكماءَ والشعراءَ
تَكفيكَ شَيطانَ الفراغِ ، وتَعتنى بالجاهلين تردُّهم عُقَلاءَ
دارُ الذخائر كُنْتَ أكملَ كُتْبِها مجموعةً ، وأتمَّها أجزاء
لما خلَتْ من كنز علمِكَ أصبحَتْ من كلِّ أعلاقِ الكنوزِ خَلاءَ(٦)
هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى فوجدْتَ فِىَّ وفى الشباب وَفاءَ

١ــ كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية .
٢ــ فى هذا البيت وصف لهيئة الاعرج ، بلغ من جماله انه قد يحبب المشية العرجاء للناس ، فتأمل . والماضى : السيف ــ٣ــ قوله : « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن ان يكون هناك ابلغ فى الاعجاز وادق فى الايجاز من هذا الكلام ، فقوله : « سبق الحواة » صورة كاملة ، تريك كيف وثب الفقيد فوقف امام المشروع ، كما يثب الحاوى ، فيقف امام جحر الحية . وقوله : «فأخرج الرقطاء» أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على السم الكامن فيه ، بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .
٤ــ الدار : هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .
٥ــ الرواء : الماء الكثير ــ٦ــ أعلاق الكنوز : نفائسها .

(عبدَ الحميدِ) ، ألا أُسِرُّك حادثاً يَكسو عِظامَك في البِلَى السَّراء ؟(١)
قُمْ من صفوف الحيِّ تَلقَ كتيبةً ملمومةً ، وتَرَ الصفوفَ سَواء
وتَرَ الكِنانةَ شِيبَهَا وشبابَها دونَ (القضيَّةِ) عُرْضَةً وفِداء
جَمَعَ السلامُ الصُّحْفَ مِن غاراتها وتألَّفَ الأحزابَ والزُّعَماء
في كلّ وِجْدانٍ وكلِّ سَريرةٍ خلَفَ الودادُ الحقْدَ والبَغْضاء
وغَدا إلى دين العشيرةِ ينتهي مَنْ خالَفَ الأعمامَ والآباء
لا يحجبون على تجنِّيهم ، ولا يجدون إلا الصفْحَ والإغْضاء
والأهلُ لا أهلاً بحَبْلِ وَلائهم حتى تراهم بَيْنَهم رُحماء
كذب المُرِيبُ يقول : بعدَ غدٍ لنا خُلْفٌ يُعِيدُ ويُبْدِئُ الشَّحْناء
قلبي يُحدِّثُني وليس بخائني إن العقولَ ستقهرُ الأهواء

* * *

يا (سعدُ) ، قد جَرَت الأمورُ لغايةٍ اللهُ هيَّأها لنا ما شاء(٢)
سُبْحانَهُ جمعَ القلوبَ من الهوى شَتَّى ، وقوَّى حولَهُ الضُّعَفاء
الفُلْك بعد العُسْرِ يُسِّر أمرُها واستَقبلتْ ريحَ الأمورِ رُخاء
وتأهَّبَتْ بك تستعدُّ لزاخرٍ تَطأ العواصفَ فيه والأنواء
رجَعَتْ براكبها إلى رُبّانها تُلقى الرجاء عليه والأعباء
فاشْدُدْ بأرباب النُّهَى سُكّانَها واجعل مِلاكَ شِراعِها الأكفاء(٣)
من ذا الذي يختارُ أهلَ الفضلِ أو يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُك ساء ؟
أخرجْ لأبناء الحضارة مَجْلِساً يُبقِي على اسمك في العصور ثَناء

١ــ الحادث : هو حادث ائتلاف الاحزاب المصرية في وقت نظم هذه القصيدة التي تعد من مفاخر المراثي في الشعر العربي ــ٢ــ سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان في عهد ذلك الائتلاف.
٣ــ السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشيء : قوامه الذي يملك به .

مولانا محمد علي(*)

بَيْتٌ على أرضِ الهدى وسمائِه الحقُّ حائطُه وأُسّ بِنائه
الفتحُ من أعلامه ، والطُّهرُ من أوصافه ، والقُدْسُ من أسمائه
تَحْنو مَناكِبُه على شعب الهدى وتُظِلُّ سُدَّتُه على سينائه(١)
مَنْ ذا يُنازعُنا مَقالِدَ بابِه وجلالَ سُدَّتِه ، وطُهْرَ فِنائه ؟
ومحمدٌ صلَّى على جَنَباته واستقبل السّمحاتِ فى أرجائه ؟
واليومَ ضَمَّ الناسَ مَأْتَمُ أرضِه وحَوَى الملائكَ مِهْرَجانُ سَمائه
يا (قدسُ) ،هَيِّئْ من رياضك رَبْوَةً لنَزِيل تُرْبكَ ، واحتفل بلقائه(٢)
هو من سُيوفِ اللهِ جَلَّ جلالُه أو من سيوف الهندِ عندَ قضائه
فَتَحَ النبيُّ له مناخَ بُراقه ومَعارجَ التشريفِ من إسرائه
بَطَلٌ حقوقُ الشرقِ مِن أحماله وقضيّةُ الإسلامِ مِن أعبائه
لم تُنْسِهِ الهندُ العزيزةُ رِقَّةَ للشرق ، أو سهراً على أشيائه
وقبَاؤه نَسْجُ الهنودِ ، فهل تُرى دفنوا الزعيمَ مُكَفَّناً بقَبائه ؟(٣)
(النيلُ) يذكر فى الحوادث صَوْتَهُ والتُّرْكُ لا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلائه

• • •

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفى سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهدا فى خدمة الاسلام فى شتى اقطاره ، وقد اقيمت له فى القاهرة حفلة تابين كبيرة القيت فيها هذه القصيدة .

١ــ السدة : باب الدار ــ٢ــ ياقدس : لانه دفن فى القدس ــ٣ــ القباء بفتح القاف ــ : نوع من الثياب .

قل للزعيم محمدٍ : نزل الأسى (بالنيل) واستولى على بَطحائه(١)
فمشى إليكَ بجَفنه وبدمعه وإلى أخيك بقلبه وعَزائه(٢)
اجْتَزْتَهُ فحَواك فى أطرافه ولو انتظرْتَ حَواك فى أحشائه
ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه مَرَّ الغَمامِ بظلِّه وبمائه
نَمْ فى جِوار اللهِ ما بِكَ غُرْبَةٌ فى ظِلِّ بيتٍ أنتَ مِن أبنائه
الفتحُ – وهو قضيةٌ قُدْسِيَّةٌ – يا طالما ناضلتَ دونَ لِوائه
أفتى بدَفْنِكَ عندَ سيِّدةِ القُرى مُفْتٍ أراد الله من إفتائِه(٣)
بلدٌ بَنُوه الأكرمونَ قصورُهم وقبورُهم وقفٌ على نُزَلائِه(٤)
قد عِشْتَ تنصره وتَمنح أهله عَوْناً، فكيف تكون من غُرَبائه؟

١ــ محمد : هو المرثى ــ٢ــ يريد بأخيه : مولانا شوكت على ، وقد آلت اليه زعامة المسلمين فى الهند بعد أخيه ــ٣ــ سيدة القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولابد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الاسلام هناك ، ولا يصرح بذلك الا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب .
٤ــ يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا ، وكثيرا ما هتف امير الشعراء باهل هذه البلاد اعجابا باخلاقهم .

سيد درويش(*)

كلَّ يومٍ مِهْرَجانٌ كَلَّلوا فيه مَيْتاً برياحين الثناء(١)
لم يعلِّم قومَه جرفاً ، ولم يُضِىءِ الأَرضَ بنور الكَهْرُباء
جُومِل الأَحياءُ فيه وقَضَى شَهَوات أَهلُه والأَصدقاء
ما أَضلَّ الناسَ ؟ حتى الموتُ لم يَخْلُ من زُورٍ لهم ، أو من رِياء(٢)

• • •

إنما يُبْكَى شُعاعٌ نابغٌ كلَّما مرّ به الدهرُ أضاء
ملأَ الأَفواهَ والأَسماعَ فى ضَجَّةِ المَحْيا ، وفى صَمْتِ الفناء
حائطُ الفنِّ ، وبانِى رُكْنِهِ (مَعْبَدُ)الأَلحانِ ، (إسحقُ)الغِناء(٣)
من أناسٍ كالدّرارِى جُدُدٍ فى سَمواتِ الليالى قُدَماء
غرَس الناسُ قديماً ، وبَنَوْا لم يَدُمْ غَرْسٌ ، ولم يَخْلُد بناء
غيرَ غَرْسٍ نابغٍ ، أو حَجَرٍ عَبْقَرِىٌّ فيهما سِرُّ البقاء
من يَدٍ مَوْهُوبَةٍ مُلْهَمَةٍ تَغرِسُ الإحسانَ ، أو تَبْنِى العَلاء

• • •

بُلْبُلٌ إسكَنْدَرِىٌّ أَيْكُهُ ليس فى الأَرض ، ولكن فى السماء(٤)
هبَطَ الشاطِئَ من رابِيَةٍ ذاتِ ظِلٍّ ورَياحِينَ وماء

(*) الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله فى طليعة المجددين فى الموسيقى العربية ، وقد القيت هذه القصيدة فى حفلة اقيمت لذكراه فى سنة ١٩٣١ .

١ــ المهرجان : الاحتفال ، معرب ــ٢ــ الزور : الكذب ــ٣ــ معبد واسحاق : رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى ــ٤ــ كان رحمه الله من نشء الاسكندرية . والأيك : فى الاصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : انه اذا كان لكل بلبل من ايك يتخذه عشا ، فهذا البلبل الاسكندرى أيكه ليس محله الارض ، ولكن السماء هى محله اللائق به .

يَحْمِي الفنَّ نَميراً صافياً غَدَقَ النَّبْع إلى جيلٍ ظِماء(١)
حلَّ فى وادٍ على فُسْحَتِه عَزَّت الطَّيْرُ بِه إلاَّ الحِداء
يملأ الأسحارَ تغريدًا إذا صرف الطَّيرَ إلى الأيْكِ العِشاء
رُبَّما استلْهَم ظَلْمَاءَ الدُّجى وأتى الكوكبَ فاستوحى الضياء
ورمى أُذْنَيْهِ فى ناحيةٍ يَخْلِسُ الأصواتَ خَلْسَ البغْاء
فتلقَّى فيهما ما راعهُ من خَفِيِّ الهمْسِ، أو جَهْرِ النِّداء

* * *

أيها الدرويشُ ، قُمْ بُثَّ الجَوى واشرَح الحبَّ ، وناجِ الشهداء
اضرب العُودَ تَفُهْ أوتارُه بالذى تَهْوَى ، وتَنْطِقْ ما تشاء
حَرِّك النَّايَ ، ونُحْ فى غابه وتنفَّسْ فى الثُّقوبِ الصُّعَداء(٢)
واركُب العَبْرَةَ فى آماقه من تَباريحَ ، وشَجْوٍ ، وعَزاء
واسْمُ بالأرواحِ ، وادفعْها إلى عالَمِ اللُّطْفِ وأقطارِ الصفاء(٣)

* * *

لا تُرِقْ دمعاً على الفنِّ فلن يَعدِمَ الفنُّ الرُّعاةَ الأُمَناء
هو طيرُ اللهِ فى رَبْوَتِه يبعثُ الماء إليه والغِذاء
رَوَّحَ الله على الدنيا به فهى مثلُ الدارِ ، والفنُّ القِنعا
تكتسى منه ومن آذاره نَفحةَ الطِّيبِ وإشراق البَهاء(٤)
وإذا ما حُرِمَتْ رِقَّتَه فَشت القَسْوَةُ فيها والجَفاء

١ــ الغدق ــ بفتح الغين والدال : الكثير ــ٢ــ الصعداء ــ بضم الصاد وفتح العين ــ : تنفس ممدود ــ٣ــ عالم اللطف : هو عالم المعانى والارواح ، ولا تسمو اليه الانفس الا فى أوقات الصفاء والانشراح ــ٤ــ آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمى .

وإذا ما سَئِمَتْ أو سَقِمَتْ طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ظهر الحسنُ عليه والرُّواء
قد كسا الكرنكُ مصرًا ماكسا من سَنَى أبْلى اللَّيالى وسَناء
يُرْسِلُ اللهُ به الرُّسْلَ على فتراتٍ من ظُهورٍ وخَفاء
كلَّما أدَّى رسولٌ ومضى جاءَ من يُوفِى الرِّسالاتِ الأداء

* * *

سَيِّدَ الفنِّ ، استرح من عالمٍ آخرُ العهدِ بنُعْماهُ البَلاء
ربَّما ضِقْتَ فلم تنعم به وسَرى الوَحْىُ فنسَّاك الشقاء
لقد استخلفْتَ فنًّا نابغاً دَفع الفنُّ إليه باللَّواء
إن فى مُلْكِ فؤادٍ بُلبلاً لم يُتحْ أمثالُه للخُلَفاء(١)
ناحلٌ كالكُرَةِ الصغرى سرى صوتُهُ فى كُرَةِ الأرضِ الفضاء
يستحى أن يهتفَ الفنُّ به وجمالُ العبقرِيَّاتِ الحيَاء

١ــ يراد بالبلبل هنا : الموسيقار النابغة الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار(*)

رَكَزُوا رُفاتَكَ فى الرِّمال لِواءَ يَستنهضُ الوادى صباحَ مَساءَ(١)
يا وَيْحَهم ! نصبوا مَناراً من دمٍ تُوحِى إلى جيل الغدِ البَغْضاءَ(٢)
ما ضرَّ لو جَعلوا العَلاقةَ فى غدٍ بين الشعوب مَوَدَّةً وإخاءَ ؟
جُرْحٌ يَصيحُ على المدَى ، وضَحِيَّةٌ تتلمَّسُ الحريَّةَ الحمراءَ(٣)
يا أيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفَلا يكسو السيوفَ على الزمان مَضاءَ
تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهَنَّدٍ أَبْلَى فأَحسنَ فى العدوِّ بَلاءَ
وقبورُ مَوْتَى من شبابِ أُمَيَّةٍ وكهولِهم لم يبْرَحُوا أَحياءَ
لو لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِل دخلوا على أَبراجِها الجوزاءَ(٤)
فتحوا الشَّمالَ : سُهولَهُ وجبالَهُ وتوغَّلوا ، فاستعمروا الخضراءَ
وبَنَوْا حضارتَهم ، فطَاوَلَ ركنُها (دَارَ السلامِ) ، و(جِلَّقَ) الشَّمّاءَ(٥)

* * *

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الاسرة السنوسية اصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من اقطار الاسلام ، ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه واعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، واشيع وقتئذ انهم سلكوا فى اعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

١ــ ركز اللواء : غرزه فى الارض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الارض ، ويسمونها الدفائن ، فقوله : « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الاشارة الى أن هذا الرفات من النفائس والذخائر ، التى يضن بها ويحرص عليها ــ٢ــ المنار : موضع النور ، وجعلها منارا من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والازعاج ــ٣ــ الحرية الحمراء : هى المكتسبة بالدم ، اشارة الى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت الا بالدماء ــ٤ــ الجوزاء : نجم معروف فى السماء ــ٥ــ دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ المبيتَ على الطَّوَى لم تَبْنِ جاهاً ، أو تَلُمَّ ثَراءَ(١)
إنَّ البطولةَ أن تموتَ من الظَّما ليس البطولةُ أن تَعُبَّ الماءَ
إفريقيا مَهْدُ الأُسودِ ولَحْدُها ضجَّتْ عليكَ أراجلاً ونساءَ
والمسلمون على اختلافِ ديارِهم لا يملِكون معَ المُصَابِ عَزاءَ
والجاهليةُ من وَراءِ قُبورِهم يبكون زَيْدَ الخيل والفَلْحاءَ(٢)

* * *

فى ذِمَّة اللهِ الكريمِ وحفظِه جَسَدٌ (ببرْقة) وُسِّدَ الصحراءَ(٣)
لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائِع أعظُماً تَبْلَى ، ولم تُبْقِ الرِّماحُ دِماءَ
كَرُفاتِ نَسْرٍ أو بَقِيَّةِ ضَيْغَمٍ باتا وراءَ السَّافياتِ هَباءَ(٤)
بطلُ البَداوةِ لم يكن يَغْزو على «تَنْكٍ» ، ولم يَكُ يركبُ الأَجواءَ(٥)
لكنْ أخو خَيْلٍ حَمَى صَهَوَاتِها وأَدَارَ من أعرافها الهيجاءَ

* * *

لَبَّى قضاءَ الأَرضِ أمسِ بُمهْجَةٍ لم تخْشَ إلاَّ للسماءِ قَضاءَ
وافاهُ مَرْفوعَ الجبينِ كأنه سُقْراطُ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداءَ
شَيْخٌ تَمالَكَ سِنُّهُ لم ينفجرْ كالطفل من خوفِ العِقابِ بُكاءَ
وأخو أمورٍ عاشَ فى سَرَّائها فتغيَّرَتْ ، فتوقَّع الضَّراءَ

١ــ اللم : الجمع ــ٢ــ الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، اما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم ــ٣ــ برقة : هى المنطقة الشرقية من ليبيا ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة . وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان .
٤ــ السافيات : الرياح ــ٥ــ تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب .

الأُسْدُ تزأَرُ فى الحديدِ ولن ترى ... فى السِّجنِ ضِرْغاماً بكى اسْتِخْذاءَ
وأَنى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقْلَ حَديدِهِ ... أَسَدٌ يُجَرْجِرُ حَيَّةً رَقْطاءَ
عَضَّتْ بساقَيْهِ القُيودُ فلم يَنُؤْ ... ومَشَتْ بهَيْكله السّنون فناءَ
تِسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَناكِبَ شاهقٍ ... لترجَّلَتْ هَضَباتُه إعياءَ(١)
خَفِيَتْ عن القاضى ، وفات نَصِيبُها ... من رِفْقِ جُنْدٍ قادةً نُبَلاءَ
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهَذَّبٍ ... عَرَفَ الجُدودَ ، وأَدرَكَ الآباءَ

* * *

دفعوا إلى الجلَّادِ أَغلَبَ ماجداً ... يأْسُو الجِراحَ ، ويُصلِقُ الأُسَراءَ
ويُشاطِرُ الأَقرانَ ذُخْرَ سِلاحِهِ ... ويَصُفُّ حَوْلَ خِوانِه الأَعداءَ(٢)
وتخيَّروا الحبلَ المَهينَ مَنِيَّةً ... للَّيْثِ يلفِظ حَوْلَهُ الحَوْباءَ(٣)
حَرموا المماتَ على الصَّوارِمِ والقَنا ... مَنْ كان يُعْطِى الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ
إنى رأيتُ يَدَ الحضارةِ أُولِعَتْ ... بالحقِّ هَدْما تارةً وبِناءَ
شرَعَتْ حُقوقَ الناسِ فى أَوطانِهم ... إلَّا أُباةَ الضَّيْمِ والضُّعَفاءَ

* * *

يأَيُّها الشعبُ القريبُ ، أَسامعٌ ... فأَصوغَ فى عُمَرَ الشَّهِيدِ رِثاءَ ؟
أَم أَلْجَمَتْ فاكَ الحطوبُ وحَرَّمت ... أُذنَيْكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصْغاءَ ؟
ذهب الزعيمُ وأَنتَ باقٍ خالدٌ ... فانقُد رِجالَك ، واختَرِ الزُّعَماءَ
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ... واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباءَ

١ــ الشاهق : الجبل . والتسعون : هى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرئى حين قبضوا عليه ليعدموه ــ٢ــ الخوان : مائدة الطعام . ٣ــ الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلايلى بك(*)

لقد لَبَّى زعيمُكُم النِّداءَ عَزاءَ أهلَ دِمْياطٍ عَزاءَ
وإن كان المُعَزَّى والمُعَزَّى وكلُّ الناسِ فى البَلْوَى سَواءَ
فُجِعْنا كلُّنا بعلائِلىٍّ كركنِ النَّجمِ أو أسنى عَلاءَ
أَرَقُّ شبابِ دِمْياطٍ عليها وأنشطُهم لحاجتها قَضاءَ
وخيرُ بيوتِها كرماً وتَقْوَى وأصلاً فى السِّيادة وانتهاءَ
فتًى كالرمحِ عاليةً وعُوداً وكالصَّمْصام إفْرِنْداً وماءَ(١)
وأعطى المالَ والهِمَمَ العَوَالى ولم يُعْطِ الكرامةَ والإباءَ
شبابٌ ضارَعَ الرَّيْحانَ طِيباً ونازَعَهُ البَشاشةَ والبَهاءَ
وجُنْدِىٌّ القضيّةِ منذُ قامَتْ تعلَّمَ تحتَ رايَتِها اللِّقاءَ
ورُوِّعَ شيخُها العالى بيومٍ فكان بمَنْكِبَيْهِ له وِقاءَ(٢)
سعَى لضميرِه ، ولوَجْهِ مصرٍ ولم يَتَوَلَّ ينتظر الجزاءَ

* * *

ونَعْشٍ كالغَمامِ يَرِفُّ ظِلاًّ إذا ذهب الزِّحامُ به وجاءَ
ولم تقع العيونُ عليه إلّا أثار الحزنَ أو بعثَ البكاءَ

(*) عبدالحليم العلايلى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد ان ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الاحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار اليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

١ــ عالية الرمح : نصفه الاعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وافرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره ــ٢ــ يقصد « بشيخها العالى » : المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجبنا كيف لم يَحْضَرْ عُوداً وقد حمل المرُوءةَ والرُفاءَ
مشَتْ دِمْياطُ فالتفتْ عليهِ تنازعُهُ الذَّخيرة والرجاءَ

* * *

بَنى دِمْياطَ ، ما شَيْءٌ بباقٍ سوى الفردِ الذى احتكر البقاءَ
تعالى اللهُ ، لا يبقَى سِواه إذا وردَتْ بريَّتَه الفناءَ
وأنتم أهلُ إيمانٍ وتقوى فهل تلْقَوْنَ بالعَتْبِ القضاءَ ؟
ملأتم من بيوتِ الله أرضاً ومن داعى البُكورِ لها سماءَ
ولا تستقبلون الفجرَ إلّا على قَدَمِ الصلاةِ إذا أضاءَ
وترتقبون مَطْلَعَهُ صِغاراً وتَسْتبِقُونَ غُرَّتَهُ نِساءَ
وكم من مَوْقِفٍ ماضٍ وقفتم فكنتم فيه لِلوطن الفِداءَ
دفعتم غارةً شعواءَ عنه وذُدْتُمْ عن حواضِره البَلاءَ

* * *

أَخى (عبدَ الحليم) ولسْتُ أدرى أأدعو الصَّهْرَ أم أدعو الإخاءَ ؟
وكم صَحَّ الودادُ فكان صِهْراً وكان كأقرَبِ القُرْبَى صَفاءَ
عجيبٌ تركُكَ الدنيا سقيماً وكنتَ النَّحْلَ تملؤها شِفاءَ(١)
وكنَّا حينَ يُعْضِل كلُّ داءٍ نجيءُ إليكَ نجعلك الدَّواءَ
مضت بك آلةٌ حَدْباءُ كانت على الزمن المَطِيَّةَ والوِطاءَ(٢)
وسارَتْ خلْفكَ الأحزابُ صفًّا وسرْتَ ، فكُنْت فى الصفِّ اللِّواءَ
تولِّفُ بينهم مَيْتاً ، وتبنى كعهدِكَ فى الحياة لهم وَلاءَ

١ــ يريد تشبيه المساعى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرثى بعسل النحل ــ ٢ ــ الآلة الحدباء : النعش .

حافظ ابراهيم(*)

قد كنتُ أوثرُ أن تقولَ رِثائى ... يا مُنْصِفَ الموْتى من الأحياء
لكنْ سبَقْتَ ، وكلُّ طولِ سلامةٍ ... قدرٌ ، وكلُّ مَنِيَّةٍ بقضاء
الحقُّ نادَى فاسْتجَبْتَ ، ولم تَزلْ ... بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِداء
وأتيْت صحراء الإمامِ تذوب من ... طُولِ الحنينِ لساكن الصحراء(١)
فلقيت فى الدار الإمامَ محمداً ... فى زُمْرَةِ الأبرارِ والحُنفاء(٢)
أثَرُ النعيم على كريمِ جبينه ... ومراشدُ التفسيرِ والإفتاء
فشكوتما الشَّوْقَ القديمَ ، وذُقْتُما ... طِيبَ التدانى بعدَ طولِ تنائى
إنْ كانت الأُولى منازلَ فُرْقةٍ ... فالسمْحَةُ الأُخرى ديارُ لِقاء(٣)
ووددْتُ لو أنى فداكَ من الرَّدَى ... والكاذبون المُرْجِفونَ فِدائى
الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوى ... المُوغِرُو المَوْتَى على الأحياء
من كلّ هَدَّامٍ ويَبْنى مجدَه ... بكرائم الأنقاضِ والأشلاء
ما حَطَّموكَ ، وإنما بكَ حُطِّموا ... من ذا يُحطِّم رَفْرَف الجوزاء ؟(٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك ، شاعر سباق مصدود فى الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة ، التى ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

١ ــ صحراء الامام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه ــ رضى الله عنه ــ فى نطاقها ــ٢ــ الامام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه ــ٣ــ الأولى : الحياة الدنيا ــ٤ــ الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف فى السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن اسنى مواضع الشرف والسمو .

أُنظُره ، فأَنت كأَمْسِ شأْنُكَ باذخٌ فى الشرقِ ، واسْمُكَ أَرفعُ الأَسماء
بالأَمسِ قد حَلَّيْتَنى بقصيدةٍ غراءَ تحفَظُ كاليدِ البيضاء(١)
غِيظ الحَسُودُ لها وقمتُ بشكرها وكما علمتَ مَوَدَّتى ووفائى
فى مَحفلٍ بَشَّرْتُ آمالى به لما رَفعتَ إلى السماء لِوَائى
يا مانِحَ السُّودانِ شرْخ شبابِه ووَلِيَّهُ فى السِّلمِ والهيْجاء
لما نزلْت على خمائِله ثوَى نبْعُ البيانِ وراءَ نَبْع الماء
قلَّدْتَهُ السيفَ الحُسامَ ، وزدْتَهُ قلماً كصدرِ الصَّعْدةِ السمراء(٢)
قلم جرى الحِقبَ الطِّوالَ فما جرى يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاء(٣)
يكسو بِمدْحَتِه الكِرامَ جلالةً ويُشَيِّعُ الموْتى بحسنِ ثَناء

* * *

إسْكَنْدَرِيَّةُ يا عروسَ الماء وخميلةَ الحكماء والشعراء(٤)
نشأَتْ بشاطِئِكِ الفنونُ جميلةً وتَرعرعَتْ بسمائِك الزهراء
جاءتْكِ كالطيرِ الكريمِ غرائباً فجمعتِها كالرَّبْوَةِ الغنَّاء
قد جمَّلوكِ ، فصِرْتِ زِنْبَقَةَ الثرَى للوافدين ودُرَّةَ الدَّأْماء

١ــ يريد القصيدة التى انشاها المرحوم حافظ وانشدها فى المهرجان العظيم الذى اقيم فى القاهرة ، وقد حضرت اليه وفود الاقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريما لمبايعة أمير الشعراء شوقى بامارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

أمير القوافى ، قد أتيت مبايعا وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

٢ــ الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا ــ٣ــ الحقب : جمع حقبة ــ بكسر الحاء ــ وهى المدة من الزمن او السنة ــ٤ــ نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الاسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

غرَسُوا رُباكِ على خمائلِ بابلٍ وبَنَوْا قصورَك فى سَنا الحمراء(١)
واستحدثوا طُرُقاً مُنوَّرة الهدى كسبيلِ عيسى فى فِجاجِ الماء(٢)
فخُذى كأمسِ من الثقافة زينةً وتجمَّلِي بشبابكِ النُّجَباء
وتقلَّدى لغةَ الكتابِ ؛ فإنَّها حَجَرُ البناءِ ، وعُدَّةُ الإنشاءِ
بَنَتِ الحضارةَ مَرَّتيْن ، ومهَّدتْ للمُلكِ فى بغدادَ والفَيْحاءِ
وسَمَتْ بقرطبةٍ ومصرَ ، فحلَّتا بين الممالكِ ذِرْوَةَ العَلياءِ(٣)
ماذا حشدتِ مِن الدموع « لحافظٍ » وذخرْتِ من حزنٍ له وبُكاءِ ؟
ووجدْتِ مِن وقع البلاءِ بفقدهِ إن البلاءَ مَصارِعُ العظماءِ
اللهُ يشهدُ قد وَفيْتِ سخيَّةً بالدَّمع غيرَ بَخيلةِ الخطباءِ
وأخذتِ قِسطاً من مَناحةِ ماجدٍ جَمِّ المآثِرِ ، طيِّبِ الأنباءِ
هَتف الرُّواةُ الحاضرون بشعره وحدا به البادون فى البَيْداءِ(٤)
لبنانُ يَبكيه ، وتبكى الضادُ من حَلبٍ إلى الفيْحاءِ إلى صَنْعاءِ
عربُ الوَفاءِ وَفوْا بذمّةِ شاعرٍ بانى الصفوفِ ، مُؤلفِ الأجزاءِ
ياحافظَ الفصحى ، وحارسَ مَجْدِها وإمامَ مَنْ نجَلتْ من البُلغاءِ(٥)
ما زِلْتَ تهتفُ بالقديم وفضلهِ حتى حَمَيْت أمانةَ القُدماءِ
جدَّدت أسلوبَ (الوليدِ) ولفظَه وأتيْت للدّنيا بسحر (الطائى)(٦)

---

١ ــ بابل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب اليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور فى الاندلس ــ٢ــ الفجاج ــ بكسر الفاء : جمع فج ــ بفتحها ــ الطريق الواسع بين الجبلين ــ٣ــ قرطبة : احدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق ، كلتاهما منبع للعلوم والفنون فى ازهر عصور الاسلام ــ٤ــ البادون : السائرون فى البادية ٥ــ نجلت : أى ولدت ــ٦ــ الوليد : هو ابو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريْت فى طلبِ الجديدِ إلى المدى ... حتى اقترنْت بصاحب البُؤساء(١)

ماذا وراءَ الموت من سَلْوَى ، ومن ... دَعَةٍ ، ومن كرَمٍ ، ومن إغضاء ؟

اشرحْ حقائقَ ما رأيْت ، ولم تزل ... أهلاً لِشرْح حقائِقِ الأشياء

رُتبُ الشجاعةِ فى الرِّجالِ جلائلٌ ... وأَجَلُّهُنَّ شجاعةُ الآراء

كم ضِقتَ ذَرْعاً بالحياة وكيْدِها ... وهتفت بالشكوى من الضراء

فهلُمَّ فارِقْ يأْسَ نفسِك ساعةً ... واطلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاء

وأَشرْ إلى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ ... خُلِقتْ أَسِرَّتُهُ من السَّراء

يا طالما مَلأَ النَّدِىَّ بشاشةً ... وهدى إليك حوائجَ الفقراء

اليومَ هادنْت الحوادِثَ ؛ فاطَّرِحْ ... عِبْءَ السنين ، وألْق عِبْءَ الداء

خلَّفْت فى الدنيا بياناً خالداً ... وتركْت أَجيالاً من الأَبناء

وغداً سيذكرك الزمانُ ، ولم يَزلْ ... للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاء

---

١ ــ البؤساء : كتاب لفكتور هوجو ، عربه الفقيد .

محمد تيمور(*)

ضربوا القِبابَ على اليَبابِ وثَوَوْا إلى يوم الحسابِ(١)
هَمَدوا ، وكلُّ مُحَرِّكٍ يوماً سيسكنُ فى التراب
نزلوا على ذِئْبِ البِلَى فتضيَّفوا شرَّ الذئاب
وكأنهم صَرْعَى كرَى بالقاع أو صَرْعَى شراب
فإذا صَحَوْا وتنبَّهوا فاللهُ أعلمُ بالمآب

* * *

من كلِّ مُنْفضٍّ الوفو دِ هناك مهجورِ الجَنابِ
مَوْرُوثِ كلّ مَضِنَّةٍ إلا الذَّخِيرة مِن ثواب(٢)

* * *

يا نائحاتِ محمدٍ نُحْنَهُ غضَّ الإهاب
فى مَأْتمٍ لم تخْلُ فيـــه المكرماتُ مِن انتحاب
تبكى الكريمَ على العشـــيرة ، والحبيبَ إلى الصحاب
حَسْبُ الحِمامِ دُموعُكُـــنَّ المُسْتهِلَّةُ مِن عِتاب(٣)
فارْجِعْنَ فيه لحكمةٍ أو جِئنَ فيه إلى احْتِساب
فى العالم الفانى مَصـــيرُ العالمين إلى ذهاب
مَنْ سارَ لمْ يَثْنِ العِنا نَ ، ومَنْ أقام إلى اقتراب

* * *

(*) محمد تيمـوز : اديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١ .

١ـ القباب : جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنـا : هو الكناية عن المقبرة ـ٢ـ المضنة : هى الشىء النفيس يكون موضـــعا للضن به .

٣ ـ الحمام ـ بكسر الحاء ـ : الموت .

يا وارثَ الحَسَبِ الصمي مِ وكاسبَ الأدبِ اللُّباب
وابنَ الذى علم الرجا لُ حياتَه من كل عاب(١)
وكأنه فى كُتْبِهِ عثمانُ فى ظل الكِتاب(٢)

ماذا نقمْتَ مِن الشبا بِ ، وأنت فى نِعَم الشباب ؟
مُتحلياً هِبَةَ النبو عِ ، مُطوَّق المِنح الرِّغاب ؟
ولِمِ الترحُّلُ عن حيا ةٍ أنت منها فى رِكاب ؟
لم تعْدُ شاطِئَها ، ولم تبلغْ إلى ثبَجِ العُباب ؟(٣)

* * *

رِفقاً على محزونة الـ أبياتِ ، مُوحِشةِ الحِجاب(٤)
فقدَتْك فى العمر الطرِي ر ، وفى زها الدنيا الكعاب(٥)
تبكى ، وتندُب إلْفها بين الأفانين الرطاب
وانظر أباك وثُكْلَه ورُزوحَه تحت المصاب
لو كان يملك سِر يُو شعَ ردّ شمْسَك من غِياب(٦)

* * *

١ــ وابن الذى .. الخ : هو المرحوم احمد باشا تيمور ، كان عالما بحاثا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء اثمن الكتب ــ٢ــ يشبه والد الفقيد فى اقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده ــ٣ــ العباب : البحر . وثبجه : وسطه ــ٤ــ موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة ، يقول : ان خدرها اقفر من الانس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبه ــ٥ــ العمر الطرير : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » انه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها ــ٦ــ يوشع ــ كما فى التوراة ــ : هو يوشع بن نون ، اصطفاه الله وارسله لبنى اسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل الى الله ان تقف الشمس حتى ينتقم من اعدائه ، فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

أعلِمْت غيرَك منْ جَلا التـ ـمثيلَ فى جُدُدِ الثيابِ
وكسا غرائبَ جِدِّهِ حُلَلاً مِن الهزل العُجاب
مُتميزاً حينَ التميُّـ ـزُ ليس من أرَبِ الشباب
أفُقُ العُلا كنتَ الشهابَ عليه ، لا ذَنَبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاق ذَرْ عُك فيه بالحُسُدِ الغِضاب
سَعْهم فأنت جمعتَهم الشهدُ مائدةُ الذُّباب
خُذْ منهُمُ نقْدَ العَفا فِ ، ودَع لهم نقْدَ السباب
دونَ النُّبوغِ وأوْجِهِ ما لا تعُدُّ من الصعاب
فإذا بلغت الأوْجَ كُنْـ ـت الشمس تهزأُ بالضَّباب(١)

* * *

لا تبعدنّ ؛ فهـــذه آمالُ قوْمِك فى اقتراب
اُشرُفْ بروحك فوقَهم ملكاً يُرَفْرِف فى السحاب
وانظر بعينٍ نُزِّهَتْ عن زُخْرُفِ الدنيا الكِذاب
ترَ مِنْ لِدَاتِك أُمّةً كسَتِ الديارَ جلالَ غاب(٢)
أُسْدٌ تجول بغير ظُفْـ ـرٍ ، أو تصول بغير ناب
جعلوا الثباتَ سِلاحَهم نِعْمَ السلاحُ مع الصواب(٣)
أمّا الأُمورُ فإنها بلغتْ إلى فصْلِ الخِطاب
فإذا ملكْت توَجُّهاً لله فى قُدس الرحاب
سَلْ فاتحَ الأبوابِ يفـ ـتح للكِنانةِ خيرَ باب

---

١ ــ الأوج : العلو ــ٢ــ لدات الانسان : المقاربون له فى السن . والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الأساد ــ٣ــ يصف شباب الامة المصرية فى ثورة سنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف(*)

سماؤُكِ يا دنيا خِداعُ سَرابِ وأَرضُكِ عُمْرانٌ وَشِيكُ خراب(١)
وما أَنتِ إلاَّ جِيفةٌ طالَ حوَلها قيامُ ضِباعٍ ، أو قُعودُ ذِئاب
وكم أَلجأَ الجوعُ الأُسودَ فأَقبلَتْ عليك بظُفْرٍ لم يَعِفّ وناب
قَعَدْتِ من الأَظعان فى مَقْطع السُّرَى ومَرُّوا رِكاباً فى غُبارِ رِكاب
وجُدْتِ عليهم فى الوَداعِ بساخرٍ من اللَّحْظِ عن مَيْتِ الأَحِبّةِ نابى(٢)
أَقاموا ، فلم يؤنِسْكِ حاضرُ صحبةٍ ومالوا فلم تستوحشى لغِياب
تسُوقِينَ للموتِ البَنينَ كقائدٍ يرى الجيشَ خلْقاً هَيناً كذُباب
رأَى الحربَ سُلطاناً له وسلامةً وإن آذنتْ أَجنادَه بتباب(٣)
ولولا غرورٌ فى لُبانكِ لم يجد بَنوكِ مَذاق الضُّرِّ شهدَ رُضاب(٤)
ولا كنتِ للأَعمى مَشاهِدَ فتنةٍ وللمُقْعَدِ العانى مَجالَ وثاب(٥)
ولا ضلّ رأْىُ الناشئِ الغِرِّ فى الصِّبا ولا كَرَّ بعدَ الفُرصةِ المتصابى
ولا حسبَ الحفَّارُ للموتِ بعدَما بَنى بيديه القبرَ ألف حِساب
يقولون : يَرثِى كلَّ خِلٍّ وصاحبٍ أَجَلْ ، إنما أَقضى حقوقَ صِحابى

(*) هو الدكتور يعقوب صروف ، أحد صاحبى مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، كان متبتلا للعلم ، معدودا فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار اليهم بالبنان ، توفى سنة ١٩٢٨ .

١ــ السراب : هو ما يرى فى وسط النهار كانه الماء . ووشيك : سريع ــ٢ــ النابى : المتجافى المتباعد ــ٣ــ يقال : آذنته بكذا ، اى أندرته . والتباب : الهلاك ــ٤ــ اللبان ــ بتشديد اللام مضمومة ــ : جمع لبانة ، وهى الحاجة يطلبها الانسان من غير احتياج اليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . الرضاب : هو ريق الانسان مادام فى فمه ــ٥ــ العانى : المقيد ، وهنا سمى الأسير بالعانى ، لان من شانه أن يقيد .

جَزيْتُهُمُ دمعى ، فلما جرى المدَى جعلتُ عيونَ الشعرِ حُسْنَ ثوابى
كنى بذُرَى الأعوادِ منبرَ واعظٍ وبالمستقلِّيها لسانَ صَواب(١)
دعوتُك يا يعقوبُ من منزلِ البِلَى ولولا المنايا ما تركْتَ جوابى
أُذكِّرك الدنيا ، وكيف ولم يَزلْ لها أثرَا شَهدٍ بفيك وصاب ؟(٢)
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً وسُقنا كتابَ الحمدِ تِلْوَ كتاب(٣)
وما انفكّتِ الدنيا وإنْ قلّ لُبْثُها لسانَ ثوابٍ ، أو لسانَ عِقاب
ألا فى سبيلِ العلمِ خمسون حِجَّةً مَضتْ بين تعليمٍ وبين طِلاب
قطعتَ طوالَىْ ليلِها ونهارِها بآمال نفسٍ فى الكمالِ رِغاب
رأى اللهُ أن تُلقى إليك صحيفةً فنزّهْتها عن هَوشةٍ وكِذاب(٤)
ولم تتّخذْها آلةَ الحقدِ والهوى ولا منتدَى لغوٍ وسوقَ سِباب
مَشيْنا بنُورَىْ علمِها وبياتِها فلم نسْرِ إلاّ فى شُعاع شِهاب
وعشنا بها جيليْن قمتَ عليهما معلِّمَ نشْءٍ ، أو إمامَ شباب
رسائلُ من عَفْوِ الكلامِ كأنها حواشى عُيونٍ فى الطُّروس عِذاب(٥)
هى المحْضُ ، لا يَشْقى به ابنُ تميمَة غِذاءً ، ولا يشقى به ابنُ خِضاب(٦)

١ــ بالمستقليها : اى براكبيها ــ٢ــ الشهد : عسل النحل . والصاب : المر ــ٣ــ اشارة الى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلته المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه اكاليل الظافرين ــ٤ــ هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق امجد صحيفة علمية ادبية فى الشرق العربى كله ، وكان الفقيد مختصا بتحريرها ــ٥ــ قوله «كأنها حواشى عيون .. الخ» العيون : هى عيون الماء ، ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التى تنبت حواليها ــ٦ــ المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب : يقصد بالاول اليفع الناشىء ، وبالثانى الشائب الذى يخضب شعره .

سُهولٌ من الفُصحى وقفْتَ بها الهوى على ما لديها من رُبًى وهِضاب
وماضِعتَ بين الشرقِ والغربِ مِشيةً كما قيل فى الأمثال : حَجْلُ غراب
فلم أرَ أنقى منك سُمعةَ ناقلٍ إذا وسَم النقلُ الرجالَ بعاب
وكم أخذ القولَ السَّرِىَّ مُعرِّبٌ فما ردّه لاسمٍ ، ولا لنِصاب
وفدْتَ على الفُصحى بخيراتِ غيرها فواللهِ ما ضاقت مناكِبَ باب
وقِدْماً دَنتْ (يونانُ) منها و (فارسٌ) و (روما) فحلُّوا فى فسيح رِحاب
تبتّلْتَ للعلم الشريفِ كأنه حقيقةُ توحيدٍ وأنت صَحابى
وجشّمت مَيدان السياسةِ (فارساً) وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى(١)
وكنا و (نمرٌ) فى شِغابٍ ، فلم يَزلْ بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب
رأى الثورة الكبرى ، فسلّ بَراعَه لتحطيم أغلالٍ وفكِّ رِقاب(٢)
وما الشرقُ إلّا أسرةٌ أو عشيرةٌ تلمُّ بنيها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخ الشيوخِ ورحمةٌ تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سَحاب
ورفّافُ رَيْحانٍ يروحُ ويَغتدى على طيِّباتٍ فى الخِلال رِطاب
وذِكرى وإن لم ننْسَ عهدك ساعةً وشوقٌ وإن لم نفتكِر بإياب
ووِيحَ السَّوافى هل عَرضْنَ على البِلَى جَبينَك ، أم سترْنهُ بحِجاب ؟(٣)

١ــ المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة، كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد فى السياسة كابى ، اشارة رقيقة الى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل عام هفوة » .
٢ ــ يريد ان الدكتور نمر لم يشاغب حبا فى المشاغبة ، ولكنه كان متاثرا بفكرة عامة ــ٣ــ السوافى : الرياح .

وهل صُنَّ ماءٌ كان فيه كأنه حياءُ بَتولٍ فى الصلاة كَعاب(١)
ويا لحياةٍ لم تدَعْ غيرَ سائلٍ أكانت حياةً ، أم خليَّةً داب ؟(٢)
وأين يدٌ كانتْ وكان بنانُها يَراعَة وَشْيٍ ، أو يَراعة غاب ؟
ولَهْفى على الأخلاقِ فى رُكْنِ هَيْكلٍ ببطن الثرى رَثَّ المعالم خابى

* * *

نعيش ونمضى فى عذابٍ كلذَّة من العيش ، أو فى لذَّةٍ كعذاب
ذهبنا من الأحلام فى كلّ مذهبٍ فلما انتهينا فُسِّرَتْ بذهاب
وكلُّ أخى عيشٍ وإن طال عيشُهُ تُرابٌ لعَمْرُ الموتِ وابنُ تُراب

---

١ ــ البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا الى الله تعالى .
٢ ــ الداب : بمعنى الداب .

حسين شيرين بك(*)

أرأيت زينَ العابدينَ مُجَهَّزاً نقلوه نقلَ الوَرْدِ من محرابِه(١)
من دار توْأَمِهِ وصِنْو حياتِه والأَوَّلِ المألوفِ من أترابه(٢)
ساروا به من باطلِ الدنيا إلى بُحْبوحَةِ الحقِّ المبينِ وغابِه(٣)
ومضَوْا به لسبيل آدمَ قَبله ومَصايرِ الأقوامِ من أعقابه
تحنو السماءُ على زَكِيِّ سَريرِه ويَمسُّ جِيدَ الأرضِ طِيبُ رِكابه
وتَطيب هامُ الحاملين وراحُهم من طِيب مَحْمِلِه، وطِيبِ ثيابه
وكأَنَّ مصرَ بجانِبَيْهِ رَبْوَةٌ آذارُ آذنها بوَشْكِ ذَهابه
ويكاد من طربٍ لعادته الندى يَنْسَلُّ للفقراءِ من أثوابه(٤)
الطيِّبُ ابنُ الطيِّبِين ، وربَّما نضح الفتَى فأَبان عن أحسابه
والمؤمنُ المعصومُ فى أخلاقه من كل شائنةٍ ، وفى آدابه
أبدًا يراه اللهُ فى غَلَسِ الدُّجَى من صَحْنِ مَسجده ، وحول كِتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من امثلة مكارم الاخلاق ، وكانت بينه وبين امير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفى فى سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه اسماعيل بك شيرين .

١ــ أراد تشبيهه بعلى زين العابدين بن سيدنا الحسين رضى الله عنهما ، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط الا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه « نعم »

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر .

٢ــ الصنو : الأخ الشقيق . والتوام : المولود مع غيره فى بطن ، وهذه حال الفقيد مع اخيه . والاتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه ــ٣ــ بحبوحة المكان : وسطه ــ٤ــ الندى : الكرم .

ويرى اليتامى لائذين بظلِّه ويرى الأَراملَ يَعتصِمْنَ ببابه
ويراه قد أَدّى الحقوقَ جميعَها لم يَنْسَ منها غيرَ حقِّ شبابه
أَدّى من المعروف حِصَّةَ أَهْلِه وقضى من الأَحساب حقَّ صِحابه(١)

* * *

(مهويشُ) ، أَين أَبوكِ؟ هل ذهبوا به لِمَ لمْ يَعد؟ أَيَّانَ يومُ إِيابه ؟(٢)
قد وكَّل اللهَ الكريمَ وعَيْنَه بكِ ، فاحسبيه على كريم رِحابه
ودَعِي البُكا ، يكفيه ما حَمَّلْتِه من دمعكِ الشاكي ، ومن تَسْكابه
ولقد شرِبْتِ بحادث يا طالما شربَتْ بناتُ العالمين بِصَابه
كلُّ امرئٍ غادٍ على عُوّاده وسؤالهِم : ما حالُه ؟ ماذا به ؟
والمرءُ في طلب الحياةِ طويلةً وخُطى المنِيَّةِ من وراءِ طِلابه ؟
في برِّ (عَمِّكِ) ما يقوم مكانَه في عَطْفه ، وحنانِه ، ودِعابه

* * *

(إسكندريةُ) ، كيف صَبْرُكِ عن فتًى الصبرُ لم يُخلق لمثل مُصابه(٣)
عَطِلَتْ سماؤك من بَريق سَحابِها وخَبا فَضاؤكِ من شُعاع شِهابه
زَيْنُ الشبابِ قَضَى ، ولم تتزوَّدِي منه ، ولم تتمتَّعي بقَرابه
قد نابَ عنكِ ، فكان أَصدقَ نائبٍ والشعْبُ يَهْوَى الصِّدق في نُوّابه
أَعلمتِه اتَّخذ الأَمانةَ مَرَّةً سبَباً يُبلِّغه إلى آرابه ؟
لو عاش كان مؤمِّلاً لمواقفٍ يرجو لها الوادي كِرامَ شبابه

١ــ المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .
٢ــ مهويش : اسم تركي ، وهو علم على ابنة الفقيد .
٣ــ كان الفقيد من الاسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

يَجلو على الأَلبابِ هِمَّةَ فِكْرِه ويناوِلُ الأَسماعَ سِحرَ خِطابه
ويَفِى كدَيْدَنِهِ بحقِّ بلادِه ويَفِى بعهد المسلمين كَدابه(١)

* * *

تَقْواكَ (إسماعيلُ) ، كلُّ عَلاقةٍ سَيَبُتُّها الدهرُ العَضوضُ بنابه(٢)
إنَّ الذى ذُقتَ العَشِيَّةَ فَقْدَه بِتَّ الليالى مُوجَعاً لعذابه
فارقتَ صِنْوَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلاقِهِ فى عالَم الذكرى وبينَ شِعابه(٣)
من عادة الذكرى تَرُدُّ من النوى مَن لا يَدَيْنِ لنا بِطَىِّ غِيابه
حُلُمٌ كأَحلام الكَرَى وسِناتِه مُسْتَعْذَبٌ فى صدقه وكِذابه
اسكُبْ دُموعَكَ لا أَقول : اسْتَبْقِها فأَخو الهوى يَبكى على أَحبابه

---

١ ــ الديدن : العادة ــ٢ــ اسماعيل بك شيرين شــقيق المرثى .
٣ ــ يشير هذا البيت الى ان الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى .

محمد عبد المطلب(*)

قام من عِلَّته الشاكى الوَصِبْ وتلقَّى راحةَ الدّهرِ التَّعِبْ(١)
أيُّها النفسُ ، اصبرى واسترجعى هتفَ الناعى بعبد المُطَّلِب(٢)
نزل التُّرْبَ على مَن قبلَه كلُّ حىٍّ مُنتهاه فى التُّرُب
ذهب اللِّينُ فى إرشادِه كالأَبِ المُشْفِقِ والحَدِّ الحَدِب
القريبُ العَتْبِ مِنْ مَعْنَى الرِّضا والقريبُ الجِدِّ من معنى اللَّعِب
والأَخُ الصادقُ فى الوُدّ إذا ظَهرَ الإخوانُ بالوُدّ الكَذِب
خاشعٌ فى درسه ، مُحْتَشِمٌ فَكِهٌ فى مجلس الصَّفْوِ طَرِب
قلَّد الأَوطانَ نَشْأً صالحاً وشباباً أهلَ دين وحَسَب
ربّما صالتْ بهم فى غدِها صَولةَ الدولةِ بالجيش اللَّجِب(٣)
جعلوا الأَقلامَ أرماحَهُمُ وأقاموها مقاماتِ القُضُب
لا يميلون إلى البَغْيِ بها كيف يَبغِى مَن إلى العلم انتسب ؟
شاعِرَ البَدْوِ ، ومنهم جاءنا كلُّ معنًى رَقَّ ، أو لَفْظٍ عَذُب
قد جرت ألسُنُهُم صافيةً جرَيانَ الماء فى أصل العُشُب
سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبعِ ، ومن كُلْفَةِ الأَقلام ، أو حَشْوِ الكُتُب(٤)

(*) هو الاستاذ محمد عبدالمطلب استاذ الادب فى مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثرا فى نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفى سنة ١٩٣١ ، واقيمت له حفلة تأبين القيت فيها هذه القصيدة .

١ــ يريد بالوصب : المتعب من مرض او من علو الهمة ــ٢ــ الاسترجاع: هو قول : (انا لله وانا اليه راجعون) ــ٣ــ الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة ــ٤ــ العنت : المشقة .

قد نزلْتَ اليومَ فى باديةٍ عَمرت فيها (امْرَأ القيس) الحِقَب(١)
ومشى (المجنونُ) فيها سالياً نَفَضَ اللَّوْعةَ عنه والوَصَب(٢)
أَعِر الناسَ لساناً ينظموا لك فيه الشعرَ أو يُنْشُوا الخُطَب
قُمْ صِف الخُلْدَ لنا فى مُلْكِه من جلال الخُلْقِ ، والصُّنْعِ العَجَب
وثمارٍ فى يواقيتِ الرُّبَى وسُلافٍ فى أباريق الذهب(٣)
وانثر الشعرَ على الأبرار فى قُدُس الساحِ وعُلوِىٍّ الرحب
واستعِر (رضوانَ) عُودَىْ قَصَبٍ وتَرنَّمْ بالقوافى فى القَصَب(٤)
واسْقِ بالمعنى إلٰهيًّا ، كما تتَساقَوْنَ الرَّحِيقَ المنسكِب
كلّما سبَّحْتَ للعرشِ به رَفعَ الرحْمٰنُ والرُّسلُ الحُجُب
قُمْ تأمّلْ ؛ هذه الدارُ وفَى لكَ من طُلَّابها الجمعُ الأَرِب(٥)
وفَتِ الدارُ لبانى رُكْنِها وقضى الحقَّ بنو الدارِ النُّجُب(٦)
طلبوا العلمَ على شَيخِهُمُ زمناً ، ثم إذا الشيخُ طُلِب
غابَ عن أعينهم ، لكنّه ماثلٌ فى كلّ قلبٍ ، لم يَغِب
صورةٌ مُحْسِنَةٌ ما تختفى ومثالٌ طيبٌ ما يحتجِب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضى يُنصِفُ الأُخرى ويقضى ما وَجب
عاش عَيْشَ الناسِ فى دنياهُمُ وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدربَ الذى لُقِّنهُ عُجَمُ الناسِ قديماً والعرب

١ــ امرؤ القيس : الشاعر الجاهلى المعروف ــ٢ــ المجنون : مجنون ليلى ، من شعراء البادية كامرىء القيس ــ٣ــ يواقيت الربى : الأكمام المتفتحة بالورد والثمار التى تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر .
٤ــ رضوان : هو الملك القائم على الجنة . والقصب : المزمار أو الناى الذى يترنم به ــ٥ــ الجمع الارب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء .
٦ــ النجب : جمع نجيب .

يرثى جدته (*)

خُلِقْنا للحياةِ وللممات ومن هذين كلُّ الحادثاتِ
ومَنْ يولَدْ يَعش ويَمُتْ كأن لَّمْ يَمُرّ خيالُهُ بالكائنات
ومَهْدُ المرء فى أيدى الرواقى كنعش المرء بينَ النائحات(١)
وما سَلِمَ الوليدُ من اشتكاء فهل يخلو المعمَّرُ من أذاة ؟ (٢)
هىَ الدنيا ، قتالٌ نحن فيه مقاصدُ للحُسام وللقَناة
وكلُّ الناسِ مدفوعٌ إليه كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثبات
نُرَوَّعُ ما نُرَوَّعُ ، ثم نُرمَى بسهمٍ من يدِ المقدورِ آتى
صلاةُ اللهِ يا (تمزارُ) تجزِى ثَراكِ عن التِّلاوةِ والصَّلاة
وعن تسعين عاماً كنتِ فيها مثالَ المحسناتِ الفُضْلَيات
بَرَزْتِ المؤمناتِ ، فقال كلٌّ : لعلكِ أنتِ أمُّ المومنات
وكانت فى الفضائل باقياتٌ وأنتِ اليومَ كلُّ الباقيات
تبنَّاكِ الملوكُ ، وكنتِ منهم بمنزلة البنين أو البنات
يُظِلُّون المناقبَ منكِ شتَّى ويُؤْوُونَ التُّقَى والصالحات
وما ملكوكِ فى (سوقٍ) ، ولكنْ لدى ظلِّ القَنا والمرهَفات

(*) حدته هى المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتمكان ابراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجـــدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

١ــ المهد : الموضع يهيأ للطفل . والرواقى : جمع راقية ، والراقيــة عند العرب هى الام او نحوها ؛ تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظا له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

٢ــ المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الابيات الثلاثة ، ان الدنيا لا ثبات لها ؛ فالانسان كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر فى لقاء الاقدار سواء ، فلا شىء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنَنْتِ لهم (بمُورَةَ) بنتَ عشرٍ وسيفُ الموتِ فى هام الكُمَاةِ(١)
فكنتِ لهم وللرّحمٰن صيداً ووَاسطةً لعِقْدِ المسلمات
تَبِعْتِ محمداً من بعد عيسى لخيركِ فى سنيكِ الأُولَيَات
فكان الوالدان هدًى وتَقْوَى وكان الوَلْدُ هدى المعجزات
ولو لم تَظْهرى فى العُرْبِ إلّا بأحمدَ كنتِ خيرَ الوالدات(٢)
تجاوزتِ الولائدَ فاخراتٍ إلى فخر القبائل واللغات
وأحكم مَنْ تَحكَّمَ فى يَراعٍ وأبلغِ مَنْ تَبلَّغَ مِن دَواة
وأبرإ مَنْ تبرَّأَ من عداءٍ وأنزهِ مَنْ تنزَّه مِن شَمات
وأصْوَنِ صائنٍ لأخيه عِرْضاً وأحفظِ حافظٍ عهدَ اللِّدات
وأقتلِ قاتلٍ للدَّهرِ خُبْرًا وأصْبَرِ صابرٍ للغاشيات
كأنّى والزمانُ على قتالٍ مُساجلةً بميدان الحياة(٣)
أخاف إذا تثاقلَت الليالى وأُشْفِق من خُفوف النائبات
وليس بنافعى حَذَرى ، ولكنْ إباءٌ أن أراها باغِيَات
أَمأْمونٌ من الفَلَكِ العوادى و (برجَلْهُ) يَخُطُّ الدائرات ؟

١ــ عننت لهم .. الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » اذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الاول لجدته . والكماة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال ان جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : انها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها ، حيث أكرمها الله ، فنشأت مسلمة ، ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم ــ٢ــ أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء ، يقول لجدته فى هذا البيت : اذا لم يكن لك نسب فى العرب الا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبى الذى يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكونى بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لى اما

٣ــ المساجلة فى القتال هى من قولهم : « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك » .

تأمَّلْ : هل ترى إلَّا شِباكاً من الأيام حَوْلَك مُلْقَيات ؟
ولو أن الجهاتِ خُلقن سبعاً لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لَعاً للنعش ، لا حُبًّا ، ولكنْ لأَجْلِكِ يا سماءُ المَكْرُمات(١)
ولا خانته أيدى حامِليه وإن ساروا بصبرى والأناة
فلم أرَ قبله المريخَ مُلْقًى ولم أسمع بدفنِ النيِّرات
هناكَ وَقفْتُ أسألُكِ إتِّئادًا وأُمسِكُ بالصفات وبالصّفاة (٢)
وأنظرُ فى تُرابكِ ، ثم أُغضِى كما يُغضِى الأَبِىُّ على القَذاة
وأذكر من حياتكِ ما تقضَّى فكان من الغداة إلى الغداة

١ــ لعا : كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول « لعا له » اذا اردت سلامته و « لا لعا له » اذا اردت غير ذلك ــ٢ــ الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبده (*)

مُفسِّرَ آي الله بالأمس بيننا قُم اليومَ فسِّرْ للورى آيةَ الموتِ
رُحِمْتَ ، مَصيرُ العالمين كما ترى وكلٌّ هناءٍ أو عزاءٍ إلى فَوْت
هو الدهرُ : ميلادٌ ، فشغلٌ ، فمأتمٌ
فذِكرٌ كما أبقى الصَّدَى ذاهبَ الصَّوت(١)

(*) هو الاستاذ الامام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت اسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .

١ــ يقول : ان الانسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على الصوت شبيها بصوته ، ويقال له الرجع ايضا .

رياض باشا(*)

حَماتٌ فى المواكب ، أم حياةٌ ونعشٌ فى المناكب ، أم عِظاتُ ؟
ويَوْمُكَ فى البريَّةِ ، أم قيامٌ وموكبُك الأَدلَّةُ والشِّيات ؟(١)
وخطْبُكَ يا (رياضُ) ، أم الدواهى على أنواعها والنَّازلات ؟
يجِلُّ الخَطبُ فى رجلٍ جليلٍ وتَكبرُ فى الكبير النائبات
وليس المَيْتُ تَبكيه بلادٌ كمن تَبكى عليه النائحات

* * *

وهل تَلْقَى منایاها الرواسى فتَهْوِى ، ثُمَّ تُضْمِرها فَلاة ؟(٢)
وتُكْسَرُ فى مراكزها العَوالى وتُدْفَنُ فى التراب المُرْهَفات ؟(٣)
ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهْراً وكانت لا تَقرُّ بها الحَصاة ؟
ويَرْمِى الدهرُ (نادِىَ عينِ شمسٍ) ولا يَحْمِى لِواءهُم الرُّماة ؟(٤)
أَجَلْ ؛ حُمِلَتْ على النعشِ المعالى ووُسِّدَتِ الترابَ المَكْرُمات
وحُمِّلَتِ المدافعُ ركنَ سلمٍ يُشيِّعه الفوارسُ والمُشاة
وحَلّ المجدُ حُفْرتَه ، وأَمسَى يُطِيف به النوائحُ والبُكاة

* * *

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديو اسماعيل الى أواخر حكم عباس الثانى تقريبا ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

١ــ الشيات : جمع شية ، وهى العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة ــ٢ــ الفلاة : الصحراء . ٣ــ العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف ــ٤ــ نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى اقامه اعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى اقامه اعيان القبط فى فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا اعادها الله .

هوَى عن أوْج رِفْعتِه (رياضٌ) وحازَتْه القرونُ الخاليات
كأَن لم يملإِ الدنيا فَعالاً ولا هَتفَتْ بدولته الرُّواة
نعاه (البرقُ) مُضْطرِباً ، فماجَتْ نجومٌ فى السماء مُحلِّقات
كأَن الشمسَ قد نُعِيَتْ عِشاءً إليها فهْىَ حَسْرَى كاسفات
صحيفةُ غابرٍ طُوِيَتْ ، وولَّت على آثارِ من دَرجوا وفاتوا
يقول الآخرون إذا تَلَوْها : كذلك فَلْيَلِدْن الأُمَّهات
جزى اللهُ الرضا أبوَىْ (رياضٍ) هما غرَسَا وللوطن النبات
بنو الدنيا على سَفرٍ عَقيمٍ وأسفارُ النوابغِ مُرجعات
أرى الأمواتَ يَجمعُهم نشورٌ وكم بُعِثَ النوابغُ يومَ ماتوا
صلاحُ الأرضِ أحياءٌ ومَوْتَى وزينتُها وأنجُمُها الهُداة
قرائحُهم وأيديهم عليها هدًى ، ويسارةٌ ، ومُحسّنات
فلو طُلِبَتْ لهم دِيَةٌ لقالت كنوزُ الأرضِ : نحن هى الدِّيات

* * *

أبا الوطنِ الأَسيفِ ، بكتْكَ مصرُ كما بكَت الأَبَ الكهفَ البَناتُ
قَضَيْتَ لها الحقوقَ فتًى وكهلًا ويومَ كبرْتَ وانحنَتِ القَناة
ويومَ النَّهْىُ للأُمراء فيها ويومَ الآمرون بها العُصاة(١)
فكنْتَ على حكومتها سِراجاً إذا بَسَطتْ دُجاها المُشْكِلات
يزيد الشيبُ نفسَك من حياةٍ إذا نقصَتْ مع الشيب الحياة
وتملؤك السِّنُونَ قوًى وعزماً إذا قيل : السِّنون مُثبِّطات

١ــ يشير الى أيام الثورة العرابية فى مصر والى لون الحكم قبل تلك الثورة .

كسيْفِ الهندِ أَبْلَى حين فُلَّتْ ورَقَّتْ صَفحتاه والظُّبات(١)
رقيعُ القدرِ بالأمصار يُرنى كما نَظرتْ إلى النَّجم السُّراة(٢)
كأنك فى سماء المُلكِ (يحيى) وآلُك فى السماءِ النيِّرات(٣)
تَسوسُ الأمرَ ، لا يُعطِى نفاذاً عليك الآمرون ولا النُّهاة
إذا الوزراءُ لم يُعطوا قِياداً نبذتهمُ كأنهمُ النَّواة
زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ كذلك كان (بسمرك) الثُّبات(٤)
صِفاتٌ بَلَّغتْك ذُرَى المعالى كذلك تَرفع الرجلَ الصِّفات
وجدتَ المجدَ فى الدنيا لِواءً تلقَّاه المقاديمُ الأُباة
ويبقى الناسُ ما داموا رَعايا ويبقى المُقدِمون همُ الرُّعاة

* * *

(رياضُ)، طَوَيْتَ قرْناً ما طوَتْه مع (المأمون) (دِجْلةُ) و(الفرات)(٥)
تمنَّت منه أياماً تحلَّى بها الدُّوَلُ الخوالى الباذخات
ووَدّ (القيصران) لَوَ انَّ (روما) عليها من حَضارته سِمات(٦)
حَباكَ اللهُ (حاشِيَتيْهِ) عُمْراً وأعمارُ الكرام مُبارَكات
فقمتَ عليه تجرِبةً وخُبْرًا ومدرسةُ الرجال التجرِبات
تمرُّ عليك كالآيات تَتْرَى صنائعُ أهلهِ والمحدَثات

١ــ الظبات جمع ظبة ــ بضم الظاء ــ حد السيف ــ٢ــ السراة ــ بضم السين ــ : جمع سارى ، ولا يكون السرى الا للمشى بالليل . ٣ــ يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد ــ٤ــ بسمرك : وزير المانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة والسياسة . والزماع : الذى يزمع الامر فى جراة واقدام ثم لا ينثنى ــ٥ــ المأمون : هو المأمون العباسى ، ودجلة والفرات : نهران بالعراق ــ٦ــ سمات : علامات .

فأدركتَ (البخارَ) وكان طفلاً فشبَّ ، فبايعَتْه الصافِنات(١)
تُجاب على جناحَيْه الفيافى وتحكم فى الرياح المنشآت
ويُصعَد فى السماء على (بروج) غداً هى فى العوالم بارِجات(٢)
وبَيْنا الكهرُباءُ تُعَدُّ خرقاً إذا هى كلَّ يومٍ خارقات
ودان البحرُ حتى خِيضَ عُمقاً وقِيدَتْ بالعِنان السافيات(٣)
وبُلِّغَتَ الرسائلُ ، لا جَناحٌ يَجوب بها البحارَ، ولا أداة
كأن القُطرَ حين يُجيب قُطراً ضمائرُ بينها مُتناجِيات

* * *

رَهينَ الرَّمْسِ ، حدِّثنى مَلِيًّا حديثَ الموتِ تبْدُ لِيَ العِظات(٤)
هو الخبرُ اليقينُ ، وما سواه أحاديثُ المُنى والتُّرَّهات(٥)
سألْتُكَ : ما المنِيَّةُ ؟ أىُّ كأْسٍ ؟ وكيف مَذاقُها ؟ ومَن السُّقاة ؟
وماذا يُوجِس الإنسانُ منها إذا غَصَّت بعلْقَمها اللَّهاة ؟(٦)
وأىُّ المَصْرَعَيْنِ أشدُّ : موتٌ على عِلْمٍ ، أم الموتُ الفَوات ؟(٧)
وهل تقع النفوسُ على أمانٍ كما وقعَتْ على (الحرمِ) القطاة؟(٨)

١ــ الصافنات : الخيل ــ٢ــ يريد بالبروج : الطائرات ــ٣ــ العنان الزمام ، والسافيات : الرياح ــ٤ــ الرمس : القبر ــ٥ــ الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل ــ٦ــ اللهاة ــ بفتح اللام ــ اللحمة المشرفة على الحلق من اقصى الفم ــ٧ــ الموت الفوات : الموت المفاجىء ــ٨ــ القطاة : الحمام ، او طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به .

وتَخْلُد أم كزعم القول تَبْلَى كما تبلَى العِظامُ أو الرُّفات ؟
تعالى اللهُ قابضُها إليه وناعِشُها كما انتعش النبات
وجازيها النعيمَ حِمًى أميناً وعيشاً لا تُكدِّره أذاة
أمثلُك ضائقٌ بالحقِّ ذَرْعاً وفى بُرْدَيْك كان له حماة ؟(١)
أليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ وأن الحيَّ غايتُه الممات ؟
فنَمْ ما شِئْتَ ، لا تُوحِشْكَ دنيا ولا يَحْزُنْكَ من عيشٍ فَوات
تصرَّمَت الشبيبةُ والليالى وغاب الأهلُ ، واحتجت اللِّدات
خَلَتْ (حِلْمِيَّةٌ) ممَّن بناها فكيف البيتُ حوالك والبنات ؟(٢)
أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ومن نِعمٍ مَلأْنَ (الطوْدَ) شاة ؟(٣)
وهل لك من حريرهما وِسَادٌ إذا خَشُنَتْ لجنبَيْك الصَّفاة ؟(٤)
تَولَّى الكلُّ ، لم ينفعك منه سوى ما كان يَلتقِط العُفاة
عِبادُ اللهِ أكرمُهم عليه كِرامٌ فى بَرِيَّته ، أساة
كمائدةِ المسيحِ ، يقوم بُؤْسٌ حوالَيها ، وتَقعُد بائسات
أخذتُكَ فى الحياةِ على هَناتٍ وأىُّ الناس ليس له هَنات ؟(٥)
فصفحاً فى الترابِ إذا التقينا ولُوشِيَتِ العداوةُ والتِّرات

١ــ حماة : جمع حام ، وهو المدافع والمانع من المدوان ، والحامى : الاسد لحمايته عرينه ــ٢ــ الحلمية : حيث كانت دار الفقيد . وقــوله : « وكيف البيت حولك والبنات » : يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك . ٣ــ المحلة : محلة روح قرية فى اقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد املاك الفقيد الواسعة ــ٤ــ الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر ــ٥ــ الهنات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير ، وقد تعرف اسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الاول من الشوقيات .

خُلِقتُ كأنّنى (عيسى) ، حرامٌ على قلبى الضَّغِينةُ والشَّمات
يُسائُ إلىَّ أحياناً ، فأمضى كريماً ، لا أقوت كما أقات
وعَندى للرجال ـ وإن تجافوْا ـ مَنازلُ فى الحفاوَة لا تُفات

* * *

طلعْتَ على (النَّدِىِّ) (بعين شمسٍ) فوافَتْها بشمسَيْنِ الغداة
على ما كان يَندو القومُ فيها توافَى الجمعُ وائْتمر السَّراة(١)
تملَّكهم وقارُك فى خشوعٍ كما نظمَتْ مُقيميها الصَّلاة
رأيتَ وُجوهَ قومِك كيف جَلَّتْ وكيف تَرعرَعَتْ مصرُ الفتاة
أُجِيلَ الرأىُ بين يديك حتى تبيَّنَت الرَّزانةُ والحَصاة(٢)
وأنتَ على أعِنَّتهم قديرٌ وهم بِك فى الذى تقْضِى حُفاة(٣)
إذا أبدى الشبابُ هَوًى وزَهْواً أشار إليه حِلْمُكَ والأناة
فهلَّا قُمْتَ فى النادى خطيباً الك الكَلِمُ الكبارُ الخالدات ؟
تُفَجِّر حكمةَ (التسعين) فيه فآذانُ الشَّبِيبةِ صاديات ؟(٤)
تقول : متى أرى (الجيرانَ) عادوا وَضُمَّ على الإخاء لهم شَتات ؟(٥)
وأين أولو النُّهَى مِنَّا ومنهم عسى يَأْسُون ما جرح الغُلاة ؟(٦)

---

١ ـ يندو القوم : اذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف ـ٢ـ الحصاة : العقل والراى ـ٣ـ الحفاة : جمع حفي ؛ وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفي عنها » ، اى سائل عنها باستقصاء ـ٤ـ التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، اى ظامئات ـ٥ـ الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر ـ٦ـ الغلاة : هم البالغون حد الافراط فى عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بين العشيرة رُسْلُ شرٍّ وفَرَّقَت الظُنونَ السَّيِّئات
إذا الثقةُ اضمحلَّتْ بين قومٍ تمزَّقَت الرَّوابطُ والصِّلات
فثِقْ ، فعسى الذين ارتَبْت فيهم على الأيام إخوانٌ ثِقات
وربَّ مُحبَّب لا صبرَ عنه بَدَتْ لك فى مَحبَّته بَداة(١)
ومكروهٍ على أخَذاتِ ظنٍّ تُحبِّبُه إليك التجرِبات
بنى الأوطان ، هيِّوا ، ثم هبُوا فبعضُ الموتِ يَجلبه السُّبات(٢)
مشى للمجدِ خَطْفَ البرقِ قومٌ ونحن إذا مشينا (السلحفاة)
يُعِلّون القُوَى برًّا وبحراً وعُدّتُنا الأمانِى الكاذبات

---

١ ــ البداة ، من قولهم : بدا لى فى هذا الأمر بداء ، أى ظهر لى فيه شىء ــ٢ــ السبات : النوم ، واصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتا » .

عثمان باشا غالب (*)

ضجَّتْ لمصرَع (غالبٍ) فى الأَرضِ (مملكةُ النباتِ)
أمستْ (بتيجانٍ) عليـ ـه من الحِداد مُنكَّسات(١)
قامت على (ساقٍ) لغيـ ـبته ، وأقعدت الجهات
فى مأتمٍ تَلْقَى الطبيعـ ـةَ فيه بين النائحات
وترى (نجومَ الأَرضِ) من جَزَعٍ مَوَائِدَ كاسفات
والزَّهرُ فى (أكمامِه) يَبكى بدمع الغاديات
وشَقائقُ النُّعمانِ آ بَتْ بالخدودِ مُخَمَّشات(٢)
أما مُصابُ الطبِّ فيـ ـه فسَلْ به مَلأَ الأُساةِ(٣)
أَوْدَى الحِمامُ بشيخهم ومَآبهم فى المعضلات
مُلْقِى الدروس المُسْفِرا تِ عن الغُروس المُثمِرات
قد كان حَرْبَ الظلمِ ، حر بَ الجهلِ ، حربَ التُّرهات
والمُستضاءَ بنوره فى الخافيات المظلمات
عَلَمُ الورَى فى عِلْمه فى الغربِ مُغْتَربُ الرُّفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار اليه بالبنان ، توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ .

١ ــ التيجان للنبات : هى اكاليل الثمار ، كالاكمام ــ٢ــ شقائق : جمع شقيقة ، وهى الموضع ينبت الاعشاب . وشقائق النعمان موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الالوان والشيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه ، فقال : هو لى ، فلم يعد أحد يمسه ، ومن ذلك سمى شقائق النعمان ، وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له : شقائق النعمان ، والخدود فى شقائق النعمان يقصد بها الورد ، وتخميشها : بمعنى لطمها او قطعها ــ٣ــ الملأ : الجماعة من الناس . والاساة جمع آسى : وهو الطبيب .

قد كان فيه محلَّ إجـــــلالِ الجهابذةِ الثقات
ومُمَثِّلَ المصرىِّ فى حظِّ الشعوبِ من الهِبات
قل للمُريب : إليكَ ، لا تأْخذْ على الحرّ الهنات
إن النوابغَ (أهلَ بَدْ رٍ) ما لهم من سيئات(١)
هم فى عُلا الوطنِ الأَدا ةُ فلا تَحُطَّ مِن الأَداة
وهمُ الأُلَى جمعوا الضما ئرَ والعزائمَ من شَتات
لهم التَّجِلَّةُ فى الحيا ةِ ، وفوق ذلك فى الممات
(عثمانُ) ، قُمْ ترَ آيةً اللهُ أحيا (المومياتِ)
خرجَتْ بَنِينَ من الثرى وتحرّكَتْ منه بَناتِ
واسمَعْ بمصر الهاتفـــــين بمجدها والهاتفات
والطالبين لحقها بينَ السَّكِينةِ والثبات
والجاعليها قِبْلةً عندَ الترنُّمِ والصَّلاة(٢)
لاقَوْا أُبوّتَهم على غُرِّ المناقبِ والصفات
حتى الشبابُ تراهُمُ غلبوا الشيوخَ على الأَناة
وزنوا الرجالَ ، فكان ما أَعْطَوْا على قدر الزِّنات(٣)
قل للمُغالِطِ فى الحقا ئق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاءَ رسولُه وأَتى بإحدى المعجزات
عيسى الشُّعورِ إذا مشى ردّ الشعوبَ إلى الحياة

---

١ ــ اهل بدر : هم اول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منهما لاحراز اسمى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن اليه قبل شوقى حياه الله ــ٢ــ الترنم : احد ضروب العبادة فى المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين ــ٣ــ الزنات : جمع زنة (كعدة) وهى المرة من الوزن .

عبد الحى (٠)

طُوِىَ البِساطُ وجَفَّت الأَقداحُ وغدَتْ عواطلَ بعدكَ الأَفراحُ(١)
وآنفضّ نادٍ بالشآم ، وسامرٌ فى مصرَ أَنت هَزارُه الصَّدَّاح(٢)
وتَقوَّضَتْ للفن أَطْولُ سَرْحةٍ يُغْدَى إلى أَفيائها ويُراح(٣)
والله ما أَدرى وأَنتَ وحيدُه أَعليه يُبْكى ، أَم عليك يُناح؟
(إِسحاقُ) مات . فلا صَبُوحَ ، و (مَعْبَدٌ)
أَوْدَى ، فليس مع الغبوقِ فَلاح(٤)
مَلِكُ الغِناءِ أَزاله عن تختِهِ قَدَرٌ يُزيل الراسياتِ مُتاح
فى التُّرْب فوقَ (بنى سويفَ) يتيمةٌ ومن الجواهر زَيَّفٌ وصِحاح(٥)
ما زال تاجُ الفن تيّاهًا بها حتى استبدّ بها الردَى المُجتاح
لو تستطيع كرامةً لمكانها مَشَتِ الرياضُ إليه والأَدْواح

* * *

رُحْماكَ (عبدَالحىِّ) ؛ أُمُّكَ شَيْخَةٌ قعدَتْ ، وهِيضَ لها الغَداةَ جَناح
كُسِرَتْ عَصاها اليومَ ، فهى بلا عصاً
وقَضى فَتاها الأَجْوَدُ المِسْماح
اللهُ يعلم ، إن يَكُنْ فى قلبها جُرحٌ فنى أَحشاءِ مصرَ جِراح

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها الى الاقطار العربية حتى عد وحيد عصره وامام فنه . توفى سنة ١٩١٢م.
١ــ طوى البساط : تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور ــ٢ــ الهزار : طائر حسن الصوت ، وهو فارسى ، معرب هزار دستان ــ٣ــ السرحة : الشجرة العظيمة . والافياء : جمع فىء ، وهو ــ من الشجر ــ الظل .
٤ــ اسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب أول الصباح . والغبوق . الشرب بالعشى ــ٥ــ دفن الفقيد فى بنى سويف وهى بلدة مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة ، هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة .

والناسُ مَبْكِيٌّ وباكٍ إثْرَهُ ... وبُكا الشعوبِ إذا النوابغُ طاحوا
كان الندامَى إن شَدَوْتَ وعاقروا ... سِيّانِ صوتُك بينهم والراح(١)
فيما تقول مُغنِّيًا ومُحدِّثًا ... تتنافس الأَسماعُ والأَرواح(٢)
فارقتَ دنيا أرهَقتْك خَسارةً ... وغنِمْتَ قُرْبَ اللهِ وهو رِبَاح
يا مُخلِفًا للوعد ، وَعْدُك ماله ... عندى ولا لك فى الضمير بَراح
عَبَثَتْ به وبكَ المنيَّةُ ، وانقضى ... سببٌ إليه بأُنْسِنا نَرتاح
لما بلغنا بالأَحِبّةِ والمنى ... بابَ السرورِ تغيَّب المفتاح
زعموا نَعِيَّكَ فى المجامع مازحًا ... هَيْهاتَ ! فى رَيْبِ المَنونِ مِزاح
الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ ... عندَ المنيَّةِ يَجزع المِفراح(٣)
رَمَت المنايا إذ رمَيْنَك بُلْبُلا ... أرداه فى شَرَكِ الحياةِ جِماح
آهاتُه حُرَقُ الغرامِ ، ولفظُه ... سجعُ الحَمام لَوَ أنَّهُنَّ فِصاح
وذَبَحْنَ حَنْجَرةً على أوتارها ... تُوْسَى الجِراحُ ، وتُذْبَحُ الأَتراح
وفَلَلْنَ من ذاك اللسان حديدةً ... يَخشى لئيمٌ بأْسَها ووقاح
وأبحْنَ راحتَك البِلَى ، ولطالما ... أمسى عليها المالُ وهو مُباح
روحٌ تناهتْ خِفَّةً فتخيَّرتْ ... نُزُلاً تَقاصَرُ دونه الأَشباح
قُمْ غنِّ ولْدانَ الجِنانِ وَحُورَها ... وابعثْ صَداك فكلُّنا أرواح

---

١ ــ الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لان كليهما مسكر ــ٢ــ يقول : ان حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى انه كان فكه الحديث بارع النكتة ــ٣ــ المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا (*)

سَرْ أبا صالحٍ إلى الله واترك مصرَ فى مأتمٍ وحزنٍ شديد
هذه غايةُ النفوسِ ، وهذا مُنتهَى العيشِ مُرِّهِ والرَّغيد
هل ترى الناسَ فى طريقك إلَّا نَعْشَ كَهْلٍ تَلاه نعشُ الوَليد ؟
إنّ أَوهَى الخيوطِ فيما بدا لى خَيْطُ عيشٍ مُعلَّقُ بالوريد(١)
مُضْغَةٌ بينَ خفْقَةٍ وسُكونٍ ودَمٌ بينَ جَرْيَةٍ وجُمود
أنزلوا فى الثرى الوزيرَ ، ووارَوْا فيه تسعين حِجَّةً فى صُعود
كنتَ فيها على يَدٍ من حرير لِلَّيالى ، فأَصبحَتْ من حَديد(٢)
قد بلوناكَ فى الرياسة حينًا فبلوْنا الوزيرَ عبدَ الحميد(٣)
آخذًا من لسانِ فارسَ قِسْطًا وافرَ القسْمِ من لسان لَبِيد(٤)
فى ظلال الملوكِ ، تُدْنِى إليهم كلَّ آوٍ لظلِّكَ الممدود
لستَ مَنْ مَرَّ بالمعالم مَرًّا إنما أنت دولةٌ فى فقيد
قُمْ فحدِّثْ عن السنين الخَوالى وفُتوحِ المُمَلَّكِين الصِّيد(٥)

(*) هو احد باشوات مصر الكبار ، عاصر اكثر ولاة مصر من الاسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد ان عمر حوالى تسعين عاما .

١ــ الوريد : شريان بكسر الشين ، وهو عرق رئيسى فى جسم الانسان ، يشبه العروق فى جسم الانسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك الى اثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها ــ٢ــ يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش.
٣ــ بلوناك فى الرياسة: اى اختبرناك. والوزير عبدالحميد : هو عبدالحميد الكاتب المشهور ــ٤ــ القسم : هو العطاء او الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض ان المرثى كان ملما بالفارسية والعربية ــ٥ــ الصيد جمع اصيد ، وهو العزيز الجانب .

والذي مَرَّ بينَ حالٍ قديمٍ أنتَ أدرَى به وحالٍ جديد
وصِف العزَّ فى زمان (علىٍّ) واذكر اليُمْنَ فى زمان سعيد(١)
كيف أسْطولُهم على كل بحرٍ وسَراياهُمُ على كلِّ بِيدِ؟(٢)
قد تولَّوْا وخلَّفوك وفِيًّا فى زمانٍ على الوَفِىِّ شديد
فألْحَقِ اليومَ بالكرام كريماً والْقَهم بينَ جَنَّةٍ وخُلود
وتقبَّلْ وداعَ باكٍ على فقـ ـدك ، وافٍ لعهدك المحمود

١ــ يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الخديو سعيد باشا ــ٢ــ السرايا : جمع سرية ــ بالياء المشددة مفتوحة ــ وهى القطعة من الجيش لايزيد عددها عن الاربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء .

محمد فريد بك (*)

كلُّ حَيٍّ على المنيّة غادى تتوالى الركابُ والموتُ حادى(١)
ذهب الأوّلونَ قَرْنًا فقرْناً لم يدُمْ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بادى(٢)
هل ترى منهُمُ وتَسمعُ عنهم غيرَ باقٍ مآثرٍ وأيادى؟(٣)
كُرَةُ الأرضِ كم رَمَتْ صَوْلجَانا وطوَتْ من ملاعبٍ وجِياد
والغبارُ الذى على صفحتَيْها دَوَرانُ الرَّحَى على الأجساد(٤)
كلُّ قبر من جانب القَفْرِ يبدو عَلَمَ الحقِّ ، أو منارَ المعَاد
وزِمامُ الرِّكابِ من كلِّ فَجٍّ ومَحَطُّ الرِّحالِ من كل وادى
تطلع الشمسُ حيث تطلع نَضْخًا وتَنَحَّى كمِنْجَل الحَصّاد(٥)
تلك حمراءُ فى السماءِ ، وهذا أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِراس الجِلاد
ليت شعرى تعمُّدًا وأصرًا أم أعانا بجناية البلاد
كذب (الأزهرانِ) ؛ ما الأمرُ إلَّا قَدَرٌ رائحٌ بما شاء غادى(٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا ، بذلها الى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد الى أن مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ ، محكوما عليه بالنفى والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة الى وطنه الا ميتا .

١ــ الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها ــ٢ــ الحاضر : ساكن الحضر، والبادى : ساكن البادية ــ٣ــ الأيادى : جمع يد ، ويقصد باليد ، العطية او الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادى الا بهذا المعنى ، فاذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : ايدى ــ٤ــ المفهوم من المقام ان الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المعهودة ــ٥ــ قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، اى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه ــ٦ــ الازهران : الشمس والقمر .

يا حَماماً ترنَّمَتْ مُسْعِداتٍ وبها فاقةٌ إلى الإسعاد(١)
ضاق عن ثُكْلِها البُكا ، فتغنَّتْ رُبَّ ثُكْلٍ سمِعْتَه من شادى(٢)
الأَناةَ الأَناةَ ؛ كلُّ أَليفٍ سابقُ الإلْفِ ، أو مُلاقِى انفراد
هل رَجَعْتُنَّ فى الحياة لفَهْمٍ ؟ إن فهمَ الأُمورِ نِصفُ السَّداد
سَقمٌ من سلامةٍ ، وعزاءٌ من هناءٍ ، وفُرْقَةٌ من وِداد
يُجْتَنَى شهدُها على إبَرِ النحـ ـلِ ، ويُمْشَى لورْدِها فى القَتاد(٣)
وعلى نائمٍ وسَهْرانَ فيها أَجَلٌ لا يَنامُ بالمِرْصاد
(لُبَدٌ) صادَه الرَّدَى ، وأَظنّ النَّسْـ ـرَ من سَهمِهِ على ميعاد(٤)
ساقةَ النَّعْشِ بالرئيس ، رُوَيْدًا مَوْكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الإِتِّئاد(٥)
كلُّ أَعوادِ مِنبر وسريرٍ باطلٌ غيرَ هذه الأَعواد
تستريح المطِىُّ يوماً ، وهٰذى تنقلُ العالَمين من عهد عادِ
لا وراءَ الجِيادِ زِيدَتْ جلالاً منذ كانت ولا على الأَجياد
أَسأَلتم حَقِيبةَ الموتِ : ماذا تحتَها من ذخيرةٍ وعَتاد ؟
إنّ فى طَيِّها إمامَ صُفوفٍ وحَوارِىَّ نِيَّةٍ واعتقاد(٦)
لو تركتم لها الزِّمامَ لجاءت وحدَها بالشهيد دارَ الرشاد

---

١ ــ الاسعاد : الاعانة ، تقول : اسعدنى على كذا ، اى اعنى عليه .
٢ ــ الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغنى ــ٣ــ القتاد : شجر صلب له شوك كالابرة ــ٤ــ لبد ، بضم اللام وفتح الباء : علم على آخر نسور لقمان ، زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة انسر ، كان آخرها النسر المسمى : لبد ، اما قوله (واظن النسر » فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر ، وانما يقصد أحد الكواكب فى السماء معروفا باسم النسر ، يقول ان لكل كائن سهم من المنية مقدور ــ٥ــ ساقة الجيش او ساقة النعش : هم السائرون فى المقدمة . والاتئاد : بمعنى الترفق والتمهل ــ٦ــ الحوارى : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

انظروا ، هل تَرَوْنَ فى الجمعِ مصرًا حاسرًا قد تجلَّلتْ بسواد ؟
تاجُ أحرارِها غُلاماً وكهلاً راعَها أن تراه فى الأَصفاد
وسَّدُوه الترابَ نِضْوَ سِفارٍ فى سبيلِ الحقوقِ نِضْوَ سُهاد(١)
واركزوه إلى القيامة رُمْحًا كان للحَشْدِ ، والنَّدَى ، والطِّراد
وأَقِرُّوه فى الصفائح عَضْبًا لم يَدِنْ بالقَرار فِي الأَغماد
نازحَ الدارِ ، أَقْصَرَ اليومَ بَيْنٌ وانتَهَتْ مِحْنَةٌ ، وكفَّتْ عوادى(٢)
وكفَى الموتُ ما تخاف وترجو وشَفَى من أَصادقٍ وأَعادى
مَن دَنا أو نأَى فإنَّ المنايا غايةُ القربِ أو قُصارَى البِعاد
سِرْ مَعَ العمرِ حيثُ شِئْتَ تَثُوبا وافقد العمر لا تُوْبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لا الذى زعموه فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظُه على أَلْسُنِ النا سِ ، ومعناه فى صدور الصِّعاد(٣)
يَتحلَّى به القوىُّ ولكنْ كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد
هل تَرى كالترابِ أحسنَ عدلاً وقياماً على حقوق العباد ؟(٤)
نزل الأَقوياءُ فيه على الضَّعْ فَى ، وحلَّ الملوكُ بالزُّهَّاد
صفحاتٌ نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسْـــلِ ، مَغسولةٌ من الأَحقاد
قُمْ إنِ اسْطَعْتَ من سريرك ، وانظر سِرَّ ذاك اللواءِ فى الأَجناد

١ــ النضو : المهزول الجسم ــ٢ــ عوادى الدهر : عوائقه ــ٣ــ الصعاد : الرماح ــ٤ــ يقول : انه لم يجد الحق خالصا فى هذه الارض الا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا الا فى التراب ، حيث يسوى الاقوياء بالضعفاء ، والطامعين بالقانعين .

هل تَراهم وأنتَ مُوفٍ عليهم غيرَ بُنْيَانِ أُلْفَةٍ واتِّحاد؟(١)
أُمةٌ هُيِّئَتْ وقومٌ لخير الدَّهْـ ـرِ أو شرِّه على استعداد
مصرُ تبكى عليك فى كل خِدْرٍ وتَصوغُ الرثاءَ فى كل نادى
لو تأَمَّلْتَها لراعَك منها غُرَّةُ البرِّ فى سَوادِ الحِداد
مُنْتهَى ما به البلادُ تُعزَّى رجُلٌ مات فى سبيل البلاد
أمّهاتٌ لا تحمل الثُّكلَ إلا للنجيب الجرىء فى الأَولاد
(كفريدٍ)، وأين ثانى فريدٍ ؟ أىُّ ثانٍ لواحدِ الآحاد ؟
الرئيسِ الجوادِ فيما علمنا وبَلِيْنا وابنِ الرئيسِ الجواد ؟
أكلَتْ مالَهُ الحقوقُ ، وأَبْلى جِسمَهُ عائدٌ من الهمِّ عادى
لك فى ذلك الضَّنَى رِقَّةُ الرو ح ، وخَفْقُ الفؤادِ فى العُوَّاد
عِلَّةٌ لم تَصِلْ فِراشَك حتى وطِئتْ فى القلوب والأَكباد
صادفَتْ قُرْحَةً يُلاتمها الصبـ ـرُ ، وتأْبَى عليه غيرَ الفساد
وعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادًا لك فيها ، فكان شرَّ ضِماد
وإذا الرُّوح لم تُنَفِّسْ عن الجسـ ـم (فبقراطُ) نافخٌ فى رَماد(٢)

١ــ يشير هذا البيت الى حقيقة تاريخية ، هى ان عودة الفقيد ميتـا كانت فى زمن اتحاد الامة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك احزاب مختلفة المطالب وقتئذ ــ٢ــ بقـراط : هو ابو الطب ، كمـا يقولون .

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تَتَقِدُ والدموعُ تَطَّرِدُ
أَيُّهَا الشَّجِيُّ ، أَفِقْ من عَناءٍ ما تجد
قد جرَتْ لغايتها عَبْرَةٌ لها أَمد
كلُّ مُسْرِفٍ جَزَعاً أَو بُكًى ؛ سيَقْتَصِد
والزمانُ سُنَّتُه فى السُّلُوِّ يجتهد
قل لثاكِلَيْنِ مشَى فى قواهما الكَمَد
لم يُعافَ قبلَكما والدٌ ، ولا وَلَد
الذين مِيلَ بهم فى سِفارِهم بَعُدُوا
ما علمنا أَشَقُوا بالرحيل أَم سَعِدوا ؟
إن منزلاً نزلوا لا يَرُدُّ مَن يَرِد
كلُّنا إليه غدًا ليس بالبعيد غَدُ

* * *

البنونَ هم دَمُنا والحياةُ والوُرُد(١)
لا تَلَدُّ مثلَهم مُهْجَةٌ ، ولا كَبِد
يستوون واحِدُهم ـ فى الحنان ـ والعَدَد
زينةٌ ، ومصلحةٌ واستراحةٌ ، ودَدُ(٢)

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل « بك » فى فقد وحيده سنة ١٩٣٥ .

١ ـ الورد : جمع ورید ، كبريد وبرد ـ٢ـ الدد ـ بالفتح ـ اللهو واللعب .

فتنةٌ إذا صَلحوا مِحْنةٌ إذا فسدوا
شاغلٌ إذا مَرِضوا فاجعٌ إذا فُقِدوا
جُرحُهم إذا انتُزِعوا لا تَلمُّه الضُّمدُ
العزاءُ ليس له آسِياً ، ولا الجَلَد

* * *

قل (لِهيكل) كَلِمًا من ورائها رَشَد
لم يَشُبْ مهذّبَها باطلٌ ولا فَنَد(١)
قد عَجِبْتُ مِن قَلَمٍ ثاكلٍ ويَنْجَرِد
أنتَ ليثُ معركةٍ وهو صارمٌ فَرَد
والسيوفُ نَخْوَتُها فى الوَطِيس تَتَّقِد(٢)
أنت ناقدٌ أَرِبٌ والأَريبُ ينتقد
ما تقول فى قَدَرٍ بعضُ سِنِّهِ الأَبَد؟
وهْوَ فى الحياة على كلِّ خُطْوَةٍ رَصَد
يَعثُر الأَنامُ به إن سَعَوا ، وإن قعدوا
يَنْزِلُ الرجالُ على حُكْمِه وإن جَحَدوا
القضاءُ مُنْضِلةٌ لم يَحلُّها أَحَد
كلّما نقضْت لها عُقْدَةً بدتْ عُقد
أتعَبَتْ مُعالجها واستراح مُعْتقِد

* * *

١ــ الفند : هو الكذب .
٢ــ الوطيس : الحرب .

عالَمٌ مُدَبَّرُه بالبقاء مُنْفَرِد
مِن بِلَى كَوائِنه كائناتُه ـ الجُدُد
لا تقل به إدَدٌ إنّ حُسْنَه الإددَ(١)
تلتقى نقائضُه غايةً وتتّحِد
الفَناء فيه يدٌ للبقاء أو عَضُد
ائْتِلافُه رَشَدٌ واختلافُه سَدَد
جَدٌّ فى عمارته مُنْصَفٌ ومضْطَهَد
والغنى لخِدمته كالفقير محتشِد
وهو فى أعِنَّتِه مُمْعِنٌ ومُطَّرِد
والحياةُ حَنْظَلَةٌ فى حروفها شُهُد
هَيكلُ الشقاءِ له من مَدامِعٍ عَمَد
قامت النعوش على جانبَيْهِ والوُسُد
عُرْسُه ومَأْتَمُهُ غايتاهُما نَفَدُ

١ــ الادد ــ جمع اداة ، بالكسر ــ وهى الداهية .

ثروت باشا (*)

يموت فى الغابِ أو فى غيرِه الأسدُ كلُّ البلادِ وِسادٌ حين تُتَّسَدُ(١)
قد غَيَّبَ الغربُ شمسًا لا سَقامَ بها كانت على جَنَباتِ الشرقِ تَتَّقِد
حدا بها الأَجَلُ المحتومُ فاغتربَتْ إن النفوسَ إلى آجالِها تَفِد
كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ فى الحياةِ سوى يومٍ يُفارِقُ فيه المُهجةَ الجسدُ

* * *

نعى الغمامَ إلى الوادى وساكنِه برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجَلد
برقُ الفجيعةِ لما ثار ثائرُه كادتْ كأمسٍ له الأحزابُ تَتَّحِد
قام الرجالُ حيارَى مُنصِتين له حتى إذا هدَّ من آمالهم قعدوا
علا الصعيدَ نهارٌ كلُّه شجَنٌ وجلَّل الريفَ ليلٌ كلُّه سُهُدُ
لم يُبْقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا ولم يَرُدَّ على الباكين ما فقدوا
وراءَ رَيْبِ الليالى أو فُجاءتِها دمعٌ لكلِّ شماتٍ ضاحكٍ رَصَد(٢)

* * *

باتت على الفُلْكِ فى التابوتِ جَوْهَرَةً تكادُ بالليل فى ظلِّ البِلَى تقِدُ(٣)
يُفاخِرُ النيلُ أصداف الخليج بها وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرِدُ(٤)

(*) هو المغفور له عبدالخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما ، وسياسيا اداريا خطيرا ، تولى رياسة الحكم فى البلاد اكثر من مرة ، وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر الى أوربا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر ، فلم يمهله الموت ، فقضى بفرنسا فى سنة ١٩٢٨ ، وجىء به ميتا ، وكان بينه وبين امير الشعراء صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر اثرهما فى هذه المرثية ، التى تقراها فتحس رجعها يعود اليك من اعماق الخلود .

١ــ هذا المطلع يشير الى موته بفرنسا ــ٢ــ رصد : بمعنى مترقب .
٣ــ يشير الى مجيئه من اوربا فى نعش على الباخرة . وتقد : تضىء .
٤ــ يريد بالخليج : الخليج الفارسى . وبالبحرين : مجموعة جزر عربية بالقرب من الشاطىء الغربى للخليج الفارسى ، وعندها يصاد اللؤلؤ .

إنّ الجواهرَ أسناها وأكرمُها ... مايقذِفُ المهدُ ، لامايقذفُ الزَّبَدُ
حتى إذا بلغ الفلكُ المدى انحدَرتْ ... كأنّها فى الأكفِّ الصارمُ الفرِد
تلك البقيَّةُ من سيف الحمى كِسَرٌ ... على السرير ، ومن رُمح الحِمى قِصَد(١)
قد ضمّها فزكا نعْشٌ يُطاف به ... مُقدَّمٌ كلِواءِ الحقِّ مُنفرِد
مشتْ على جانبيه مصرُ تَنْشُدُه ... كما تدلَّهَت الثَّكْلَى ، وتَفتقِد(٢)
وقد يموت كثيرٌ لا تُحِسُّهمُ ... كأنّهم من هَوانِ الخطب ما وُجِدوا
ثُكْلُ البلاد له عقلٌ ، ونكْبتُها ... هى النجابةُ فى الأولاد ، لا العدد

* * *

مُكلِّلُ الهامِ بالتصريح ، ليس له ... عودٌ من الهام يَحويه ولا نَضد(٣)
وصاحبُ الفضلِ فى الأعناقِ ليس نه ... من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَد
خلا من المِدْفَع الجبَّارِ مَركَبُهُ ... وحلّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشَد
إن المدافِعَ لم يُخْلَقْ لصُحبتها ... جندُ السلام ، ولا قُوّادُه المُجُد

* * *

يا بانِيَ الصرح لم يَشغَله مُمتدِحٌ ... عن البناء ، ولم يصرفه مُنتقِد
أصمَّ عن غضبٍ مِنْ حَوْلِه ورِضًى ... فى ثورةٍ تَلِدُ الأبطالَ أو تَئِد(٤)

١ــ القصد ــ بكسر القاف ــ : جمع قصدة ــ بكسرها ايضــا ، وهى القطعة مما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : اى منكسر ــ٢ــ التدله : ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما . وقــوله : « تفتقد » من قولهم : وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر ــ٣ــ العود هنا : هو السرير . النضد ــ محركة الضاد ــ ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه . كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير ، كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام أو منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل ، ومن هذا النحو يقول البيت التالى : « وصــاحب الفضــل فى الاعناق ... الخ» ــ٤ــ يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والواد : دفن الأحياء ، يريد انه كان يعمل فى بناء صرح الوطن ، بدون رغبــة فى مدح ، او خوف من ذم ، فى شجاعة لا تخاف الثورة ، وهى لا عقل لها .

تصريحُك الخطوةُ الكبرى ومرحلةٌ يدنو على مثلها ، أو يبعد الأَمَد
الحقُّ والقوةُ ارتدّا إلى حَكَمٍ من الفياصل ، ما فى دينه أوَد
لولا سِفارتُك المهديّةُ اختصما ومَلَّ طُولَ النِّضالِ الذئبُ والنَّقَد(١)
مازِلْت تَطرقُ بابَ الصلح بينهما حتى تفتحت الأَبوابُ والسُّدَد
وجَدْتها فرصةً تُلْقى الحِبالُ لها إنَّ السياسةَ فيها الصَّيْدُ والطَّرَد(٢)
طلبْتَها عندَ هُوجِ الحادثاتِ كما يمشى إلى الصيد تحتَ العاصفِ الأَسَد
لما وجدت مُعدّاتِ البناءِ بنَتْ يداك للقوم ما ذمُّوا وما حمدوا
بنيت صَرحك من جُهد البلاد ، كما تُبْنَى مِن الصَّخرِ الآسائُس والعُمُد
فيه ضحايا من الأَبناءِ قَيَّمةٌ وفيه سَعْىٌ من الآباءِ مُطَّرِد
وفى أواسِيه أقلامٌ مُجاهدةٌ على أَسنَّتِها الإحسانُ والسَّدَد(٣)
وفيه ألويةٌ عزَّ الجهادُ بهم لولا المنيَّةُ ما مالوا ، ولا رقدوا
رميْت فى وَتدِ الذلِّ القديمِ به حتى تَزعزعَ من أسبابه الوتِد
طوى حِمايتَهُ المحتَلُّ ، وانبسطتْ حمايةُ اللهِ ، فاسْتذْرَى بها البلد
نَمْ غيرَ باكٍ على ماشِدْت من كرمٍ ماشِيدَ للحقِّ فَهْوَ السَّرْمَدُ الأَبد
يا (ثروةَ) الوطنِ الغالى ، كفَى عظةً للناس أنك كنزٌ فى الثرى بَدَد(٤)
لم يُطْغِك الحكمُ فى شتَّى مَظاهرِه ولا استخفَّك لِينُ العيشِ والرَّغَد
تغْدُو على الله والتاريخِ فى ثِقةٍ ترجو فتُقْدِمُ ، أو تخْشَى فتَتَّئِد
نشأْتَ فى جَبْهةِ الدنيا ، وفى فمِها يدورُ حيثُ تَدور المجدُ والحسَد

١ــ النقــد : جنس من الغنم قبيح الشــكل ، من الهــزال او غيره .
٢ــ الطرد : مطاردة الصيد ــ٣ــ الاواسى : جمع آســية ، وهى من البنــاء : المحكم الدعامة . والســدد : بمعنى السداد ، اى الصواب ــ٤ــ البدد : المتفرق .

لكلِّ يومٍ غَدٌ يمضى برَوْعَتِهِ وما ليومِكَ يا خيرَ اللِّداتِ غدُ
رَمَتْكَ فى قنواتِ القلبِ فانصدعَتْ منِيَّةٌ ما لها قلبٌ ، ولا كَبِد
لمّا أناخَتْ على تامُورِك انفجرَتْ أزكَى من الوَرْدِ ، أو من مائه الوُرُد(١)
ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه فيه الصديقُ وفيه الأَهلُ والولد
ولم تطاوِلْكَ خوفاً أن يُناضلَها منك الدهاءُ ورأىٌ مُنقِذٌ نَجِد
فهل رثى الموت للبرِّ النَّبِيحِ ؟ وهل شجاه ذاك الحنانُ الساكنُ الهَمِد؟
هَيْهَات ! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ لم يَبكِ من آدمٍ أحبابَه أحد
مَشَتْ تَذُودُ المنايا عن وَديعتها مدينةُ النُّورِ ، فارتدَّتْ بها رَمَد(٢)
لو يُدفعُ الموتُ رَدَّتْ عنك عادِيَهُ للعلم حولكَ عينٌ لم تنمْ ويَد

* * *

«أبا عزِيز» سلامُ اللهِ ، لا رُسُلٌ إليك تحمل تسليمى ، ولا بُرُدُ(٣)
ونفحةٌ من قوافى الشعر كنت لها فى مجلسِ الراحِ والرَّيْحانِ تحْتَشِد
أرسلتُها وبعثْتُ الدمعَ يكنُفُها كما تَحدَّرَ حولَ السَّوْسَن البَرَد(٤)
عطفتُ فيك إلى الماضى ، وراجعنى وُدٌّ من الصغَرِ المعسولِ مُنعقِد
صافٍ على الدهر لم تُقْفِرْ خليَّته ولا تغيّر فى أبياتها الشُّهُد
حتى لمحتُكَ مَرموقَ الهلالِ على حداثةٍ تَعِدُ الأوطانَ ما تَعِد
والشعرُ دمعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطفةٌ ياليتشعرىَهل قُلْتُ الذى أَجِد؟(٥)

١ــ التامور : القلب . والــورد ، جــمع ورِيد : العــرق فى الجسم .
٢ــ مدينة النور : تطلق فى هذا العصر على باريس ــ٣ــ البرد : جمع بريد .
٤ــ الســوسن : نوع من الزهر ، والبرد : هو ما يتساقط من المطر كحبــات الثلج ــ٥ــ اى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

عبد العزيز جاويش(*)

أصاب المجاهدُ عُقْبَى الشهيد ... وألقى عَصاه المضافُ الشَّريد
وأمسى جَمادًا عدوُّ الجمودِ ... وباتَ على القيد خَصمُ القيود
حَداه السَّفارُ إلى مَنزلٍ ... يلاقى الخفيفَ عليه الوئيد
فقَرَّ إلى موعدٍ صادقٍ ... مُعِزُّ اليقينِ مُذِلُّ الجحود
وبات الحَوارِىُّ من صاحِبَيْهِ ... شَهيدَيْن أسْرَى إليهم شهيد
تَسَرّبَ فى مَنْكِبَىْ (مصطفى) ... كأَمسِ ، وبينَ ذِراعَىْ (فريد)(١)
فيالَكَ قبرًا أَكَنَّ الكنوزَ ... وساجَ الحقوقَ ، وحاط العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ ... فهل أنت ياقبرُ أوفى الغُمود ؟
ثَلاثُ عقائدَ فى حفرةٍ ... تَدُكُّ الجبالَ ، وتُوهِى الحديد
قَعَدْنَ فكُنَّ الأَساسَ المتينَ ... وقام عليها البناءُ المَشِيد
فلا تَنْسَ أمسِ وآلاءه ... ألا إن أمسِ أساسُ الوجود(٢)
ولولا البِلَى فى زوايا القبورِ ... لما ظهرَتْ جِدَّةٌ للمُهود
ومَنْ طلب الخُلْقَ من كنزه ... فإن العقيدةَ كنزٌ عَتيد
تعلَّمَ بالصبر ، أو بالثباتِ ... جَلِيدُ الرجالِ ، وغيرُ الجليد

* * *

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، أحد السابقين فى خدمة القضية المصرية ، كان زعيما سياسيا دينيا عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الاسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفى والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد الى مصر ولم يلبث الا بضع سنين ، ومات فى سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها .

١ــ هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى ، وكانا صاحبى الفقيد فى المبدأ والجهاد .

٢ــ الآلاء : النعم .

طَريدَ السياسةِ منذُ الشبابِ لقد آن أن يستريح الطريد
لقيتَ الدواهِيَ من كيْدها وما كالسياسة داهٍ يكيد(١)
حَمَلْتَ على النفس ما لا يطا قُ ، وجاوزَتِ المستطاعَ الجهود
وقُلِّبْتَ فى النار مثلَ النُّضا رِ ، وغُرِّبْتَ مثلَ الجُمانِ الفريد
أتذكر إذْ أنتَ تحت (اللواءِ) نَبِيهَ المكانةِ ، لجَمٌّ العديد ؟(٢)
إذا ما تطلَّعْتَ فى الشاطئين رَبا الريفُ، وافتنّ فيك الصعيد
وهزّ الندِىُّ لك المنكِبَيْنِ وراحَ الثرى من زحامٍ يَميد
رسائلُ تُذرِى بسجع البديعِ وتُنْسِى رسائلَ عبدِ الحميد
يَعِيها شيوخُ الحِمَىٰ كالحديث ويحفظها النَّشْءُ حِفْظ النشيد
فما بالُها نَكِرَتْها الأُمورُ وطولُ المدَى ، وانتقالُ الجُدود ؟(٣)
لقد نسىَ القومُ أمسِ القريبَ فهل لأحاديثه من مُعيد ؟
يقولون : ما (لأبى ناصرٍ) وللتُّرْكِ ؟ ما شأنُه والهنود ؟
وفِيمَ تحمَّل هَمَّ القريبِ من المسلمينَ وهَمَّ البعيد ؟
فقلتُ : وما ضرّكم أن يَقومَ من المسلمين إمامٌ رشيد ؟
أتستكثرون لهم واحدًا ولَّى القديم نصيرَ الحديد ؟
سَعى ليؤلِّف بينَ القلوبِ فلم يَعْدُ هَدْىَ الكتابِ المجيد
يَشُدُّ عُرا الدين فى داره ويدعو إلى الله أهلَ الجحود
ولِلقومِ حتى وراءَ القفارِ دعاةٌ تُغنِّى ، ورُسْلٌ تشيد

* * *

١ــ الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الامــر العظيم ــ٢ــ كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول ــ ٣ ــ الجدود هنا : بمعنى الحظوظ .

جزى الله مَلْكًا من المحسنين رءُوفُ الفؤادِ ، رحيمُ الوريد(١)
كأَنَّ البيانَ بأَيامه أَو العِلْمَ تحتَ ظلالِ (الرشيد)(٢)
يُداوِى نداه جِراحَ الكرامِ ويدركهم فى زوايا اللُّحود
أَجارَ عِيالَك من دهرهم وجاملهم فى البلاء الشديد
تولى الوليدة فى يُتمها وكفكفَ بالعطف دمعَ الوليد

* * *

سلامٌ (أَبا ناصرٍ) فى التراب يُعِير الترابَ رَفِيفَ الوُرود
بَعُدْتَ وعزَّ إليك البريدُ وهل بينَ حَىٍّ ومَيْتٍ برِيد ؟
أَجَلْ ؛ ببننا رسلُ الذكرياتِ وماضٍ يُطِيفُ ، ودمعٌ يجود
وفكرٌ وإن عقلَتْه الحياةُ يَظَلُّ بوادى المنايا يَرود(٣)
أَجَلْ ؛ بيننا الخُشُبُ الدائباتُ وإن كان راكبُها لا يعود
مضى الدهرُ وهْىَ وراءَ الدموعِ قيامٌ بمُلْكِ الصَّحارى قُعود
وكم حملَتْ من صَديدٍ يَسيلُ وكم وضَعَتْ من حِنانٍ ودُود
نَشَدْتُكَ بالموت إلا أَبنْتَ أَأَنت شَقِىٌّ به أَم سعيد ؟
وكيف يُسَمَّى الغريبَ امرؤٌ نَزِيلُ الأُبُوَّةِ ، ضَيْفُ الجُدود ؟(٤)
وكيف يُقال لجار الأَوائـ ـلِ جارِ الأَواخرِ : ناءٍ وَحيد ؟

١ــ هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر، حيث تعطف على ابناء الشهيد ولم يتركهم بعد وفاة ابيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
٢ــ هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب فى عهــده اعتزازا كبيرا .
٣ــ يزود : اى يبحث ويكتشف ــ٤ــ يقول : ان الميت ينزل فى التراب ضيفا على آبائه وجدوده ، اذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

كأْسٌ مِن الدنيا تُدارْ مَنْ ذاقها خَلع العِذارْ(١)
الليلُ قوّامٌ بها فإذا وَنَى قام النهار
وحَبا بها الأَعمارَ ، لم تدُم الطِّوالُ ، ولا القِصار
شَرِبَ الصبيُّ بها ، ولم يخل المُعَمَّرُ مِن خُمار
وحَسا الكرامُ سُلافَهَا وتناول الهَمَلُ العُقار(٢)
وأَصاب منها ذو الهوى ما قد أَصاب أَخو الوقار
ولقد تميلُ على الجما د ، وتصرَع الفلَكَ المُدار
كأْسُ المنيّةِ فى يدٍ عَسْراءَ ، ما منها فِرار(٣)
تجرى اليمينَ ، فَمَنْ تولَّى يَسْرَةً جَرَت اليَسار
أَوْدَى الجرىءُ إذا جرى والمستميتُ إذا أَغار
ليثُ المعامعِ ، والوقا ئع ، والمواقِع ، والحِصار
وبقيّةُ الزُّمَرِ التى كانت تَذود عن الذِّمار
جندُ الخلافةِ ، عَسكرُ السـ ـلطانِ ، حاميةُ الديار
ضاقت (كريدُ) جبالُها بلك يا (خلوصى) والقِفار

(*) وجه هذه التعزية الى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الاميرالاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا فى قمع الثورة فى الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

١ــ العذار : الحياء والوقار ــ٢ــ السلاف والعقار : من أسماء الخمر ، يقال : حسا فلان الماء اذا شربه شيئا بعد شيء ــ٣ــ يقال للرجل : أعسر ، اذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر اذا كان مذكرا ، وبالعسراء اذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ، لانها كذلك .

أيّامُكم فيها – وإن طال المدى – ذاتُ اشْتِهار
عَلِمَ العدوُّ بأنكم أنتم لِمعْصمِها سِوار
أخْدَقْتُمُ بمقرِّه فتركتموه بلا قرار
حتى اهتدى مَنْ كان ضـ ـلَّ ، وثاب من قد كان ثار
واعْتزَّ ركنٌ للولا يةِ كان مُنْقضَّ الجِدار

* * *

عِشْ للعُلا والمجدِ – يا خيرَ البنين – ولِلفخار
أبكى لدمعك جارياً ولدمع إخوتِكَ الصِّغار
وأوَدُّ أنكُمُ رجا لٌ مثل والدِكم كِبار
وأريد بيتَكُمُ عما را ، لا يُحاكيه عمَار
لا تخرجُ النَّعماءُ منـ ـه ، ولا يُزايِلُه اليَسار

ذكرى هيجو (*)

ما جلَّ فيهم عيدُكَ المأثورُ إلا وأنت أجلُّ يا فكتور
ذكروكَ بالمئة السنينَ ، وإنها عُمرٌ لمثلكَ فى النجوم قصير
ستدوم مادام البيانُ ، ومارتقت للعالمين مَدارِكٌ وشعور
ولئن حُجِبْتَ فأنت فى نظر الورى كالنجم لم يُرَ منه إلا النور
لولا التُّقَى لفتحْتُ قبرَك للمَلا وسألتُ : أين السيِّدُ المقبور ؟(١)
ولقلتُ : ياقومُ انظروا إنجيلكم هل فيه من قلم الفقيد سُطور؟
مَنْ بعدَه مَلكَ البيانَ ؟ فعندكم تاجٌ فقدتم رَبَّهُ وسرير

مات القريضُ بموت (هوجو) ، وانقضى
مُلْكُ البيانِ ، فأنتُمُ جُمهور

ماذا يزيد العيدُ فى إجلاله وجَلاله بيَراعِه مَسطور ؟
فقدَتْ وجوهُ الكائناتِ مُصَوِّرًا نزل الكلامُ عليه والتصوير
كُشِفَ الغطاءُ له ، فكلُّ عبارةٍ فى طَيِّها للقارئين ضَمير
لم يُعْيِهِ لفظٌ ، ولا معنًى ، ولا غرضٌ ، ولا نظمٌ ، ولا منثور
مُسْلِي الحزينِ يَفُكُّهُ من حزنه ويَرُدُّه لله وهْوَ قرير
ثأرَ الملوك ، وظلَّ عندَ إبائه يرجو ويأمل عفوَه المثؤور
وأعارَ (واترلو) جلالَ يَراعِه فجلالُ ذاك السيفِ عنه قصير(٢)
يا أيُّها البحرُ الذي غمر الثرى ومِنَ الثرى حُفَرٌ له وقبور
أنت الحقيقةُ إن تَحجَّبَ شخصُها فلها على مرِّ الزمانِ ظهور

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير (فيكتور هيجو لمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

١ــ الملأ : جماعة الناس ــ٢ــ واترلو : علم على موضع من المواضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

ارفعْ حِدادَ العالمين وعُدْ لهم كَيْما يُعَيِّد بائسٌ وفقير
وانظرْ إلى البُؤساء نظرةَ راحمٍ قد كان يُسعد جَمْعَهم ويُجير(١)
الحالُ باقيةً كما صَوَّرْتَها من عهد آدَم ما بها تغيير
البؤس والنُّعْمى على حاليهما والحظُّ يَعدِل تارةً ويجور
ومن القوىُّ على الضعيف مُسَيْطِرٌ ومن الغنىُّ على الفقير أمير
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتها تَأْوِى إلى أحقادها وتثور
والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتنقضى والموتُ أصدقُ ، والحياةُ غرور(٢)

١ـ يشير الى رواية البؤساء ، تأليف فكتور هيجو ـ٢ـ العيش آمال تجد : أى تتجدد .

عبده الحامولى (*)

ساجعُ الشرقِ طار عن أوكارِه وتَوَلّى فنٌّ على آثاره(١)
غاله نافذُ الجناحين ماضٍ لا تَفِرُّ النسورُ من أظفاره
يطْرُق الفرخَ فى الغُصون ويَغشَى (لُبَدًا) فى الطويلِ من أعماره(٢)
كان مِزمارَهُ ، فأصبح داو دُ كئيباً يبكى على مِزماره(٣)
(عبدُهُ) بَيْدَ أن كلَّ مُغَنٍّ عَبْدُه فى افتنانِه وابتكاره
مَعْبَدُ الدَّوْلَتَيْنِ فى مصرَ ، وإسحا قُ (السَّمِيَّيْنِ) رَبُّ مصرٍ وجاره(٤)
فى بِساط الرشيدِ يوماً ، ويوماً فى حِمَى جعفرٍ وضافى سِتاره(٥)
صَفْوُ مُلْكَيْهما به فى ازدياد ومن الصَّفو أن يلوذَ بداره
يُخْرِج المالكين من حِشْمَةِ المُلْ كِ ، ويُنْسِى الوقورَ ذِكْرَ وَقاره
رُبَّ ليلٍ أغارَ فيه القَمارى وأثارَ الحِسانَ من أقماره(٦)

(*) توفى عبده الحامولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الالحان ، هذا الى اريحية ومروءة يضرب بهما المثل .

١ــ الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر ــ٢ــ لبد : اسم نسر .
٣ــ يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب المزامير .
٤ــ يشبهه بمعبد واسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من ارباب الأقطار الغربية . يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد واسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره ، والغرض أن المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد ، الى بساط الوزراء المشابهين لجعفر ــ٦ــ القمارى : جمع قمرية ، نوع من الحمام حسن التغريد . والاقمار : جمع قمر . يريد انه كان يطرب الحسان الشبيهات بالاقمار .

بصَبًا يُذْكِرُ الرِّياضَ صَباهُ وحجازٍ أرقّ مِن أسحاره(١)
وغناءٍ يُدارُ لحْنًا فلَحْنًا كحديثِ النديمِ أو كعُقاره
وأنِينٍ لو أنه من مَشوقٍ عرف السامعون مَوْضِعَ ناره
يتمنَّى أخو الهوى منه آهاً حينَ يُلْحَى تكون من أعذاره
زَفَراتٌ كأنها بَثُّ (قيسٍ) فى معانى الهوى وفى أخباره(٢)
لا يُجاريه فى تفَنُّنِه العو دُ ، ولا يَشْتَكِى إذا لم يُجارِه
يسمع الليلُ منه فى الفجر : يالي لُ ، فيُصْغِى مُسْتَمْهِلاً فى فِراره
فُجِع الناسُ يومَ مات (الحمولى) بدواءِ الهمومِ فى عَطَّاره
بأَبِى الفنِّ ، وابنِه ، وأخيهِ القوىِّ المكينِ فى أسراره
والأَبِىِّ العفيفِ فى حالَتيْهِ والجوادِ الكريمِ فى إيثاره
يَحْبِسُ اللحنَ عن غَنِىٍّ مُدِلٍّ ويُذيقُ الفقيرَ من مُختاره(٣)
يا مُغيثًا بصوته فى الرزايا ومُعينًا بماله فى المَكاره
ومُجِلَّ الفقيرِ بين ذَويه ومَعِزَّ اليتيمِ بين صِغاره
وعِمادَ الصديقِ إن مال دهرٌ وشِفاءَ المحزونِ من أكداره
لستَ بالراحلِ القليلِ فتُنسى واحدُ الفنِّ أُمَّةٌ فى ديارِه

---

١ ــ صبا الرياض ــ بفتح الصاد ــ : نسيمها . أما كلمة « صبا » الواقعة فى أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد أيضا ، كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ؛ وكذلك « حجاز » : نغمة معروفة فى الغناء أيضا ــ٢ــ قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى ــ٣ــ المدل بالمال: المتباهى به ، يشير هذا البيت الى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه ، أنه كان يلجأ اليه الفقراء ليحيى أفراح أولادهم ، فيحسن اليهم ، ويجيب طلبهم ، وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما آثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة احد الاغنياء الكبار ، ويروى له فى هذا الباب حكايات كثيرة .

غايةُ الدهرِ إن أتى أو تَوَلَّى ما لقيتَ الغداةَ من إدباره
نزل الجد فى الثرى ، وتساوَى ما مضى من قيامه وعِثاره
وانقضى الدائُ باليقين من الحا لَيْن ، فالموتُ مُنتهَى إقصاره
لَهْفَ قومى على مخايل عزٍّ زال عنّا بروضِهِ وهَزاره(١)
وعلى ذاهبٍ من العيش ، ولَّيْ تَ فولَّى الأخيرُ من أوطاره
وزمانٍ أنت الرُّضَى من بقايا هُ ، وأنت العَزاءُ من آثاره
كان للناس ليلُه حينَ تشدو لحقَ اليومَ ليلُه بنهاره

١ــ الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى .

قاسم بك أمين (*)

يا أيُّها الدَّمعُ الوَفِىُّ ، بدارِ نقضى حقوقَ الرفقةِ الأَخيار(١)
أنا إن أَهنتُك فى ثراهم فالهوى والعهدُ أَن يُبْكَوْا بدمعٍ جارى(٢)
هانوا وكانوا الأَكرمين ، وغُودروا بالقَفْر بعدَ منازلٍ ودُيار
لهفى عليهم ؛ أُسْكِنوا دورَ الثرى من بعد سُكْنَى السمعِ والأَبصار
أَين البشاشةُ فى وسم وجوههم والبشرُ للندماء والسُّمّار ؟(٣)
كنا من الدنيا بهم فى رَوْضةٍ مَرّوا بها كنسائم الأَسحار

* * *

عطفاً عليهم بالبكاء وبالأَسى فتَعهُّدُ الموتى من الإيثار(٤)
ياغائبينَ وفى الجوانح طَيْفُهم أَبكيكُمُ من غُيَّبٍ حُضَّار
بينى وبينكمُ وإن طال المدَى سَفرٌ سأَزمَعُه من الأَسفار
إنى أَكادُ أَرى محلَّىَ بينكم هذا قَرارُكُمُ ، وذاك قَرارى

* * *

أَوَكُلَّما سَمح الزمانُ وبُشِّرَت مصرُ بفردٍ فى الرجال مَنار(٥)
فُجِعَتْ به ، فكأَنه وكأَنها نجمُ الهدايةِ لم يَدُمْ للسارى ؟

(*) المرحوم قاسم بك امين هو الزعيم صاحب دعـوة تحرير المراة فى مصر ، وقد توفى فى سنة ١٩٠٩ .

١ــ بدار : يعنى بادر ــ٢ــ يقول : ان الذين ابذل دمعى واهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى ، وليس عجيبا ان يبكى الانسان اهل حبه وهواه . ٣ــ السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصدقاء بالليل ــ٤ــ الايثار : هو ان تعطى لغيرك ما انت محتاج اليه ــ٥ــ المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق .

إنّ المصيبةَ فى (الأمين) عظيمةٌ مَحمولةٌ لمشيئةِ الأقدارِ
فى أرْيَحىٍّ ماجدٍ مُسْتَعْظَمٌ رُزْءُ المعالكِ فيه والأمصارِ
أوْفَى الرجالِ لعهدِه ولِرأيه وأبَرّهم بصديقهِ والجار
وأشَدّهم صَبرًا لمعتقَداتِه وتأدُّباً لمجادلٍ وممارى
يَسقى القرائحَ هادئاً مُتواضعاً كالجَدول المُترقْرِقِ المتوارى
قلْ للسَّماءِ تَغُضُّ من أقمارها تحت الترابِ أحاسنُ الأقمار
من كل وضَّاءِ المآثر فائتٍ زُهرَ النجومِ بذِكْره السيار
تمضى الليالى لا تنال كمالَه بمعيب نقصٍ أو مَشينِ سرار(١)
آثارُه بعدَ الموات حياتُه إنّ الخلودَ الحقَّ بالآثار
يَامَنْ تفرَّد بالقضاءِ وعِلمِه إلا قضاء الواحدِ القهّار
ما زِلتَ ترجوه ، وتخشى سهْمَه حتّى رمَى فأحطْتَ بالأسرار
هلا بُعثتَ فكنت أفصحَ مخْبَرًا عمّا وراءَ الموتِ من (لازار) ؟(٢)
انفُضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى فعَسَاىَ أعلمُ ما يكون غُبارى
هذا القضاءُ الجِدُّ ، فارْوِ ، وهات عن
حُكْمِ المنيةِ أصدقَ الأخبارِ
كلٌّ وإن شَغَفَتْهُ دُنياه هوًى يوماً مُطلّقُها طلاقَ (نَوار)(٣)
لله (جامعةٌ) نَهضْتَ بأمرها هى فى المشارق مَصدرُ الأنوار(٤)

١ــ سرار ــ بفتح السين وكسرها ــ : مشتق من قولهم : استسر القمر ، اذا خفى ليلة السرار ، وهى آخر ليلة أو ليلتين فى الشهر ــ٢ــ لازار أو عازار : اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لكنت أفصح فى اخبارك عن الموت من هذا الرجل ــ٣ــ نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر، فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم ــ٤ــ هى الجامعة المصرية ، وكان للفقيد فضل مذكور فى انشائها .

أُمْنِيَّةُ العُقلاء قد ظفِروا بها بعد اختلافِ حوادثٍ وطَوارى
والعقلُ غايةُ جَرْيه لأَعنَّةٍ والجهلُ غايةُ جَرْيه لعِثَار
لو يعلمون عظيمَ ما تُرْجى له خرجَ الشحيحُ لها من الدينار
تشْرِى المالكُ بالدَّم استقلالَهَا قوموا اشتروه بفضَّةٍ ونُضار
بالعلم يُبنى الملكُ حقَّ بِنائه وبه تُنال جلائلُ الأَخطار
ولقد يُشاد عليه من شُمِّ العُلا ما لا يُشادُ على القنا الخطَّار(١)
إن كان سَرَّك أن أقمتَ جِدارها قد ساءها أن مالَ خيرُ جِدار
أضحت من الله الكَريم بذمَّةٍ مَرْموقةِ الأَعوانِ والأَنصار
كُلِئَتْ بأَنظار (العزيزِ) ، وحُصِّنَتْ
(بفؤادَ) ؛ فهى مَنيعةُ الأَسوار(٢)
وإذا العزيزُ أعارَ أمرًا نظرةً فاليمنُ أعجلُ ، والسُّعودُ جَوارى
ماذا رأَيتَ من الحجاب وعُسرِه فلعَوْنِنا لِتَرَفُّقٍ ويَسار ؟
رأىٌ بَدا لك لم تجدْه مُخالفاً ما فى الكتاب وسُنَّةِ المختار
والبأْسِلان : شجاعُ قلبٍ فى الوَغى وشُجَاعُ رأىٍ فى وَغى الأَفكار
أوَدِدْت لو صارت نساءُ النيلِ ما كانت نساءُ (قُضاعةٍ) و(نِزار) ؟(٣)
يَجمعن فى سلم الحياةِ وحربِها بأْسَ الرِّجالِ وخَشْيةَ الأَبكار
إن الحجابَ سماحةٌ ويَسارةٌ لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى
جَهِلوا حقيقتَه وحِكْمة حُكْمه فتجاوزوه إلى أَذَى وضِرار

* * *

١ــ الخطار : أى المهتز واهتزاز القنا : كناية عن استعداده للقتال .
٢ــ العزيز : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوى عباس وقتئذ . وفؤاد ، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول ــ٣ــ ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات ، وانما المقصود المرأة العربية الموصوفة فى البيت التالى .

ياقُبَة (الغورى) تحتكِ مأثمٌ تَبقى شعائرُه على الأدهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المدى إن فاتهم إحياؤه فى دار
هيهات ! تُنسَى أمةٌ مدفونةٌ فى أربعين من الزمان قِصار
إن شئتَ يوماً أو أردت فحقبةً كلٌّ يمرُّ كليلةٍ ونهار
هاتوا ابنَ (ساعدةٍ) يُؤبِّنُ قاسمًا وخذوا المراثِىَ فيه من (بَشَّار)(١)
من كلِّ لائقةٍ لباذخ قدرِه عَصماءَ بينَ قلائدِ الأشعار

١ــ ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة الايادى ، أحد خطباء العرب الحكماء ، يضرب به المثل فى بلاغة الخطب . وبشار : هو بشار بن برد الشاعر المشهور . يقول ان قاسما لا يؤبنه الا امثال قس من الخطباء وامثال بشار من الشعراء .

تولستوى (*)

(تولستُوىُ) ، تُجرِى آيةُ العلمِ دمعهَا عليك ، ويَبكى بائسٌ وفقيرُ
وشعبٌ ضعيفُ الركنِ زال نَصيره وما كلُّ يومٍ للضعيف نصير
ويَندُب فلَّاحون أنت مَنارُهم وأنت سراجٌ غيَّبوه مُنير
يعانونَ فى الأكواخِ ظُلماً وظلمةً ولا يملكون البثَّ وهْوَ يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى عليهم ، وتَغْشَى دورَهم وتزور
ويَأسَى عليك الدِّينُ ، إذ لك لُبُّه وللخادمين الناقمين قُشور
أيكفر بالإنجيل مَنْ تلك كُتْبُه أناجيلُ منها مُنذِرٌ وبَشير ؟
ويبكيك إلفٌ فوق (ليلى) ندامةً غداةَ مشى (بالعامرىِّ) سَرير
تناولَ ناعيكَ البلادَ كأنه يراعٌ له فى راحَتَيْك صَرير(١)
وقيل : تولَّى الشيخُ فى الأرض هائمًا وقيل : (بدَيْرِ) الراهباتِ أسير
وقيل : قَضَى لم يُغْنِ عنه طبيبهُ وللطبِّ من يطشِ القضاءِ عَذير
إذا أنت جاورْت (المعرِّىَّ) فى الثرى وجاور (رَضْوَى) فى التراب (ثَبير)(٢)
وأقبلَ جمعُ الخالدينَ عليْكما وغالَى بمقدار النظيرِ نظير
جَماجِمُ تحتَ الأرضِ عَطَّرها شذًى جَنَاهُنَّ مسكٌ فوقها وعَبير
بهنَّ يُباهِى بطنُ (حَوَّاءَ) ، واحتوَى عليهن بطنُ الأرضِ وهْوَ فَخور

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير ، كان عالما عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الاخيرة فى روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

١ــ الصرير : التصويت . واليراع : القلم ــ٢ــ المعرى : هو ابو العلاء المعرى ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : اولهما بالمدينة وثانيهما بمكة : يريد تشبيهه هو والمعرى بهذين الجبلين .

فقُلْ ياحكيمَ الدهر حَدِّثْ عن البِلَى فأنت عليمٌ بالأُمور خبير
أحطْتَ من الموتى قديماً وحادثاً بما لم يُحَصِّلْ مُنْكرٌ ونكير :(١)
طوانا الذى يطوى السمٰواتِ فى غدٍ ويَنشُرُ بعدَ الطىِّ وهْو قدير(٢)
تقادم عَهدانا على الموتِ ، واسْتوى طويلُ زمانٍ فى البِلَى وقصير
كأن لم تَضِقْ بالأمس عَنِّى كنيسةٌ ولم يُؤْوِنى دَيْرٌ هناك طَهور
أرى راحةً بين الجنادلِ والحصى وكلُّ فِراشٍ قد أراح وَثير(٣)
نظرنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ وكنّا كِلانا فى الحياة ضَرير
إليكَ اعترافى ، لا لقَسٍّ وكاهنٍ ونجْوايَ بعدَ اللهِ وهْوَ غفور
فزهدُك لم يُنْكِرْه فى الأَرض عارفٌ ولا مُتعالٍ فى السماءِ كبير
بيانٌ يُشَمُّ الوحىُ من نفحاته وعلمٌ كعلم الأنبياءِ غَزير
سلكتُ سبيلَ المُتْرَفِينَ ، ولذَّ لى بنونَ ومالٌ ، والحياةُ غُرور
أداةُ شتائى الدفءُ فى ظلِّ شاهقٍ وعُدَّةُ صيفى جَنَّةٌ وغَدير
ومُتِّعْتُ بالدنيا ثمانين حِجَّةً ونضَّر أيّامى غِنًى وحُبور
وذكرٌ كضوءِ الشمسِ فى كلِّ بَلدةٍ ولا حَظَّ مثلُ الشمسِ حينَ تَسير
فما راعنى إلا عَذارَى أجَرْنَنى ورُبَّ ضعيفٍ تحْتَمِى فيُجير
أردْتُ جِوارَ اللهِ والعمرُ مُنْقضٍ وجاورتُه فى العمر وهْوَ نَضير
صِبًا ، ونعيمٌ بين أهلٍ ومَوْطنٍ ولذّاتُ دنيا ، كلُّ ذاك نَزور(٤)
بهنَّ — ومايدرين : ما الذنبُ؟ — خشيةٌ ومن عَجَبٍ تَخْشَى الخطيئَةَ حُور(٥)

---

١ — يريد انه كان يعرف اشرار النفوس جد المعرفة — ٢ — النشر : هو البعث من الموت ، وهو ايضا ضد الطى — ٣ — الفراش الوثير : اللين الناعم . ٤ — نزور : اى قليل — ٥ — الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحِشٍ ... ولله أُنسٌ فى القلوب ونُور
وأشبهُ طُهْرٍ فى النساء بِمَرْيَمٍ ... فتاةٌ على نَهج المسيحِ تسير
تُساؤلُنى : هل غيَّر الناسُ مابهم ؟ ... وهل حَدَثَتْ غيرَ الأُمور أمور ؟
وهل آثر الإحسانَ والرفقَ عالمٌ ... دواعى الأذى والشرُّ فيه كثير ؟
وهل سلكوا سُبْلَ المحبَّةِ بينهم ... كما يتصافى أُسرةٌ وعَشير ؟
وهل آنَ مِنْ أهل الكتابِ تسامُحٌ ... خَليقٌ بآدابِ الكتابِ جَدير ؟
وهل عالجَ الأحياءُ بؤساً وشِقْوَةً ... وقلَّ فسادٌ بينهم وشرور ؟
قم انظر وأنت المالِئُ الأرضَ حكمةً ... أأجدى نظيمٌ ، أم أفادَ نَثير ؟
أُناسٌ كما تدرى ، ودنيا بحالها ... ودهرٌ رَخِىٌّ تارةً وعَسير
وأحوالُ خلقٍ غابرٍ مُتجدِّدٍ ... تشابه فيها أوَّلٌ وأخير
تمرّ تِباعاً فى الحياة كأنها ... ملاعبُ لا تُرْخَى لهنّ سُتور
وحرصٌ على الدنيا ، ومَيْلٌ مع الهوى ... وغِشٌّ ، وإفكٌ فى الحياة ، وزُور
وقام مقامَ الفردِ فى كلِّ أُمّةٍ ... على الحكم جَمٌّ يستبدّ غَفير
وحُوِّر قولُ الناس : مَوْلَى وعَبْدُه ... إلى قولهم : مُستأْجِرٌ وأجير
وأضحى نفوذُ المال لا أمرَ فى الورى ... ولا نَهْى إلا ما يرَى ويُشير
تسائُس حكوماتٌ به ومماليكٌ ... ويُذْعِن أقيالٌ له وصدور(١)
وعصرٌ بنوه فى السلاحِ ، وحِرْصُهُ ... على السلم يُجْرِى ذكرَه ويُثير
ومن عجبٍ فى ظلِّها وهْوَ وارفٌ ... يُصادف شعبا آمناً ، فيُغير
ويأْخذُ من قوت الفقيرِ وكَسْبِه ... ويُؤْوِى جيوشاً كالحصى ويَمير
ولما استقلّ البرُّ والبحرَ مذهباً ... تَعَلَّقَ أسبابَ السماء يطير

١ــ اقيال : جمع قيل ، وهو الملك . والصدور : جمع صدر ، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قِفوا بالقبور نُسائِلْ عُمَرْ متى كانت الأَرضُ مَثْوَى القمرْ ؟
سلِ الأَرضَ : هل زُيِّنَتْ للعليـــــم ؟ وهل أُرِّجَتْ كالجِنانِ الحُفَر ؟
وهل قام (رضوانُ) من خلفها يُلاقى الرَّضِىَّ النَّقِىَّ الأَبرّ ؟
فلو علِمَ الجمعُ مِمَّنْ مَضَى تنَحَّى له الجمعُ حتى عَبر
إلى جَنَّةٍ خُلِقَتْ للكريم ومَن عَرَفَ اللهَ ، أو مَنْ قَدَر

* * *

برَغْمِ القلوبِ وحيَّاتِها ورَغْمِ السماعِ ، ورَغْمِ البصر
نزولُكَ فى التُّرْبِ زَيْنَ الشبابِ سناءَ « النَّدِىِّ » سَنَى « المؤتمر »(١)
مُقيلَ الصديقِ إذا ما هَفا مُقيلَ الكريمِ إذا ما عثر
حَيِيتَ فكنتَ فخارَ الحياةِ ومُتَّ فكنتَ فخارَ السِّير
عجيبٌ رَداكَ ، وأعجبُ منه حياتُك فى طولها والقِصَر
فما قبلَها سمعَ العالمون ولا علموا مُصحفًا يُختضر
وقد يَقتلُ المرءَ همُّ الحياةِ وشغلُ الفؤادِ ، وكدُّ الفِكر
دَفَنَّا التجاربَ فى حُفرةٍ إليها انتهى بك طولُ السَّفر
فكم لكَ كالنَّجم من رِحلةٍ رأى البدوُ آثارَهَا والحَضَر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا، كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

١ــ الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين فى هليوبوليس ، ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان الاقباط فى أسيوط . والسناء ــ بالمد ــ : الضوء ، ــ وبالقصر ــ : الرفعة .

« نِقاباتُك» الغُرُّ تَبكى عليك ... ويَبكى عليك «النَّدِىُّ» الأَغر
ويبكى فريقٌ تخيَّرتَه ... شَريفَ المَرامِ ، شَريفَ الوَطَر
ويَبكى الأُلَى أنتَ علَّمتَهُمْ ... وأنت غرَسْتَ ، فكانوا الثمر
حَياتُك كانَتْ عِظاتٍ لهم ... ومَوتُك بالأَمسِ إحدى العِبَر
سَهِرنا قُبَيْلَ الرَّدى ليلةً ... وما دارَ ذكرُ الرَّدى فى السمر(١)
فقمتَ إلى حفرة هُيِّئَتْ ... وقمتُ إلى مثلِها تُحْتَفَر
مَددتُ إليك يدًا للوَداع ... ومدَّ يدًا للِّقاءِ القدَر
ولو أنَّ لى علمَ ما فى غدٍ ... خَبَأْتُك فى مُقْلتِى مِن حذَر
وقالوا : شَكَوْتَ ، فما راعنى ... وما أَوَّلُ النارِ إلا شَرَر
رثيتُك لا مالكًا خاطرى ... من الحُزن ، إلا يسيرًا خطر(٢)
ففيك عرفتُ ارتجالَ الدُّموعِ ... ومنك عَلِمْتُ ارتجالَ الدُّرر
مثلُك يُرثَى بآىِ الكتابِ ... ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فيا قبرُ ، كنْ روضةً من رِضًى ... عليه ، وكنْ باقةً من زهَر
سقتْك الدموعُ ، فإن لم يَدُمْنَ ... كعادتِهنَّ سقاك المطر

١ــ السمر : حديث الليل ــ٢ــ يريد : لا مالكا من خاطرى الا بقية قليلة الخر لا تغنى فى رثائك .

عمر بك لطفى (*)

اليومَ أصْعَدُ دونَ قبرِكَ مِنْبَرا وأقلِّدُ الدنيا رِثاءَك جَوْهَرَا
وأقصُّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ تتقدّم العلماءَ فيه مسَطَّرا
ذكرًا لفضلك عندَ مصرَ وأهلِها والفضلَ من جُرُماتِه أن يُذْكَرا
العلمُ لا يُعْلِي المراتبَ وحدَه كم قدّم العملُ الرجالَ وأخَّرا
والعلمُ أشبهُ بالسماء رجالُه خُلِطَتْ جَهاماً فى السحابِ ومُمْطِرا
طُفنا بقبرِكَ ، واستلمنا جَنْدلاً كالركنِ أزْكَى ، والحَطيمِ مُطهَّرا (١)
بين التشرُّفِ والخشوع ، كأنّما نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوَّرا
لو أنصفوكَ جنادلاً وصفائحًا جعلوكَ بالذكر الحكيم مُسَوَّرا
يامَنْ أرانى الدهرُ صحةَ ودِّه والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفْتَرى
وسمعتُ بالخُلُقِ العظيمِ روايةً فأرانى الخلقَ العظيمَ مُصَوَّرا
ماذا لقيتَ من الرُّقاد وطوله ؟ أنا فيك ألقى لوعةً وتحسُّرا
نَمْ ما بَدا لك آمناً فى منزلٍ الدهرُ أقصرُ فيه من سِنَةِ الكرَى
مازلتَ فى حَمْد الفِراشِ وذمِّه حتى لقيتَ به الفِراشَ الأوْثرا(٢)
لا تَشكُوَنَّ الضُّرَّ من حشراته حشراتُ هذا الناسِ أقبحُ مَنظرا
ياسيِّدَ (النادى) وحاملَ همِّه خلَّفتَه تحت الرَّزيَّةِ مُوقَرا(٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى فى حفلة اقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الاربعين ، اما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الارتجال .

١ــ يقول : اننا نطوف بقبرك ونستلم احجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين ــ٢ــ الفراش الاوثر : هو الفراش الاكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر ــ٣ــ النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا : اى مثقلا بما يحمله من فقدك .

شهدَ الأعادى كم سَهِرْتَ لمجده وغلَوْتَ فى طلب المزيدِ مُشمِّرا
وكم اتَّقيْتَ الكَيْدَ واستدفعْته ورميْتَ عُدْوانَ الظنونِ فأقصرا
ولَبِثْتَ عن حَوْضِ الشَّبيبة ذائدًا حتى جزاكَ اللهُ عنه الكَوْثرا
شُبانُ مصرَ جِيالَ قبرِكَ خُشَّعٌ لا يملكون سوى مدامعهم قِرى(١)
جمعَ الأسى لك جمعَهم فى واحدٍ كان الشبابَ الواجدَ المُسْتعْبِرا(٢)
لولاك ما عرفوا التعاوُن بينهم فيما يسُرُّ ، ولا على ما كدَّرا
حيث التفَتَّ رأيتَ حولك منهمُ آثارَ إحسانٍ وغرساً مُثمِرا
كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمةٍ والعقلُ بينهما يُباع ويُشْترَى
تمشى إلى الأكواخ تُرشِد أهلَها مشىَ الحواريِّينَ يَهْدون القُرى(٣)
متواضعاً لله بينَ عِبادِه واللهُ يبغض عبدَه المتكبِّرا
لم تَدْرِ نفسُك : ماالغُرورُ ؟ وطالما دخل الغُرورُ على الكبار فصغَّرا
فى كلِّ ناحيةٍ تَخُطُّ نِقابةً فيها حياةُ أخى الزراعةِ لو دَرَى
هى كيمِياؤُكَ ، لاخُرافَةُ (جابرٍ) تَذَرُ المُقِلَّ من الجماعة مُكْثِرا(٤)
والمالُ لا تجنى ثِمَارَ رءُوسِه حتى يصيبَ من الرءُوس مُدَبِّرا
والملكُ بالأموالِ أمنعُ جانبًا وأعزُّ سلطاناً ، وأصدقُ مَظهرا
إنا لفى زمنٍ سِفاهُ شعوبِه فى ملكهم كالمرء فى بيت الكِرا(٥)

---

١ ــ القرى ــ بكسر القاف ــ : مايقدم للضيف من اكرام ونحوه .
٢ــ الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى ــ٣ــ الحواريون : هم أصحاب عيسى ابن مريم ــ٤ــ جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير او هو الذى لايملك الاشيئا قليلا ــ٥ــ بيت الكرا : هو بيت الأجرة .

أَسِواكَ مِنْ أهل المبادىء مَنْ دَعا للجِدِّ ، أوجمعَ القلوب النُّفَّرا ؟
الموتُ قبلَك فى البَريَّةِ لم يَهَبْ طَه الأمين ، ولا يسوع الخيِّرا(١)

* * *

لما دُعيتُ أتيتُ أنثُرُ مَدْمَعِى ولواستطعتُ نشرْتُ جَفنى فى الثرى
أبكى يمينَك فى التراب غمامة والصَّدْرَ بحرًا ، والفؤادَ غضَنْفَرا
لم أعْطَ عنك تَصَبُّرًا ، وأنا الذى عزَّيْتُ فيك عن الأمير المَعْشَرا(٢)
أزِنُ الرجالَ ، ولى يَراعٌ طالما خلَع الثناء على الكرام مُحَبَّرا
بالأمسِ أرسلْتُ الرثاء مُمَسَّكًا واليومَ أهتِفُ بالثناء مُعَنْبَرا
غيَّرْتَنى حزنًا ، وغيَّرك البِلَى وهواك يأبَى فى الفؤاد تغيُّرا(٣)
فعَلىّ حفظُ العهد حتى نَلتقى وعليك أن ترعاه حتى نُحشَرا

---

١ ــ يسوع : المسيح ــ٢ــ كان امير الشعراء هو نائب الخديو عباس فى تعزية الفقيد ــ ٣ ــ يشير الى قصيدته السابقة فى الفقيد .

الأميرة (*)

حَلَفْتُ بالمُسَتَّرَهْ والرَّوْضةِ المعطَّرَهْ(١)
ومجلسِ الزَّهراء فى الـ ـحظائر المنوّرة(٢)
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبَـ ـةِ المطهَّره
ما أنزَلوا إلى الثَّرَى بالأمس إلا نَيِّره(٣)
سيروا بها تَقِيَّةً نقيةً مُبَرَّرَه
نُجِلُّ مِتْرَ نَعْشِها كالكُسْوَةِ المُسَيَّره(٤)
ونَنْشقُ الجنَّةَ من أعوادِه المُنضَّره

* * *

فى موكِبٍ تَمَثَّلَ الـ ـحقُّ فكان مَظْهَرَه
دع الجنودَ والبنو دَ والوفودَ المُحْضَره
وكلَّ دمعٍ كَذِبٍ ولَوْعَةٍ مُزَوَّره
لا ينفع الميْتَ سوى صالحةٍ مُدَّخَره
قد تُرْفَعُ السُّوقةُ عنـ ـدَ اللهِ فوقَ القَيْصَرَه

* * *

(*) هى الاميرة فاطمة اسماعيل ، كان لها الفضل الاول فى تأسيس وانشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت الى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠ .

١ــ المسترة : الكعبة ــ٢ــ يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه ، ومجلسها فى حجرات النبوة ــ٣ــ نيرة : هى واحدة النجوم النيرة ــ٤ــ الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر الى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الاجلال ــ٥ــ القيصرة : علم كل ملكة للروم . والقيصر : علم على ملكها .

يا جزَعَ العِلْمِ على (سُكَيْنَة) المُوَقَّره(١)
أمسى برَبْعٍ مُوحِشٍ منها ودارٍ مُقْفِره
من ذا يُؤَسِّى هذه الـ جامعةَ المُسْتَعْبِره(٢)
لوعِشْتِ شِدْتِ مثلَها للمرأةِ المحرَّره
بنيتِ رُكنَيْها ، كما يبنى أبوكِ المَأْثُرَه
قرنْتِ كلَّ حجرٍ فى أُسِّها بجوهَره
مَفخرةٌ لبيتكم كم قبلها من مَفخرة !

* * *

يابنتَ إسماعيلَ ، فى الـ ميْتِ لحىٌّ تَبْصِره(٣)
أكان عندَ بيتِكم لهذه الدنيا تِرَه ؟(٤)
هلَّا وصَفْتِها لنا مُقبلةً ومُدبره ؟
ولونَها صافيةً وطعمَها مكدَّره ؟
كالحلم ، أوكالوهم ، أو كالظلِّ ، أو كالزَّهَرَه ؟

* * *

(فاطمُ) ، مَنْ يُولَدْ يَمُتْ المهدُ جسرُ المقبره(٥)
وكلُّ نفسٍ فى غدٍ مَيِّتةٌ فمُنْشَرَه
وإنه مَنْ يَعملِ الـ خيرَ أو الشَّرَّ يَرَه

١ــ يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب .
٢ــ المستعبرة : اى الباكية لفقدها عطفك ــ٣ــ التبصرة : بمعنى الموعظة .
٤ــ ترة : هى الثار ــ٥ــ فاطم : اى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرىء القيس .

* افاطم مهلا بعض هذا التدلل *

وإنما يُنَبَّهُ الـ غافلُ عندَ الغَرْغَرَه(١)
يَلفِظها حَنظلةً كانت بفِيهِ سُكَّره(٢)
ولن تَزالَ من يَدٍ إلى يَدٍ هٰذى الكُرَه

* * *

أين أبوكِ ؟ مالُه وجاهُه ، والمقدره ؟
وادى النَّدَى ، وغَيْثُه وعَيْنُه المُفجَّره(٣)
أين الأُمورُ ، والقصو رُ ، والبدورُ المُخْدَره ؟
أين الليالى البيضُ ، والـ أصائلُ المزَعْفَره ؟(٤)
وأين فى ركن البِلا دِ يَدُه المُعَمِّره ؟
وأين تلك الهِمَّةُ الـ ماضيةُ المشمِّره ؟
تبغى لمصر الشرق أو أكثرَهُ مُستعمَرَه
جرى الزمانُ دونَها فردّه وأعْثَره
فإن همَمْتَ فاذكر الـ مَقادرَ المُقَدَّره
مَن لا يُصِبْ فالناسُ لا يَلتمسون المعذِرَة

١ــ الغرغرة : وقت حشرجة الروح فى الصدر ــ٢ــ يلفظها : أى يلفظ الحياة ــ٣ــ الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع ــ٤ــ الأصائل : الوقت من بعد العصر الى المغرب . والمزعفرة : أى الملونة بلون الزعفران . والليالى البيض والأصائل المزعفرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَنْ له أثَرْ وحياةٌ مِنَ السِّيَرْ
أدْعُه غائباً ، وإن بعُدَتْ غايةُ السفر
آيبُ الفضلِ كلَّما آبتِ الشمسُ والقمر(١)
رُبَّ نورٍ مُتمِّمٍ قد أتانا مِنَ الحُفَر(٢)
إنما الميْتُ مَنْ مشى ميتَ الخيرِ والخبَر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِدْ وإذا مات لم يَضِر
ليس فى الجاهِ والغِنَى منه ظِلٌّ ولا ثمر
قبُح العِزُّ فى القُصو رِ إذا ذَلَّتِ القَصَر

• • •

أعْوَز الحقَّ رائدٌ وإلى (مصطفى) افْتَقَر
وتمنَّت حِياضُه هَبَّةَ الصارِمِ الذَّكَر
الذى يُنْفِذُ المُدى والذى يَركبُ الخطر(٣)
أيُّها القومُ ، عظِّموا واضعَ الأُسِّ والحجر
أُذكروا الخُطبةَ التى هى من آيِهِ الكُبَر(٤)

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هذه احداها ، وقد القيت فى الاحتفال الذى اقيم تمجيدا لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

١ــ يقول : فى كل اوبة شمس ، وفى كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد فضل، ويتجدد له ذكر ، واذن فهو لا يحسب ميتا ، وغاية الأمر انه غائب فى سفر بعيد ــ٢ــ الحفر : القبور ــ٣ــ الذى ينفذ المدى : يراد به صاحب الطعنات النافذة ــ٤ــ يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع.

لم يَرَ الناسُ قبلَهَا مِنبرًا تحتَ مُخْتَضَر
لستُ أنسَى لِواءه وهو يَمشى إلى الظَّفَر
حَشَرَ الناسَ تحتَه زُمَرًا إثْرَها زُمَر
وتَرى الحقَّ حولَه لا ترى البيضَ والسُّمُر(١)
كلَّما راح أو غَدا نَفخَ الرُّوحَ فى الصُّوَر

* * *

يا أخا النَّفْسِ فى الصِّبا لَذَّةُ الروحِ فى الصِّغر
وخليلاً ذَخَرْتُه لم يُقَوَّمْ بمُدَّخَر
حالَ بَيْنى وبينه فى فُجاءاتِه القَدَر
كيف أجزِى مَوَدَّةً لم يَشُبْ صَفْوَها كدَر ؟
غيرَ دَمْعٍ أقولهُ قَلَّ فى الشَّأْنِ أو كَثُر ؟
وفُؤادٍ مُعَلَّلٍ بالخيالات والذُّكَر ؟
لم ينم عنك ساعةً فى الأحاديث والسَّمَر ؟
قُمْ تَرَ القومَ كتلةً مثلَ مَلمومةِ الصَّخر(٢)
جَدَّدوا أُلفةَ الهوى والإخاءَ الذى شُطِر
ليس للخُلْف بينهم أو لأسبابه أثر
أَلَفتْهم روائحٌ غادياتٌ من الغِيَر

١ــ البيض : السيوف . والسمر : الرماح ــ٢ــ ملمومة : بمعنى مجتمعة ، ويقال للدرع : ملمومة ، وكذا يقال للكتيبة ــ وهى الفرقة من الجيش ــ ملمومة أيضا .

وصحَوْا من مُنوِّمٍ وأفاقوا من الخَدَر(١)
أقبلوا نحوَ حقِّهم ما لهم غيْرَه وَطَر
جعلوه خَلِيَّةً شرعوا دونَها الإبَر(٢)
وتواصَوْا بخطَّة وتداعَوْا لموتمر(٣)
وقُصَارَى أولِى النُّهَى يَتلاقوْنَ فى الفِكَر
آذنونا بموقفٍ من جلالٍ ومن خَطَر
نسمع الليثَ عنده دون آجامه زأر
قُلْ لهم فى نَدِيِّهم : مصرُ بالباب تنتظِر(٤)

---

١ ــ الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح ــ٢ــ الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الابر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، اذا انتضاه من غمده ــ٣ــ تدعوا : تجمعوا ــ٤ــ يريد بالندى : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيأ .

المنفلوطى(*)

اخترتِ يومَ الهولِ يومَ وَداعِ ونعاكَ فى عَصْفِ الرياحِ الناعى(١)
هتف النُّعاةُ ضُحَى ، فأَوْصَدَ دونهم جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأسماعِ
مَنْ ماتَ فى فَزَعِ القيامةِ لم يَجِدْ قدَماً تُشَيِّع أو حفاوة ساعى
ما ضرَّ لو صبَرتْ ركابُك ساعةً كيف الوقوفُ إذا أهاب الداعى؟
خلِّ الجنائزَ عنك ، لا تحفِل بها ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاع
سِرْ فى لواءِ العبقريّةِ ، وانتظِمْ شتّى المواكب فيهِ والأتباع
واصعد سماءَ الذكر من أسبابها واظهر بفضلٍ كالنهار مُذاع
فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ لَبِقٍ بوشْيِ الممتِعاتِ صَناع
مَرموقِ أسبابِ الشبابِ وإن بَدَتْ للشيب فى الفَودِ الأَحَمِّ رَواعى (٢)
تتخيلُ المنظومَ فى منثوره فتراهُ تحت روائِع الأسجاع
لم يَجْحَدِ الفُصحَى ، ولم يَهجُم على أسلوبها ، أو يُزْرِ بالأوضاع
لكنْ جرَى والعصرَ فى مِضمارِها شَوْطاً ، فأَحْرَز غايةَ الإبداع
حُرُّ البيانِ ، قديمُه وحديثُه كالشمسِ جدَّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ
يونانُ لو بِيعت (بهومير) لما خَسِرَتْ ـ لعَمْرُكَ ـ صَفْقةُ المبتاع

* * *

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى ، اشتهر بأسلوب انشائى خاص لفت اليه انظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

١ ـ يشير بيوم الهول الى ان وفاة الفقيد كانت فى يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا ـ ٢ ـ الفود : أحد الفودين ، وهما جانبا الرأس من الامام ، والأحم : الأسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

يا مُرسلَ (النظراتِ) فى الدنيا وما فيها على ضَجَرٍ وضِيقِ ذِراع (١)
ومُرَقْرِقَ (العبراتِ) تجرى رِقَّةً للعالم الباكى من الأوجاع (٢)
مَنْ ضَاقَ بالدنيا فليس حكيمَها إنَّ الحكيمَ بها رَحيبُ الباع
هِيَ والزمانُ بأرضِهِ وسمائِه فى لُجَّةِ الأقدارِ نِضْو شِراع (٣)
مَنْ شَذَّ ناداه إليه فردَّهُ قَدَرٌ كراعٍ سائقٍ بقطاع (٤)
ما خَلْفهُ إلا مَقودٌ طائعٌ مُتلفِّتٌ عن كبرياء مُطاع
جبارُ ذِهْنٍ ، أو شديدُ شكيمةٍ يمضى مُضِىَّ العاجزِ المُنصاع
مِن شَوّهَ الدنيا إليك فلم تَجِدْ فى الملكِ غيرَ مُعذَّبين جِياع ؟
أبكل عينٍ فيه أو وَجْهٍ ترى لمحاتِ دمعٍ أو رسومَ دِماع ؟ (٥)
ما هكذا الدنيا ، ولكنْ نُقْلةٌ دمعُ القَريرِ وعَبْرَةُ المُلتاع
لا الفقرُ بالعَبَراتِ خُصَّ ولا الغنى غِيَرُ الحياةِ لهنّ حُكْمٌ مشاع (٦)
ما زالَ فى الكوخِ الوضيعِ بَواعِثٌ منها ، وفى القصرِ الرفيعِ دَواعِى
فى القفرِ حَيَّاتٌ يُسيِّبها به حاوى القضاءِ ، وفى الرياضِ أفاعى
ولَرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقنَّعٍ أرْبَى على بُؤْسٍ بغير قِناع

* * *

١ــ النظرات : اسم كتاب للفقيد ــ٢ــ العبرات : اسم كتاب له أيضا .
٣ــ نضو شراع : أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة امواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط ــ٤ــ القطاع : طائفة من الغنم .
٥ــ رسوم دماع : أى آثار تبدو فى مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا فى موضع مسيلها ــ٦ــ غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

يا (مصطفى) البلغاء ، أىّ يَراعةٍ فقدوا ؟ وأىّ مُعلِّمٍ بيَراع ؟
اليومَ أبصرتَ الحياةَ ؛ فقلْ لنا : ماذا وراءَ سرابها اللمّاع ؟
وصِفِ المئونَ ؛ فكم قعدْتَ ترى لها شَبَحًا بكلِّ قرَارة ويَفاع(١)
سكن الأَحبّةُ والعِدَى ، وفَرغْتَ مِنْ حِقْدِ الخُصوم ، ومِنْ هوى الأَشياع
كم غارةٍ شَنُّوا عليكَ دفعْتَها تصِلُ الجهودَ فكُنْ خيرَ دِفاع
والجهدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمَارَه والجهدُ بعدَ الموتِ غيرُ مُضاع
فإذا مضى الجيلُ المِراضُ صدورُه وأتى السليمُ جوانبَ الأَضلاع
فافزعْ إلى الزمن الحكيم ؛ فعنده نقْدٌ تنزَّهَ عن هوى ونِزاع
فإذا قضى لك أُبْتَ مِن شُمِّ العُلا بثَنِيَّةٍ بَعدَت على الطَّلاع(٢)
وأَجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه قلمٌ عليه جَلالةُ الإجماع
تلك الأَناملُ نام عنهنّ البِلَى عُطِّلْنَ من قلمٍ أَشَمَّ شُجاع
والجبنُ فى قلم البليغِ نظيرُه فى السيف مَنْقَصَةٌ وسوءُ سماع

---

١ ــ اليفاع : ما ارتفع من الارض، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد ــ٢ــ الثنية : الطريق فى اعالى الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : انا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفضْتُ لِعِزَّةِ الموتِ اليَراعا وجَدَّ جلالُ مَنْطِقِهِ ، فراعا
كَفَى بالموتِ للنُّذُرِ ارتجالاً وللعَبَراتِ والعِبَرِ اختراعا
حكيمٌ صامتٌ فضَح الليالى ومَزَّق عن خَنا الدنيا القِناعا
إذا حضر النفوسَ فَلا نعيمًا ترى حولَ الحياةِ ولا مَتاعا
كشفتُ به الحياةَ فلم أَجِدْها ولَمْحةَ مائها إلا خِداعا
وما الجرّاحُ بالآسى المرجَّى إذا لم يقتل الجُثَثَ اطِّلاعا(١)
فإن تَقُل الرُّثاءَ فقُلْ دموعاً يُصاغ بهنّ ، أو حِكَماً تُراعَى
ولا نكُ مثلَ نادبةِ المُسجَّى بَكت كَسْبًا ،ولم نَبْكِ الْتِياعا(٢)
خلَتْ دولُ الزمانِ وزُلْنَ رُكناً وركنُ الأَرض باق ، ما تَداعى(٣)
كأَنّ الأَرضَ لم تَشْهدْ لِقَاءً تكاد له تَميدُ ، ولا وَداعا
ولو آبتْ ثواكلُ كلَّ قَرْنٍ وجَدْنَ الشمسَ لم تَنْكَل شُعاعا
ولكن تُضْرَب الأَمثالُ رُشدًا ومنهاجاً لمن شاء اتِّباعا
ورُبَّ حديثِ خيرٍ هاجَ خيرًا وذكرِ شجاعةٍ بَعث الشُّجاعا

* * *

(معارفُ) مصرَ كان لهنَّ ركنٌ فذُقْنَ اليومَ للركنِ انصِداعا
مضى أَعْلى الرجالِ لها يمينًا وأَرْحَبُهم بحَلَّتها ذِراعا

(*) عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر المقدمين ، وأحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى الى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ .

١ــ يقال : قتل الأمر اطلاعــا ، اذا بحثــه طويلا . والآسى : الطبيب .
٢ــ المــجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن ــ٣ــ تداعى الركن : اى سقط متهدما .

وأكثرُهُم لها وَقَفاتِ صِدقٍ إباءً فى الحوادث أو زَماعا
أَتَتْهُ فنالَها نَفَلاً وفَيْئًا فلا هبةً أَتَتْه ولا اصطِناعا (١)
ننقل يافعًا فيها وكهلاً ومن أسبابها بَلَغَ اليَفاعا
فتًى عجمَتْه أحداثُ الليالى فلا ذُلاًّ رأَيْن ، ولا اختِضاعا
سَجَنٌ مُهنَّدًا ، ونَفَيْن تِبْرًا وزِدْنَ المسك من ضغْطٍ فضاعا(٢)
شديدٌ صُلْبٌ فى الحق حتى يقولَ الحقُّ : لِينًا واتِّداعا(٣)
ومدرسةٍ سَمَتْ بالعلم ركنًا وأَنْهضَتِ القضاءَ والاشتِراعا(٤)
بناها محسنًا بالعلم بَرًّا يَشيد له المعالِمَ والرباعا(٥)
وحاربَ دونها صرْعَى قديمٍ كأَنَّ بهم عن الزمنِ انقطاعا
إذا لمحَ الجديدُ لهم تَوَلَّوْا كذى رَمَدٍ على الضوء امتناعا

* * *

أخا «سيشيلَ» ، لاتذكرْ بحارًا بَعدنَ على المزار ولا بقاعا(٦)
وربُّك ما وراءَ نَواكَ بُعدٌ وأنتَ بظاهر الفُسْطاطِ قاعا(٧)

١ــ النفل : مفرد الأنفال ، يعنى العطايا المكتسبة من الفيء . والفيء : الغنيمة . والاصطناع : هو ما يعبر عنه فى زماننا بالمحسوبية ــ٢ــ ضاع المسك والطيب : سطع عطره . لما قال : « فتى عجمته احداث الليالى » شرح كيف كان ذلك ، فأخبر انه سجن فكان اشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين اشتدت أحداث الليالى ضغطا ، كان الفقيد اشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد ارجا وطيبا ــ٣ــ صلب « باللام المشددة » : اى كثير الصلابة . والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق ــ٤ــ يشير بهذا البيت الى ان الفقيد كان هو اول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد انشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ؛ ولم يستغن عنها الا بعد اصلاح الازهر والاكتفاء بأبنائه ــ٥ــ الرباع : جمع ربع : الدار ــ٦ــ سيشل ، احدى جزر الهند النائية ، نفى اليها الفقيد ، حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى ــ٧ــ الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : اى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الارض ، ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نزلْتَ بعالَمٍ خَرق القضايا وأصبح فيه نظمُ الدهرِ ضاعا
فَخلِّ الأربعين لحافليها وقُمْ تَجِد القرونَ مرَوْنَ ساعا(١)

* * *

مَرِضتَ فما ألحَّ الداءُ إلَّا على نفْسٍ تعوَّدَت الصِّراعا
ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابت مُفلِّلَ كلِّ حادثةٍ قِراعا(٢)
ومَنْ يتجرَّع الآلامَ حيًّا تَسُغْ عند الممات له لَجتراعا
أَرِقْتَ ، وكيف يُعطَى الغمضَ جفنٌ
تَسُلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا ؟(٣)
ولم يَهدَأْ وِسادُك فى الليالى لعلمك أَنْ ستُفنيها اضطجاعا
عَجِبْتُ لشارحٍ سببَ المنايا يُسَمِّى الداءَ والعِللَ الوِجاعا
ولم تكن الحتوفُ محلَّ شكٍّ ولا الآجالُ تحتملُ النزاعا
ولكنْ صُيِّدٌ ولها بُزاةٌ ترى (السّرطانَ) منها والصُّداعا(٤)
أَرَى التعليم لمّا زلت عنه ضعيفَ الركنِ ، مَخذولاً ، مُضاعا
غريقٌ حاولت يَدُه شِراعاً فلمّا أَوْشكَتْ فقد الشِّراعا
سَراةُ القومِ مُنصرفون عنه وصُحْفُ القوم تَقتضِب الدفاعا(٥)
لقد نسَّاه يومُك ناصباتٍ مِن السّنوات قاساها تِباعا(٦)
قُم ابنِ الأُمَّهاتِ على أساسٍ ولا تبْنِ الحصونَ ولا القِلاعا

١ــ الأربعين فى هذا البيت ، مقصود بها الايام التى مضت على وفاته ، أو السن التى توفى فيها . والساعا : جمع ساعة ــ٢ــ القراع: نوع من الحرب والمغالبة ــ٣ــ الرواع : من قولهم : ناقة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، أى شهمة زكية ــ٤ــ البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور . ٥ــ سراة القوم : سادتهم . والاقتضاب: بمعنى القطع او الايجاز والاختصار ٦ــ ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، أى فيه كد وجهد . وتباعا : أى متتابعة .

فهُنَّ يَلِدْن للقَصبِ المذَاكى وهُنَّ يلِدْن للغابِ السِّباعا(١)
وَجدْتُ مَعانىَ الأَخلاق شتَّى جُمِعْن فكنَّ فى اللفظ الرِّضاعا
عَزاءَ الصابرين (أبا بهِىٍّ) ومثلُك مَنْ أناب ومَنْ أطاعا(٢)
صَبَرتَ على الحوادث حينَ جَلَّتْ وحينَ الصبرُ لم يَكُ مُستطاعا
وإن النفسَ تهدأ بعدَ حينٍ إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا
إذا آختلف الزمانُ على حزينٍ مَضى بالدمع ، ثم مَجا الدِّماعا
قُصارَى الفَرْقَدَيْنِ إلى قضاءٍ إذا عثرا به آنفصَما اجتماعا
ولم تَحْوِ الكِنانة آلَ سعدٍ أشدَّ على العِدا منكم نِباعا(٣)
ولم تحمِل كشيخكمُ المُفدَّى نُهوضاً بالأَمانةِ واضطِلاعا
غداً فَصْلُ الخِطابِ ، فمَنْ يَشيرِى بأَنَّ الحقَّ قد غلب الطِّماعا ؟
سَلُوا أهلَ الكِنانةِ :هل تداعَوْا؟ فإن الخصمَ بعدَ غدٍ تَداعى
وما (سعدٌ) بمُتَّجِرٍ إذا ما تعرَّضت الحقوقُ شَرًى وباعا
ولكنْ تحتمِى الآمالُ فيه وتدَّرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا(٤)
إذا نظرَتْ قلوبُكُمُ إليه علا للحادثات وطال باعا(٥)

---

١ ــ المذاكى : الخيل التى كملت قوتها . والقصب : هو الخط الذى يتراهن عليه المتسابقون ــ٢ــ ابا بهى : ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . وأناب : رجع الى الله ــ٣ــ النباع : جمع نبع ، وهو شجر للقسى والسهام ، ينبت فى قمة الجبال . آل سعد : آل زغلول باشا اخوال الفقيد ــ٤ــ تدرع الحقوق به : اى تجعل منه درعا لها . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف واشباهها ــ٥ــ طال باعا : اى طال شأوا وعظم قوة .

المويلحى(*)

كاتبٌ مُحْسِنُ البيانِ صَناعُه استخَفَّ العقولَ حيناً يَراعُه(١)
اِبنُ مصرٍ ، وإنما كلُّ أرضٍ تنْطِقُ الضادَ مَهْدُهُ ورِباعُه(٢)
إنما الشرقُ منزلٌ لم يُفرَّق أهلَه إن تفرَّقتْ أصقاعه(٣)
وطنٌ واحدٌ على الشمس والقصـ ـحى، وفى الدمع والجراحِ اجتماعه
علمٌ فى البيان ، وابنُ لواءٍ أخذَ الشرقَ حِقبةً إبداعه
حَسْبُه السحرُ من تُراثِ أبيه إن تَولَّتْ قصورُه وضِياعه(٤)
إنما السحرُ والبلاغةُ والحكـ ـمةُ بَيْتٌ ، كلاهما مِصراعه

• • •

فى يَدِالنَّشْءِ من بيان (المويلحِى) مثلٌ يَنْفع الشبابَ اتِّباعه
صُوَرٌ من حقيقة وخيالٍ هى إحسانُ فِكْرِهِ وابتداعه
رُبَّ سجعٍ كمُرْقِص الشعرِ لمّا يَختلِفْ لَحْنُهُ ولا إيقاعه
أو كَسجع الحمامِ لو فصَّلتْهُ وتأنَّتْ به ، ودَقَّ اختراعه
هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ ما بديعُ الزمانِ؟ ما أسجاعه؟(٥)

• • •

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد القيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه .

١ــ يقال : يد صناع ، اى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع ايضا ــ٢ــ رباع : جمع ربع ، وهو الدار ــ٣ــ اصقاعه ، جمع صقع بضم الصاد : الناحية . ٤ــ تولت القصور : اى ذهبت . والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والارض المغلة ــ٥ــ بديع الزمان : هو الهمذانى صاحب المقامات المشهورة .

عجِبَ النـاسُ من طباعِ الويلحىٍّ ، وفى الأُسْدِ خُلْقُه وطِباعه
فيه كِبْرُ اللُّيوثِ حتى على الجو ع ، وفيها إباؤُه وامتِناعه
تعب الموتُ فى صَبورٍ على النز ع ، قليلٍ إلى الحياةِ نِزاعه(١)
صارع العيشَ حِقْبَةً ، ليتشعرى ساعةَ الموتِ كيف كان صِراعه؟
قهرَ الموتَ والحياةَ ، وقد تحـ كمُ فى رائض السِّباع سِباعه
مُهجةٌ حرّةٌ ، وخُلْقٌ أبِيٌّ عَيَّ عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

• • •

فى الثمانين ـ يا (محمدُ) ـ عِلْمٌ لِعليمٍ ، وإن تَناهى اطِّلاعه(٢)
لِمْ تقاعَدْتَ دونها وتَوانَى سائقُ الفُلْكِ ، واضمحلَّ شِراعه؟
رُبَّ شَيْبٍ بَنَتْ صُروحَ المعالى سَنتاه ، وشادت المجدَ ساعه
فيه من هِمَّة الشبابِ ، ولكن ليس فيه جِماحُه واندفاعه

• • •

سيِّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضى فى غُباره أتباعه
حطَّهم (بالإمامِ) للموت ركبٌ يَتلاقى بِطاؤُه وسِراعه
قَنَّعوا بالتراب وجهًا كريماً كان من رُقعةِ الحياء قِناعه
كسَنا الفجرِ فى ظلال الغوادى كرمٌ صفحتاه ، هَدْىٌ شُعاعه

١ــ النزاع للميت : ساعات احتضاره . يقول انه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضارة ، ولا يكون هذا الا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت ــ٢ــ فى الثمانين : يقصد ثمانين عاما .

يارحيدا كأمسِ فى كِسْر بيتٍ ضيقٍ بالنَّزيالِ ، رحبٍ ذِراعه(١)
كلُّ بيتٍ تَحلُّه يستوى عنـــــدك فى الزُّهدِ ضِيقُهُ واتِّساعه
نمْ مَلِيًّا ؛ فلست أوّلَ ليثٍ بفَلاةٍ (الإمامِ)طال اضطجاعه(٢)
حولَك الصالحون ، طابوا وطابَتْ أكَماتُ (الإمامِ) منهم وقاعه(٣)
قلَّدوا الشرقَ من جمالٍ وخيرٍ ما يَئُودُ المُفنِّدين انتزاعه(٤)
أسَّستْ نهضةُ البناء بقومٍ وبقومٍ سما وطالَ ارتفاعه
كلُّ حَىٍّ – وإن تراختْ منايا هُ – قضاءٌ عن الحياة انقطاعه
والذى تحرص النفوسُ عليه عالمٌ باطلٌ قليلٌ مَتاعه

---

١ – كسر البيت – بكسر الكاف وفتحها : جانبه –٢– فلاة الامام : صحراء الامام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد –٣– اكمات : جمع اكمة : المرتفع من الارض . والقاع : المنخفض منها –٤– يئود : بمعنى يثقل ويتعب : والمفندين : المكذبين .

اسماعيل باشا صبرى (*)

أَجَلْ وإن طال الزمانُ مُوافى أَخْلى يدَيْكَ من الخليلِ الوافِى
داعٍ إلى حقٍّ أهابَ بخاشعٍ لبس النذيرَ على هُدًى وعفاف(١)
ذهب الشبابُ ، فلم يكن رُزْئى به دونَ المصابِ بصَفوة الألّاف
جَلَلٌ من الأرزاء فى أمثاله هِمَمُ العزاء قليلةُ الإسعاف
خَفَّتْ له العَبراتُ ، وهى أَبِيَّةٌ فى حادثاتِ الدهر ، غيرُ خِفاف
ولكلّ ما أتلفْتَ من مُستكرَمٍ إلا مودّاتِ الرجالِ تَلاف(٢)
ما أنتِ يا دُنيا ؟ أرويا نائمٍ أم ليلُ عُرْسٍ ، أم بِساط سُلاف؟
نَعماؤكِ الرَّيْحانُ ، إلا أنه مَسَّتْ حَواشِيه نَقيعَ زُعاف(٣)
مازِلْتُ أصحَبُ فيكِ خُلْقاً ثابتًا حتى ظفِرْتُ بخُلْقِكِ المتنافى

* * *

ذهب الذّبيحُ السمحُ مثل سَمِيِّه طُهْرَ المُكَفَّنِ ، طيِّبَ الأَلفاف(٤)
كم بات يذبحُ صدرَه لشكاته أتُراه يحسبها من الأضياف؟(٥)

(*) اسماعيل باشا صبرى : أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وكان أحد رجال الدولة فى عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية ، وترقى الى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣ .

١ــ النذير : الموت ــ٢ــ المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه ٣ــ نقيع زعاف : اى سم ناجع بالغ ــ٤ــ يشبه الفقيد بالذبيح ، والذبيح قيل : سيدنا اسحاق ، والمراد هنا سيدنا اسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له . والألفاف : يقصد بها الكفن ، يريد انه ذهب طيب المظهر والمخبر ــ٥ــ الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نَزَلتْ على سَحْرِ السَّماح ونَحْرِه وتقلَّبَتْ فى أكرمِ الأكناف(١)
لَجَّتْ على الصَّدر الرحيبِ وبرَّحَتْ
بالكاظم الغيْظِ ، الصَّفوحِ ، العافى
ما كان أقسَى قلبَها من عِلَّةٍ عَلِقتْ بأرحم حَيَّةٍ وشَغاف(٢)
قلبٌ لو انتظم القلوبَ حَنانهُ لم يبْق قاسٍ فى الجوانح جافى
حتى رماه بالمنيَّة فانجلتْ مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى
أخْنَتْ على الفلَكِ المُدارِ فلم يَدُرْ وعلى العُباب فقرَّ فى الرجّاف(٣)
ومَضَتْ بنارِ العبقريّةِ ، لم تَدَعْ غيرَ الرَّمادِ ، ودارساتِ أثافى(٤)
حَملوا على الأكتاف نورَ جلالةٍ يذرَ العيونَ حواسدَ الأكتاف
وتَقلَّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً ولكَمْ نعوشٍ فى الرقاب زياف
مُتمايلَ الأعواد ممَّا مَسَّ من كَرَمٍ ، ومما ضَمَّ من أعطاف
وإذا جلالُ الموتِ واف سابغٌ وإذا جلالُ العبقريّةِ ضافى
ويْحَ الشبابِ وقد تَخطَّر بينهم هل مُتِّعوا بنمسَّحٍ وطَواف ؟
لو عاش قدوتُهم ورَبُّ «لِوائهم» نكَسَ «اللواء» لثابتٍ وقَّاف(٥)
فلكَمْ سقاه الودَّ حينَ وِدادُه حربٌ لأهل الحكمِ والإشراف
لا يومَ للأقوامِ حتى ينهضوا بقوادمٍ من أمسِهم وخوافى(٦)

* * *

١ــ السحر : الرئة . والنحر : أعلى الصدر . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب ــ٢ــ يريد بقوله «ارحم حبة» : القلب . والشغاف (بالفتح) : غلاف القلب ــ٣ــ العباب : هو الموج . والرجاف : البحر ــ٤ــ الأثافى : جمع اثفية ، وهى ما يوضع عليه القدر ــ٥ــ رب لوائهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا ــ٦ــ القوادم والخوافى : ريش فى جناح الطائر . وقد ورد فى قول بعضهم :

* فان الخوافى قوة للقوادم *

لا يُعْجِبنْكَ ما ترى من قُبَّةٍ ضربوا على موتاهُم ، وطِراف(١)
هجموا على الحقِّ المبينِ بباطلٍ وعلى سبيل القصدِ بالإسراف(٢)
يَبنون دارَ اللهِ كيف بدا لهم غُرُفاتِ مُتْرٍ ، أو سقيفةَ عافى(٣)
ويُزوِّرون قبورَهم كقصورهم والأرضُ تضحك والرُّفاتُ الساقى

* * *

فُجعَتْ رُبى الوادى بواحد أيكِها وتجرَّعَت ثُكْلَ الغدير الصافى
فقدتْ بناناً كالربيع ، مُجيدةً وشْىَ الرياضِ وصنعَةَ الأفواف(٤)
إن فاته نسَبُ «الرَّضِىِّ» فربَّما جَريا لغاية سُؤْدَدٍ وطِراف(٥)
أو كان دون أبى «الرضىِّ» أبوَّةً فلقد أعادَ بيانَ «عبدِ مَنافِ»
شرفُ العصاميِّين صُنْعُ نفوسِهم مَن ذا يقيس بهم بنى الأشراف؟
قل للمشير إلى أبيهِ وجَدهِ أعَلِمْتَ للقمرَيْنِ من أسلاف؟
لولا أن (عمراناً) نِجارُك لم تَسُدْ حتى يُشارَ إليك فى الأعراف(٦)

* * *

١ــ طراف ــ على وزن كتاب : بيت من أدم ؛ ويقصد بها المقابر الموضوعة على بعض القبور ــ٢ــ القصد : الاعتدال ؛ وهو فى كل شىء ضد الاسراف ــ٣ــ العافى: الفقير ــ٤ــ الافواف : الثياب الرقيقة ــ٥ــ الطراف: هنا من قولهم : توارثوا المجد طرفا ؛ اى عن شرف ورفعة . والرضى : هو الشريف الرضى الشاعر المشهور ــ٦ــ عمران : ابو موسى عليه السلام ؛ وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ؛ كما نزلت سورة باسم الاعراف .

قاضى القضاة جَرَتْ عليه قضيّةٌ ... للموتِ ، ليس لها من استئناف

ومُصَرِّفُ الأحكامِ مَوكولٌ إلى ... حُكم المنيَّة ، مالَه من كافى

ومُنادِمُ الأملاكِ تحت قِبابهم ... أمسَى تُنادِمُه ذِئابُ فَيَافى(١)

فى منزلٍ دارت على الصِّيدِ العُلا ... فيه الرَّحَى ومشتْ على الأَرداف(٢)

وأُزِيلَ من حُسن الوُجوهِ وعِزِّها ... ما كان يُعبد من وراءِ سِجاف(٣)

من كلِّ لمَّاحِ النعيم تَقلَّبتْ ... دِيباجَتاهُ على بِلًى وجَفاف

وترى الجماجِمَ فى الترابِ تماثَلتْ ... بعدَ العقولِ تماثُلَ الأَصداف

وترى العيونَ القاتِلاتِ بنظرةٍ ... مَنهوبَةَ الأَجفانِ والأَسياف(٤)

وتُراعُ من ضَحِكِ الثُّغورِ ، وطالما ... فتنَتْ بحُلْو تبسُّم وهُتاف

غَرَّت القرونَ الذاهبين غزالةٌ ... دمُهم بذِمَّة قرْنِها الرَّعاف(٥)

يَجرى القضاءُ بها ، ويجرى الدهرُ عن
يَدِها ، فيا لثلاثةٍ أحلاف !

ترْمى البريَّةَ بالحُبولِ ، وتارةً ... بحبائلٍ من خَيْطها وكفاف(٦)

نَسجتْ ثلاثَ عَمائِمٍ ، واستحدَثتْ ... أكفانَ موتى من ثيابِ زفاف(٧)

* * *

١ــ الأملاك : الملوك . والفيافى : الصحارى ــ٢ــ الصيد العلا : الملوك . والأرداف : أبناء الملوك ، او الذين يلونهم فى المرتبة ــ٣ــ السجاف : الستر ، كالكلل ونحوها ــ٤ــ يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف ، وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان ــ٥ــ غزالة : هى الشمس . والرعاف : اى قرنها الاحمر الذى يشبه الدم ــ٦ــ الكفاف : حبائل الصائد ــ٧ــ ثلاث عمائم : الشعر الاسود ، والاسود فيه شيب ، والابيض ، اى أدوار العمر الثلاثة .

« أأبا الحُسين » ، تحيةً لثراكَمن رُوحٍ وريْحانٍ وعَذْبِ نِطاف
وسَلامُ أهلٍ وُلِّهٍ وصَحابةٍ حَسرَى على تلك الخِلالِ لِهاف
هل فى يَدَىَّ سوى قريضٍ خالدٍ أزجيهِ بين يَدَيْكَ للإتحاف؟
ماكان أكرَمَه عليك! فهل ترى أنى بَعثتُ بأكرمِ الأَلطاف ؟
هذا هو الرَّيحانُ ، إلا أنه نَفحاتُ تلك الروْضةِ المِئْناف(١)
والدُّرُّ ، إلا أن مَهْدَ يتيمِه بالأَمسِ لُجَّةُ بحرِك القذَّاف
أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئًا نَهْجَ المِهار على غُبار « خِصاف »(٢)
أتعلَّمُ الغاياتِ كيف تُرامُ فى مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قوافى

* * *

يا راكبَ الحدباء ، خلِّ زِمامَها ليس السبيلُ على الدليل بِخافى
دانَ المطىَّ الناسُ ، غيرَ مطيَّةٍ للحقِّ ، لا عَجْلَى ، ولا مِيجاف(٣)
لا فى الجيادِ ، ولا النِّياقِ ، وإنما خُلِقَتْ بغير حوافرٍ وخِفاف
تنتاب بالركبانِ منزلةَ الهدى وتَؤُمُّ دار الحقِّ والإنصاف
قد بَلَّغَتْ ربَّ المدائنِ ، وانتهتْ حيثُ انتهيْتَ بصاحبِ الأَحقاف(٤)

* * *

نَمْ مِلءَ جَفنِك ، فالغُدُوُّ غوافلٌ عمّا يَروعُك ، والعَشِيُّ غوافى
فى مَضجع يكفيك من حسناتِه أن ليس جَنْبُك عنه بالمتجافى

---

١ ــ الروضة المئناف والانف : هى التى تحمى فلا يكاد احد يمر بها او يجتنى منها ــ٢ــ المهار : جمع مهر ؛ وخصاف : فرس مشهور فى العرب .
٣ــ الميجاف : السريعة ــ٤ــ رب المدائن : كسرى . وصاحب الاحقاف : عاد .

واضحك مِن الأَقدارِ غير معجِّزٍ فاليوم لست لها من الأَهداف
والموتُ كنتَ تخافه بك ظافرًا حتى ظَفِرْت به ، فدَعْه كَفاف
قُلْ لى بسابقةِ الوِدادِ : أَقاتِلٌ هو حين يَنزِلُ بالفَتى ، أم شافى؟
فى الأَرضِ من أَبوَيْكَ كنزا رحمةٍ وهوًى ، وذلك من جِوارٍ كافى
وبها شبابُك واللِّداتُ ، بكيته ويكيتهم بالمدْمَع الذَّرَّاف
فاذهب كمصباحِ السماء ، كلاكما مال النهار به ، وليس بطافى
الشمسُ تُخْلَفُ بالنجومِ ، وأَنت بالـ
ـآثار ، والأَخبار ، والأَوصاف
غلب الحياةَ فتًى يسدُّ مكانَها بالذكرِ ، فهو لها بَدِيلٌ وافى

فوزى الغزى (*)

جرحٌ على جرحٍ ! حَنانَكِ (جِلَّقُ) حُمِّلْتِ ما يُوهِى الجبالَ ويُزْهِقُ(١)
صبرًا لباة الشرقِ ؛ كلُّ مصيبةٍ تبْلَى على الصبر الجميلِ وتخلق(٢)
أنسيتِ نار الباطشين ، وهزّةً عَرَتِ الزمانَ ، كأن (روما) تُحرَقُ(٣)
رعناء أرسلها ودسّ شُواظَها فى حجرةِ التاريخ أرْعَنُ أحمق(٤)
فمشتْ تُحطِّم باليمين ذخيرةً وتَلُصُّ أخرى بالشمال وتَسْرِق ؟
جُنَّتْ ، فضعضعها ، وراضَ جِماحَها من نَشْئِكِ الحُمْسِ الجنونُ المُطْبِق
لقِيَ الحديدُ حَمِيَّةً أمَوِيَّةً لا تكتسى صَدَأً ، ولا هى تُطْرق
ياواضعَ الدّستورِ أمسِ كخُلْقِه ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هُو ضيِّق
نظمٌ من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ أدبُ الحضارةِ فيهما والمنطِق
لا تَخْشَ مِمّا ألحقوا بكتابه يَبقَى الكتابُ وليس يبقَى المُلْحق
مَيْتَ الجلالِ ، من القوافى زَفْرةً تجرى ، ومنها عبْرَةٌ تترقرق
ولقد بَعثتُهما إليكَ قصيدةً أفأنتَ مُنتظِرٌ كعهدكَ شَيِّق ؟
أبكى ليالِينَا القِصار وصحبةً أخذَتْ مُخِيلتُها تجِيش وتَبْرُق(٥)

(*) فوزى الغزى : هو احد سراة الزعماء فى الشام ، واحد الوية الثوره العربية فى نهضتها العظمى ، توفى واقيمت له حفلة تأبين فى دمشق ، والقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٢٠ .

١ــ جلق (بشدة اللام مفتوحة او مكسورة) : دمشق ــ٢ــ الباة : اننى الاسد ــ٣ــ يشير الى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى احدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت ــ٤ــ الشواظ (بضم الشين وكسرها) : لهب لا دخان فيه ــ٥ــ السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة ، اى ان صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليك ؛ فربّما كرِه الحديثَ عن الأُجاجِ المغرَق(١)
طُبعتْ من السّمّ الحياةُ ، طعامُها وشرابُها ، وهواؤها المتنشَّق
والناسُ بين بَطيئِها وذُعافِها لا يعلمون بأىِّ سمّيْها سُقُوا(٢)
أما الوَلِىُّ فقد سقاكَ بسمِّه ما ليس يَسقيك العدوُّ الأزرق(٣)
طلبوك والأجلُ الوَشِيكُ يَحُثُّهم ولكلِّ نفسٍ مُدَّةٌ لا تُسبَق
لما أعان الموتُ كَيْدَ حِبالهم عَلِقَتْ ، وأسبابُ المنيةِ تَعلَق
لَرَقَتْ مِهادَك حَيَّةٌ بَشَريةٌ كفرتْ بما تنتابُ منه وتطرُق(٤)

* * *

يا (فوز) ، تلك دمشقُ خلفَ سَوادِها ترمى مكانكَ بالعيون وتَرْمُق(٥)
ذَكَرَتْ ليالِىَ بدرِها ، فتلفَّتَتْ فعساك تَطلُع ، أو لعلَّك تُشْرِق
(بردَى) وراءَ ضِفافِه مُستعبِرٌ والحورُ مَحلولُ الضفائر مُطْرِق(٦)
والطيرُ فى جَنّاتِ (دُمَّرَ) نُوَّحٌ يَجِدُ الهمومَ خَلِيُّهن ويَأْرَق(٧)
ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره أبذاتِ طَوْقٍ بعدَ ذلك يُوثَق؟(٨)

* * *

١ــ الأجاج : الملح المر ــ٢ــ الذعاف : سم الساعة ــ٣ــ العدو الازرق : هو الكثير العداوة ــ٤ــ المهاد : الفراش ؛ وفى هذا البيت اشارة الى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته ــ٥ــ سواد دمشق : اى القرى التابعة لها.
٦ ــ بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكى . والحور : شجر . وضفائر الحور : غصونه التى تشبه جدائل الشعر ــ٧ــ دمر (بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة) : عقبة فى دمشق . والخلى : الخالى من الهموم . وهو ضد الشجى ــ٨ــ ذات الطوق : الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المرأة .

عَشِقَتْ تَهاويلَ الجمالِ ، ولم تَجِدْ فى العبقريَّة ما يُحَبُّ ويُعْشق(١)
فمشَتْ كأنَّ بنانَها يَدُ مُدْمِنٍ وكأن ظلَّ السمِّ فيها زِئْبَق
ولو أنّ مقدوراً يُرَدُّ لردَّها بحياته الوطنُ المَرُوعُ المُشْفِق
أشقى القضاءُ الأرض ، بعدَك أُسرة لولا القضاءُ من السماءِ لما شَقوا
قَسَتِ القلوبُ عليهمُ وتحجَّرَتْ فانظر فؤادَك ، هل يلينُ ويَرفُق؟
إن الذين نزلْتَ فى أكنافهم صَفحوا ، فما منهم مَغِيظٌ مُحْنَق
سَخِروا من الدنيا كما سَخِرَتْ بهم وانبَتَّ من أسبابها المُتَعَلَّق(٢)
يا مأْتَماً من (عبدِ شمسٍ) مثلُه للشمس يُصْنعُ فى الممات ويُنْسَق
إن ضاق ظهرُ الأرضِ عنك فبطنُها عمّا وراءكَ من رُفاتٍ أَضْيق(٣)
لا جَمَعْتَ الشامَ من أطرافِه وافَى يُعزِّى الشامَ فيك المشرِق
يبكى لواءً من شبابِ أُمَيّةٍ يَحمى حِمَى الحق المبينِ ويَخفق
لمستْ نواصِيها الحصونُ ترومُه وتلَمَّسَتْهُ فلم تجدْه الفَيْلَق(٤)
وكنَّ الزعامةِ حين تطلب رأيَه فيَرَى ، وتسْأَلُه الخطابَ فينْطِق
ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحتَه عودُ المنابرِ يُستخَف فيُورِق(٥)
(فيحاءُ) ، أين على جِنانِك وردةٌ كانت بها الدنيا ترِفُّ وتعْبَق؟(٦)

---

١ ــ التهاويل : الألوان المختلفة .
٢ ــ انبت ، اى قطع .
٣ ــ الرفات : بقايا الميت .
٤ ــ نواصى الحصون : اعاليها .
٥ ــ يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .
٦ ــ فيحاء : دمشق .

علويّة تجد المسامع طيها وتُحِسُّ ريّاها العقولُ وتَنشَق
وأرائِكُ الزّهرِ الغصونُ ، وعرشُها يَدُ أُمةٍ وجبينُها والمفْرق
مَنْ مُبْلِغٌ عنّى شُبولة جِلّقٍ قولاً يَبرُّ على الزمان ويصْدُق؟
باللهِ جلّ جلالُه ، بمحمدٍ بيسوعَ ، بالغزّىِّ لا تتفرّقوا
قد تُفْسِدُ المرْعَى على أخواتها شاةٌ تنِدُّ من القطيع وتَمْرُق

كريمة البارودى(*)

أحيثُ تَلوحُ المُنى تأفلُ ؟ كفى عِظةً أيها المنزلُ ! (١)
حكيْتَ الحياة وحالاتِها فهلَّا تخطَّيْتَ ما تنقل ؟
أمِن جنْحِ ليلٍ إلى فجرِه حتَّى يَزْدَهِى ، وحتَّى يَعْطل ؟(٢)
وذلك يوحِش من ربةٍ وذلك من رَبَّةٍ يَأْهَل ؟(٣)
أجاب النَّعِىُّ لديْكَ البشيرَ وذاقَ بكأْسَيْهما المحفِل
وأطرَق بينهما والدٌ أخو ترْحَةٍ ، ليلُه أَلْيَل(٤)
يَفِيءُ إلى العقل فى أمره ولٰكِنَّهُ القلبُ ، لا يعقِل
تهاوت عن الوردِ أغصانُه وطارَ عن البيْضة البُلْبُل(٥)
وراحت حياةٌ ، وجاءت حياةٌ وأظهرَ قدرتَه المُبْدِل
وما غيرُ مَنْ قد أتى مُدْبِرٌ ولا غيرُ مَنْ قد مضى مُقبِل
كأنى (بسامى) هُلوعُ الفؤادِ إذا أسمعَتْ همْسةٌ يَعجَل
يَرى قدرًا يأْمُلُ اللُّطفَ فيه وعادِى الرَّدَى دون ما يَأْمُل
يُضِيءُ لضِيفانه بِشْرُه وبين الضلوعِ الغَضَى المُشْعَل(٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت اثناء زفاف شقيقتها .

١ــ تلوح المنى : بمعنى تشرق ، وتأفل : بمعنى تغرب ــ٢ــ جنح الليل (بضم الجيم وكسرها) : طائفة منه . ويعطل : بمعنى يخلو . والاصل فى العطل : التجرد من الحلي ــ٣ــ الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت ، ويأهل: يمتلىء او يعمر ــ٤ــ الترحة : الحزن . الأليل : الشديد السواد . ٥ــ تهاوت : اى تساقطت او تخلت ــ٦ــ الغضى : شجر اذا اشتعل بقى جمره طويلا .

ويَقْرِيهُمُ الأَنسَ فى منزلٍ ويَجمعُه والأَسى مَنزِل
فمن غادةٍ فى مَجالِى الزُّفافِ إلى غادةٍ داؤها مُعْضِل
وذى فى نفاستِهَا تَنطوى وذى فى نفائسها تَرفُل(١)
تَقسَّمَ بينهما قلبُه وخانته عيناه والأَرْجُل
فيانكدَ الحُرُّ ، هل تنقضى ؟ ويا فرح الحرِّ ، هل تكْمُل ؟
وياصبر (سامى) ، بلغْتَ المَدى ويا قلبه السهلَ ، كم تَحْمِل ؟
لقد زدْتَ من رِقَّةٍ كالصراط ودون صَلابتِكَ الجَنْدَل
يَمرّ عليك خليطُ الخُطوب ويجتازك الخِفُّ والمُثقِل(٢)
ويارجل الحِلْمِ ، خُذ بالرضى فذلك من مُنَّتٍ أَجْمَل
أتحسَب شهدا إناءَ الزّمانِ وطينتُه الصابُ والحَنْظَل ؟
وما كان مِن مُرِّهِ يَحتلى وما كان مِن حُلوهِ يسْفل
وأنت الذى شربَ المترَعاتِ فأَىُّ البواقى به تَحفِل ؟
أفى ذا الجلالِ ، وفى ذا الوقارِ تُخِيفُك ضَراءُ أو تُذهِل ؟
ألم تكن الملْكَ فى عزِّه وباعُك من باعه أطْوَل ؟
وقولُك من فوق قولِ الرِّجالِ وفعلُك من فعلهم أَنْبَل؟(٣)
ستعرِفُ دنياك من ساوَمتْ وأن وقارَك لا يُبْذَل
كأنك (شمشونُ) هٰذى الحياةِ وكلُّ حوادِثها هَيْكَل(٤)

١ــ النفاسة من قولهم : هذا شىء نفيس ، اى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما اشبهها ــ٢ــ الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل . ٣ــ يشير الى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها ــ٤ــ شمشون : احد انبياء التوراة ، وله قصة هناك تدل على انه اعطى بسطة عظيمة فى القوة .

فتحى ونورى(*)

أنظر إلى الأقمار كيف تزولُ وإلى وُجوهِ السَّعْدِ كيف تَحول
وإلى الجبالِ الشُّمِّ كيف يُميلُها عادى الرّدى بإشارةٍ فتميل
وإلى الرّياح تَخِرُّ دون قَرارِها صرْعَى عليهن التُّرَابُ مَهيل
وإلى النُّسورِ تقاصرت أعمارُها والعهدُ فى عُمر النُّسورِ يَطول
فى كلِّ منزلةٍ وكل سمِيَّة قمرٌ من الغُرِّ السُّماةِ قتيل
يهوِى القضاءُ بها ، فما من عاصِمٍ هيهات ! ليس من القضاءِ مُقيل
(فتحُ السماءِ)و(نورُها)سكنا الثرى فالأَرضُ وَلْهى ، والسماءُ ثَكول
سِرْ فى الهواءِ ، ولُذ بناصيةِ السُّها الموتُ لا يخفَى عليه سبيل(١)
واركبْ جَناحَ النسر لا يَعْصِمْك من نسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل
ولكلّ نفسٍ ساعةٌ ، مَنْ لم يَمُتْ فيها عزيزًا مات وهْوَ ذليل
أَإلى الحياةِ سَكنْتَ وهْى مَصارعٌ وإلى الأَمانى يَسكنُ المسلول ؟
لا تَحفِلنّ ببؤسِها ونعيمِها نُعْمى الحياةِ وبؤسُها تضليل
ما بين نَضرَتِها وبين ذُبولِها عمرُ الورودِ ، وإنه لقليل
هذا بَشيرُ الأَمسِ أَصبح ناعيًا كالحلم جاء بضدِّه التأويل
يجرى من العبَراتِ حولَ حديثِه ما كان من فرَحٍ عليه يَسيل

(*) فتحى ونورى : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما الى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بهما ، فماتا ، فكان لمصابهما فى مصر أسف شديد ، وكانت الخلافة الاسلامية وقتئذ ماتزال تربط المصريين بالعثمانيين .

١ـ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

ولرُبَّ أعراسٍ خَبَأْن مآتماً كالرُّقْط في ظلِّ الرياضِ تقيل(١)
يا أيُّها الشهداءُ ، لن يُنْسى لكم فتحٌ أغرُّ على السماء جميل
والمجدُ في الدنيا لأوّلِ مُبْتنٍ ولمن يُشيِّد بعده فيُطيل
لولا نفوسٌ زُلْنَ في سُبُل العُلا لم يَهْدِ فيها السالكين دَليل
والناسُ باذلُ روحِه ، أو مالِهِ أو علمِه ، والآخرون فُضول
والنَّصْرُ غرَّتُه الطلائعُ في الوغَى والتابعون من الخميس حُجول(٢)
كم ألف مِيلٍ نحو مصرَ قطعتمُ فِيم الوقوفُ ودون مصرٍ مِيل ؟
(طوروسُ) تحتكم ضئيلٌ ، طرْفُه لمّا طلَعتم في السحاب كَلِيل
تُرخون للريح العِنان ، وإنها لكمُ على طُغيانها لذَلول
اِثنين إثر اثنين ، لم يخطر لكم أنّ المنيّة ثالثٌ وزَميل
ومن العجائب في زمانِك أن يَفِي لك في الحياةِ وفي الممات خليل
لو كان يُفدَى هالكٌ لفَداكمُ في الجوّ نسرٌ بالحياة بَخيل
أيُّ الغُزاةِ أولى الشهادةِ قبلكم عرْضُ السماء ضريحُهم والطُّول ؟(٣)
يَغْدو عليكم بالتحيَّةِ أهلُها ويرفرِفُ التسبيح والتهليل

١ــ يريد ان الاحزان تختبىء في الارواح ، كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة في ظلال الرياض ، فوجود الحيات في ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما ان انطواء الأحزان في ثنايا الأفراح مسمم لجوها ، مانع من الاستمتاع بكل سرورها ــ٢ــ الخميس : الجيش . والحجول : أصلها من اللون الابيض يكون في قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : ان الذين يقدمون في اوائل الجيوش ، يكونون في جسم النصر اشبه بالغرة ، وهي لا تكون الا في الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهي لا تكون الا في الايدي والارجل ، وطبيعي أن الوجه أشرف ، وان كانت الحجول بعض سمات الجمال ــ٣ــ في هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، اذ يقول لهم : ان الغزاة ــ وهم موضع الاجلال والاكبار ــ تشق قبورهم في الارض ، ولكن اضرحتكم تخط في السماء .

(إدريسُ) فوقَ يمينهِ ريْحَانةٌ ويَسوعُ فوق يمينِه إكليل(١)
فى عالم سُكَّانُه أنفاسُهم طِيب ، وهَمْسُ حديثِهم إنجيل(٢)
إنى أخاف على السماءِ من الأذى فى يومٍ يُفْسِد فى السماء الجيل(٣)
كانت مطهَّرة الأديمِ ، نَقِيَّةً لا آدمٌ فيها ، ولا قابيل(٤)
يَتوجَّه العانى إلى رحماتِها ويرَى بها برقَ الرجاء عليل
ويُشيرُ بالرأسِ المُكَلَّلِ نحوَها شيخٌ ، وباللحظِ البريءِ بَتول(٥)
واليومَ للشهواتِ فيها والهوى سَيْلٌ ، وللدَّمِ والدموعِ مسيل
أَضحتْ ومن سُفن الجواءِ طوائفٌ فيها ، ومن خيل الهواءِ رَعيل(٦)
وأزيل هيكلُها المصونُ وسِرُّه والدهرُ للسر المصونِ مُذيل(٧)

* * *

هلِعَت (دِمشْقُ) ، وأقبلَتْ فى أهلها ملهوفةً ، لم تدر كيف تقول
مَشَت الشُّجونُ بها ، وعمَّ غِياطَها بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبول(٨)
فى كلِّ سهلٍ أَنَّةٌ وَمناحةٌ وبكلِّ حَزْنٍ رنَّةٌ وعويل

---

١ — يسوع : هو عيسى ابن مريم . وادريس : هو احد الانبياء الرسل . وقد خص ادريس بالذكر ، لما جاء فى قصة الاسراء ، من ان النبى صلوات الله عليه رآه قائما على باب احدى السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : اخوك ادريس — ٢ — قوله : « وهمس حديثهم انجيل » : يقصد ان احاديثهم طهر وتقديس — ٣ — يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميدانا للحروب ، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم — ٤ — يريد «بقابيل» الاشارة الى اول دم اراقه الانسان ظلما لأخيه الانسان — ٥ — الراس المكلل : الذى يتوجه الشيب ، وهذه كناية عن حالة الضعف — ٦ — خيل الهواء : الطيارات . والرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين او الخمسة والعشرين — ٧ — مذيل : مهين . اى ان الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكانه اهانة — ٨ — الغياط : جمع غوطة ، وهى الموضع الكثير الماء والشجر . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكأنما نُعِيَتْ أُميَّةُ كلُّها للمسجد الأُمَوِىِّ ، فهْوَ طُلول(١)
خضَعَتْ لكم فيه الصفوفُ ، وأُزْلِفَتْ لكمُ الصَّلاةُ ، وقُرِّبَ الترتيل
من كلِّ نَعْشٍ كالثُّريّا ، مَجْدُه فى الأَرضِ عالٍ ، والسماءُ أَصيل
فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفنٌ بمدامع الروحِ الأَمين غَسيل
أعواده بين الرجالِ ، وأَصلُه بين(السُّهى)و(المُشتَرِى)مَحمول(٢)
يَمشى الجنودُ به ، ولولا أَنهم أَوْلَى بذاكَ مَشى به جِبريل
حتى نزلتم بُقعةً فيها الهوىٰ من قبلُ ثاوٍ ، والسماحُ نَزيل
عَظُمَتْ ،وجلَّ ضَريحُ (يوسفَ)فوقَها حتى كأَنَّ الميْت فيه رسول(٣)

* * *

شِعرى ، إذا جُبْتَ البحار ثلاثةً وحواكَ ظلٌّ فى (فروقَ) ظَليل(٤)
وتداولَتْكَ عصابةٌ عربيّةٌ بينَ المآذنِ والقِلاعِ نُزول
وبَلغْتَ من بابِ الخِلافةِ سُدَّةً لِسُتورِها التمسيحُ والتقبيل
قلْ للإمام محمدٍ ، ولآله صبرُ العظامِ على العظيم جميل
تلك الخطوبُ ـ وقد حملتم شطرَها ـ ناءَ الفراتُ بشطرها والنيل
إن تَفقِدوا الآسادَ أو أشبالَها فالغابُ من أمثالها مَأْهول
صبرًا ؛ فأَجرُ المسلمين وأَجرُكم عند الإلٰه ، وإنه لجزيل
يا مَنْ خلافتُه الرَّضِيَّةُ عِصْمَةٌ للحقِّ ، أنت بأَن يُحقَّ كفيل
واللهُ يعلم أَنَّ فى خلفائه عدلاً يُقيم الملكَ حين يَميل
والعدلُ يَرفع للممالك حائطًا لا الجيشُ يرفعه ولا الأُسطول

١ـ طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء ـ ٢ـ المشترى : من الكواكب السيارة ـ ٣ـ يقصد « بيوسف » صلاح الدين الايوبى . ٤ـ جبت : قطعت . وفروق : الاستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ .

هذا مقامُ أنت فيه محمدٌ والرفقُ عند محمدٍ مأمول(١)
بالله ، بالإسلام ، بالجرحِ الذى ما انفكَّ فى جنب الهلال يَسيل
إلا حللتَ عن السجين وَثَاقَه إنَّ الوثاقَ على الأَسودِ ثَقيل(٢)
أيقول واش ، أو يُرَدِّدُ شامتٌ صِنديدُ (برقة) مُوثَقٌ مَكبول؟(٣)
هو من سيوفِك أغمدُوه لريبةٍ ما كان يُغمَدُ سيفُك المسلول
فاذكر أميرَ المؤمنين بَلاءه واستبقه ، إن السيوفَ قليل

١ــ كان يخاطب الخليفة محمد رشاد ــ٢ــ السجين : هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجت به فى السجن ، ولم يخرج الا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها ــ٣ــ برقة : أحد الاقاليم الليبية حدثت به أهم الوقائع الحربية فى تلك الاغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

على باشا أبو الفتوح(*)

ما بينَ دمعِى المُسْبَلِ عهدٌ وبينَ ثَرَى (عَلِى)
عهدُ (البقيعِ) وساكنيـــــه على الحَيا المتهلِّل(١)
والدَّمعُ مروحَةُ الحزيـ ـنِ وراحَةُ المُتَمَلْمِل
نَمضى ، ويَلحَقُ منْ سلا فى الغابرينَ بمَنْ سُلى
كم مِنْ تُرابٍ بالدمو ـعِ على الزمان مُبلَّل
كالقبر ما لم يَبْلَ فيـــــه من العِظام ، وما بلِي
ريَّان من مجد يعِـ زُّ على القصور موثَّل
أمسَتْ جوانِبُه قَرا را للنُّجوم الأُفَّل
وحديثُهم مِسكُ النَّدِ يِّ ، وعَنْبَرٌ فى المحفِل

* * *

قلْ للنّعِيِّ : هتكْت دَمـــــعَ الصابر المتَجَمِّل(٢)
المُلتقِى الأحداثَ إنْ نزلَتْ كأن لَّم تَنزِل
حَمَلَ الأسَى (بأبِى الفتو ح) علَىَّ ما لمْ أحمِل(٣)
حتى ذَهِلْتُ ، ومن يَذُق فقدَ الأحِبَّةِ يَذْهَل
فعتبْتُ فى رُكن (القضا ء) على القضاء المُنْزَل

(*) على باشا ابوالفتوح : احد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيد الطريق لنهضتها ، كان حقوقيا ضليعا ، واسندت له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والامل ، وقد توفى سنة ١٩١٣ ، فعد موته خسارة وطنية كبرى .

١ــ البقيع : احد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة ــ٢ــ المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس ــ٣ــ الاسى : الحزن

لَهَفى على ذاك الشبا بِ وذلك المستقبَل
وعلى المعارف إذ خَلتْ من ركنِها والموئِل(١)
وعلى شمائلَ كالرُّبَى بينَ الصِّبا والجدول
وحياء وجهٍ كان يُوْ ثَر عن «يَسوعَ» المرسَل

* * *

يا راوياً تحتَ الصفيـــــحِ من الكرى والجندل(٢)
ومُسربِلاً حُلَلَ الوزا رةِ بات غيرَ مُسَربَل
ومُوَسداً حُفَرَ الثرى بعدَ البناءِ الأطول
إنى التفتُّ إلى الشبا ب الغابرِ المتمثِّل
ووقفتُ ما بين المحقَّ ـقِ فيه ، والمتخيَّل
فرأيت أيامًا عَجِلْ ـنَ ، وليْتَها لَمْ تَعْجَل
كانت مُوَطَّأَةَ المِها دِ لنا ، عِذاب المنهَل
ذَهبَتْ كحُلمٍ ، بيْدَ أنّ الحُلمَ لم يتأوَّل
إذ نحن فى ظلِّ الشبا بِ الوارفِ المتهدِّل(٣)
جاران فى دار النوَى مُتقابلانِ بمنزل
أيْكِى وأيْكُك ضاحكا ن على خمائل مونْبِلى(٤)

---

١ ــ الموئل : الملجأ الــذى يلجأ اليه فى الشدة ــ٢ــ يريد « بالصفيح والجندل » : حجارة القبر . يستعبر بالفقيد ــ وهو المرفه فى الحيــاة ــ كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة ، وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار ــ٣ــ المتهدل : من قولهم : تهدلت اغصان الشجر ، اذا تدلت ــ٤ــ يشير فى هذا البيت والذى قبله ، الى ان الفقيد كان هو وامير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العــلم فى جامعـــة « مونبليه » ، وهى احدى مدن فرنسا الشهيرة . والايك فى الاصل : عش الطائر . والخمائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين .

والدرسُ يجمعُنى بأفـ ـضلِ طالبٍ ومُحصِّل
أيامَ تَبْذُل فى سبيـ ـلِ العلم ما لم يُبذَل
غَضَّ الشباب ، فكيف كنـ ـت عن الشبابِ بمعْزِل ؟

وإذا دعاكَ إلى الهوى داعى الصبا لم تحفِل
ولو اطَّلعْتَ على الحيا ةِ فعلْتَ ما لم يُفعَل
لم يَدْرِ إلاَّ اللهُ ما خَبأَتْ لكَ الدنيا ، ولى
تَجرى بنا لمُفتَّح بينَ الغُيوب ومُقفَل
حتى تبدَّلْنا ، وذا كَ العهدُ لم يَتبدَّل
هاتيك أيامُ الشبا بِ المحسنِ المتفضِّل
مَنْ فاته ظلُّ الشبيـ ـبةِ عاش غير مُظلَّل

• • •

يا راحلاً أخلَى الديا رَ وفضلُه لم يَرحَل
تتحملُ الآمالُ إثْـ ـرَ شبابِه المتحمِّل(١)
مشتِ الشبيبةُ جحْفَلاً تَبكى لِواء الجحفل(٢)
فانظر سريرَك ، هل جرى فوق الدموعِ الهُطَّل ؟
الله فى وطنٍ ضعيـ ـفِ الركنِ ، واهى المعقِل
وأبٍ وراءك حُزنُه لِنواك حزنُ المثْكل
يَهَبُ الضِّياعَ العامرا تِ لمَنْ يردُّ له «على»
ليسن الغنىُّ من البريـ ـــة غير ذى البال الخَلِى

١ــ الشباب المتحمل ، اى الراحل ٢ــ الجحفل : الجيش .

ونَجيبةٍ بين العقا ئِل هَمُّها لا ينسلى(١)
دَخَلَتْ منازلَها المنو نُ على الجرىء المُشْبِل(٢)
كسرَتْ جناحَ مُنعَّمٍ ورمَتْ فوادَ مُدلَّل
فكأَن آللكَ من شجٍ ومُتيَّمٍ ومُرمَّل
آلُ «الحسينِ» (بِكربلا فى كُربةٍ لا تنجلى)(٣)
خلعَ الشبابَ على القنا وبذلْتَه لِلمُعْضِـــــل(٤)
والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ فى مَقتل
فاذهب كما ذهبَ الحسيـ نُ إلى الجوارِ الأفضَل
فكلاكما زينُ الشبا بِ بجنةِ اللهِ العلى

١ــ لا ينسلى : أى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها ــ٢ المشبل : هو الذى يلد الاشبال ، وهى أولاد السباع ــ٣ــ كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه ــ٤ــ يشبه الفقيد بالحسين ، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه ، كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا ينافى الاعتقاد بالاجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى أن لا مفر من القتل يقول بعضهم :

* فلو ترك القطا ليلا لنام *

جورجى زيدان(*)

ممالكُ الشرقِ ، أم أدراسُ أطلالِ وتلك دُولاتُه ، أم رَسْمُها البالى؟(١)
أصابَها الدهرُ إلاَّ فى مآثرِها والدهرُ بالناس من حالٍ إلى حال
وصار ما نتغنَّى من محاسنها حديث ذى مِحنةٍ عن صَفْوِه الخالى
إذا حفا الحقُّ أرضاً هانَ جانبُها كأنَّها غابةٌ من غيرِ رِئبال(٢)
وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها لفاتكٍ من عَوادى الذل قَتَّال
نوابغَ الشرقِ ، هُزُّوهُ لعلّ به من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى
إنتنفخوا فيهمن روح البيانِ ، ومن حقيقةِ العلمِ ينهضْ بعدَ إعضال
لا تجعلوا الدينَ باب الشرِّ بينكُمُ ولا محلَّ مُباهاةٍ وإدلال
ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلَكُمُ كلُّ امرئٍ لأبيهِ تابعٌ تالى
ليس الغلوُّ أمينًا فى مَشُورته مناهجُ الرُّشْدِ قدتخْفَى على الغالى
لا تطلبوا حقَّكم بَغْياً ، ولا ضَلفًا ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُختال
ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُه فرُبَّ مصْلحةٍ ضاعت بإهمال

(*) الاستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشىء دار الهلال الغراء هو احد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، واحد اساطين رجال العلم والادب ، الذين يرجع الى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ ، بعد ان ترك خلفه من التراث العلمى والادبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

١ــ الادراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفى او الثوب الخلــق . والاطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت اليه ممالك الشرق فى هذه الأيام ؛ فهو يسأل مستنكرا : اهذه ممالك حقا ؟ ام هى آثار ورسوم من ممالك عظيمــة كانت موجودة وذهبت؟ ــ٢ رئبال : اسد .

كم هِمَّةٍ دَفَعَتْ جيلاً ذُرا شرفٍ ونوْمَة هدمتْ بُنيانَ أجيال
والعلمُ فى فضله ، أو فى مفاخِره ركنُ الممالكِ ، صدرُ الدولةِ الحالى
إذا مشَتْ أُمَّةٌ فى العالَمين به أَبَى لها اللهُ أنْ تَمشِى بأغلال
يقِلُّ للعلم عندَ العارفين به ما تقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال
فقِفْ على أهله ، واطلبْ جواهره كناقدٍ مُمعِنٍ فى كفّ لآل
فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ما ليس يفعل فيها طِبٌّ دجَّال
ورُب صاحبِ درْسٍ لو وقفْتَ به رأيتَ شِبه عليم بينَ جُهّال
وتسبق الشمسَ فى الأمصار حكمتُه إلى كهولٍ ، وشُبّانٍ ، وأطفال
(زيدانُ) ، إنى مع الدنيا كعهدِك لِى رِضَى الصديقِ ، مقِيلُ الحاسدِ القالى
لى دَوْلةُ الشعر دونَ العصر وائِلَةٌ مَفاخِرى حِكَمى فيها وأمثالى
إنْ تَمْشِ للخير أو للشر بى قدمٌ أُشمِّرُ الذَّيْلَ ، أو أعثُرْ بأذيالى
وإنْ لَقِيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ جَحَدْتُ فى جَنْبِ فضلِ اللهِ أفضالى
وأشكر الصُّنع فى سِرى وفى علنى إن الصنائع تزكو عند أمثالى
وأتركُ الغيبَ لله العليمِ به إن الغيوب صناديقٌ بأقفال
(كأُرْغُنِ) الدَّيْرِ إكثارى ومَوْقِعُه وكالأذانِ على الأسماع إقلالى(١)
رثَيْتُ قبلك أحباباً فُجِعْتُ بِهم ورُحْتُ من فُرقةِ الأحبابِ يُرثى لى
وما عَلِمْتُ رفيقا غير مُؤتمَنٍ كالموت للمرء فى حِلٍّ وترحال
أرحْتَ بالَك من دنيا بلا خُلُقٍ أليس فى الموت أقصى راحةِ البال؟
طالت عليك عوادى الدهرِ فى خَشِنٍ من الثُّراب مع الأيام مُنهال
لم نأتِه بأخٍ فى العيش بعدَ أخٍ إلّا تركنا رُفاتاً عندَ غِربال

١ــ الارغن : آلة موسيقية معروفة .

لا ينفعُ النفسَ فيه وهْيَ حائرةٌ ... إلا زكاةُ النُّهَى ، والجاهِ ، والمالِ
ما تصنعِ الْيومَ مِن خيرٍ تَجِدْه غدًا ... الخيرُ والشرُّ مِثقالٌ بمثقالِ
قد أكملَ اللهُ ذيّاكَ (الهلالَ) لنا ... فلا رأى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمالِ
ولا يَزَلْ فى نفوسِ القارئين ؛ له ... كرامةُ الصُّحُفِ الأُولَى على التالى
فيه الروائعُ من علمٍ ، ومن أدبٍ ... ومن وقائعِ أيامٍ وأحوالِ
وفيه همةُ نفسٍ زانها خُلُقٌ ... هما لباغى المعالى خيرُ مِنوالِ
علَّمْتَ كلَّ نَئُومٍ فى الرجال به ... أنَّ الحياة بآمالٍ وأعمالِ
ما كان من دُوَلِ الإسلام مُنصرِماً ... صَوَّرْته ، كلُّ أيامٍ بتمثالِ
نرى به القوم فى عِزٍّ وفى ضَعةٍ ... والملكَ ما بينَ إدبارٍ وإقبالِ
وما عرَضْتَ على الألبابِ فاكهةً ... كالعلمِ تُبرِزُه فى أحسنِ القالِ
وَضعْتَ خيرَ (رواياتِ) الحياةِ ، فضَعْ ... روايةَ الموتِ فى أسلوبِها العالى
وصِفْ لنا كيف تجفو الروحُ هَيْكَلَها ... ويستبدُّ البِلَى بالهيكل الخالى
وهل تَحِنُّ إليه بعد فُرقتِه ... كما يَحِنُّ إلى أوطانه الجالى(١)
هِضابُ لُبنانَ من منْعاتِكَ اضطَربَتْ ... كأن لبنانَ مَرْمِىٌّ بزلزالِ
كذلك الأرضُ تبكى فَقْد عالِمِها ... كالأُم تبكى ذهابَ النافعِ الغالى

١ــ الجالى : النازح او المهاجر .

شهداء العلم والغربة(*)

ألا فى سبيلِ الله ذاكَ الدمُ الغالى ... وللمجدِ ما أبقَى من المَثَل العالى
وبعضُ المنايا هِمَّةٌ من ورائِها ... حياةٌ لأقوامٍ ، ودُنيا لأجيال
أعَيْنَىَّ ، جودا بالدموع على دمٍ ... كريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهَتْ به الأحداثُ من غُربةِ النَّوَى ... إلى حادثٍ من غُربةِ الدهرِ قتّال
جرى أرجُوانيًّا ، كُمَيْتًا ، مُشَعْشَعًا ... بأبيضَ من غِسْلِ الملائِكِ سَلْسَال(١)
ولاذ بقُضبانِ الحديدِ شَهيدُه ... فعادَتْ رَفيفًا من عيونٍ وأطلال
سلامٌ عليه فى الحياةِ ، وهامدًا ... وفى العُصُرِ الخالى ، وفى العالَمِ التالى
خَليلَىَّ ، قُوما فى رُبَى الغربِ ، واسقيا ... رَياحينَ هامٍ فى التراب ، وأوْصال(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ... ذوت بينَ حِلٍّ فى البلاد وتَرحال
نعاها لنا الناعى ، فمال على أبٍ ... هَلوعٍ ، وأمٍّ (بالكنانةِ) مِثكال
طَوَى الغربَ نحوَ الشرقِ يَعْدُو وسُلَيْكُهُ ... بمضْطَرِبٍ فى البرِّ والبحرِ ، مِرْقال(٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات اوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من ارض ايطاليا ، فقتل احد عشر طالبا وجىء بهم الى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، فاشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعله بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

١ ــ الأرجوانى : منسوب الى الأرجوان ، وهو صبغ احمر يشبه به الدم لشدة حمرته . والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع : المزوج بالماء . والغسل (بكسر الغين) : ما يغسل به . يصف يوم هؤلاء الشهداء بانه يجرى احمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون ابيض ، كأنه الماء السلسال الذى اصابه من غسل الملائكة ــ٢ــ الأوصال : الاعضاء .
٣ ــ سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل فى السرعة اراد تشبيه الناعى به . مرقال : سريع .

يُسِرُّ إلى النفسِ الأسَى غيرَ هامسٍ ويُلقِى على القلبِ الشَّجَى غيرَ قوَّال
سماءُ الحِمَى بالشاطِئَيْنِ وأرضُه مناحةُ أقمارٍ ، ومَأْتَمُ أشبال

• • •

تُرَى الريحُ تدرِى: ماالذى قد أعادهَا بساطًا ، ولكن من حديدٍ وأثقال؟
يُقِلُّ من الفِتْيَانِ أشبالَ غابةٍ غُداةً على الأخطار رُكَّابَ أهوال
ثَنَتْهُ العوادى دونَ (أودِينَ) ،فانثنَى بآخَرَ من دُهْمِ المقاديرِ ذَيَّال(١)
قد اعتَنقاتحتَ الدّخانِ كما التقَى كَمِيّان فى داجٍ من النقْعِ مُنجال(٢)
فسبحانَ مَنْ يَرْمِى الحديدَ وبأْسَه على ناعم غَضٍّ من الزهر مِنهال
ومَنْ يأْخذُ السارين بالفجرِ طالعاً طُلوعَ المنايا من ثَنِيَّات آجال(٣)
ومَن يَجعلُ الأسفارَ للناس هِمَّةً إلى سَفَرٍ يَنْوُونَه غيرَ قُفَّال

• • •

فيا ناقِليهم ، لو تركتم رفاتَهم أقام يتيمًا فى حِراسةِ لآل(٤)
وبينَ (غَريبالْدى) و(كافورَ) مَضْجَعٌ لنُزَّاعِ أمصارٍ على الحقِّ نُزَّال(٥)
فهل عَطَفتْكم رَنَّةُ الأَهْلِ والحِمَى وضَجَّةُ أترابٍ عليهم وأمثال ؟
لئن فاتَ مصرًا أن يموتوا بأرضها لقد ظَفِرُوا بالبَعْث من تُرْبِهَا الغالى
وما شَغلتْهُمْ عن هَواها قِيامةٌ إذا اعتَلَّ رَهْنُ المحبِسَيْنِ بأشغال(٦)

١ــ دهم : جمع ادهم ، وهو الاسود . وذيال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه ــ٢ــ كميان : مثنى كمى ، وهو الشجاع المتكمى ، اى المتغطى فى سلاحه . والنقع : الغبار ــ٣ــ الثنيات : قمم الجبال ــ٤ــ يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآل بائع اللآلىء وصائدها وصانعها ــ٥ــ غريبالدى وكافور : بطلان من ابطال الحركة الاستقلالية فى ايطاليا ــ ٦ ــ رهن المحبسين : اول ماأطلق هذا التعبير كان يطلق على ابى العلاء المعرى ، والمحبسان هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتُم من الغرب الشموسَ لمشرقٍ ... تَلَقَّى سناها مُظلمًا كاسِفَ انبال
عواثرَ لم تَبلغْ صِباها ، ولم تَنَلْ ... مَدَاها ، ولم تُوصَلْ ضُحاها بآصال
يُطافُ بهم نَعْشًا فنعشًا ، كأنهمْ ... مَصاحِفُ لم يَعلُ المُصَلِّى على التالى(١)
تَوابيتُ فى الأعناقِ تترَى زكيّةً ... كتابوتِ موسى فى مَناكب إسْرال(٢)
مُلفَّفةً فى حُلَّةٍ شَفقيَّةٍ ... هِلاليةٍ من راية النيلِ تِمثال
أظَلَّ جلالُ العلم والموتِ وَفدَها ... فلم تُلْقَ إلا فى خُشُوعٍ وإجلال
تُفارِقُ دارًا من غُرورٍ وباطِلٍ ... إلى مَنزل من جِيرَةِ الحقِّ مِحْلال
فيا حَلَبَةً رَفَّتْ على البحر حِلْيَةً ... وهزّتْ بها (حُلوانُ) أعطافَ مُختال(٣)
جَرَتْ بين إيماضِ العواصمِ بالضُّحَى ... وبينَ ابتسامِ الثَّغرِ بالموكِبِ الحالى
كثيرةَ باغى السبقِ لم يُرَ مِثلُها ... على عهدِ إسماعيلَ ذى الطَّوْلِ والنال(٤)
لكِ اللهُ ؛ هذا الخطبُ فى الوهم لم يَقَعْ ... وتلك المنايا لم يَكُنَّ على بال
بَلَى ، كلُّ ذى نَفسٍ أخو الموتِ وابنُه ... وإن جَرَّ أذيالَ الحداثةِ والخال
وليس عجيبًا أن يموتَ أخو الصِّبا ... ولكن عجيبٌ عَيْشُهُ عِيشةَ السالى
وكلُّ شبابٍ أو مَشيبٍ رَهينةٌ ... بمُعترِضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتال
وماالشيبُ من خَيْلِ العُلا؛ فارْكَبِ الصِّبا ... إلى المجدِ تركَبْ مَتْنَ أقدرِ جَوّال
يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى ... إذا الشيْبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال
ويا نَشأَ النيلِ الكريمِ ، عزاءكم ... ولا تذكروا الأقدارَ إلا بإجمال

١ــ المصلى : هو الذى يجىء أول الخيل فى السبق ، والتالى : هو الذى يجىء تاليا له ــ٢ــ تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام والقى فى البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . واسرال : اى اسرائيل ــ٣ــ الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى اقلت رفات الشهداء فى عودتهم الى مصر . ٤ــ النال : العطاء . وفى هذا البيت اشارة الى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد اسماعيل باشا .

فهذا هو الحقُّ الذى لا يرُدُّه تأفُّفُ قالٍ ، أو تلطُّفُ مُحتال(١)
عليكم لواءَ العلمِ ؛ فالفوزُ تحتَهُ وليس إذا الأعلام خانت بخذَّال(٢)
إذا مالَ صفٌّ فاخلفوه بآخَرٍ وَصولِ مَساعٍ ، لا ملولٍ : ولا آل(٣)
ولا يصلُحُ الفِتيانُ لا علمَ عندَهم ولا يجمعون الأمرَ أنصاف جُهّال
وليس لهم زادٌ إذا ما تزوَّدوا بياناً جُزَافَ الكيلِ كالحَشَفِ البالى(٤)
إذا جَزِعَ الفتيانُ فى وَقْعِ حادثٍ فمَنْ لجليلِ الأمرِ أو مُعْضِلِ الحال؟
ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِهِ نُفوسُ الحواريِّين أو مُهجُ الآل(٥)
فَغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينَكم ترَنُّمَ أبطالٍ بأيام أبطال
ألستم بَنى القومِ الذين تكبَّروا على الضرباتِ السّبعِ فِى الأبدِ الخالى؟(٦)
رُدِدْتُم إلى فِرْعَوْنَ جَدًّا ، وربّما رجعتم لعمٍّ فى القبائل أو خال

١ــ قال : منغض ــ٢ــ عليكم لواء العلم : اى الزموا او التزموا .
٣ــ آل : من قولهم : هو لا يألو جهدا ــ٤ــ الحشف البالى : التمر اليابس .
٥ــ الحواريون : أصحاب عيسى . والآل : اصحاب محمد صلوات الله عليهما ــ٦ــ الضربات السبع : يشير الى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد زغلول بك(*)

آلَ (زغلولَ)، حَسْبُكم من عزاء ـ سُنَّةُ الموتِ فى النَّبِيِّ وآلِه
فى خِلالِ الخطوبِ ما راع إلا أنها دون صبرِكم وجَمالِه
حَمل الرُّزْءَ عنكمُ فى (سعيدٍ) بلدٌ شيخُكم أبو أحماله(١)
قد دهاهُ من فقْدِه ما دهاكم ويكى ما بكيْتُمُ من خِلاله
فكما كان ذُخْركم ومُناكم كان من ذُخرِه ومن آماله
ليت منْ فكَّ أسرَكم لم يَكِلْه للمنايا تمدُّه فى اعتقاله
حجبتْ من ربيعِه ما رحوْتم وطوَتْ رحلة العُلا من هلاله
آنسَتْ صحّةً فمرّت عليها وتخطَّتْ شبابَه لم تُباله
إنما مِنْ كِتابِه يُتَوَفَّى المر ءُ ، لا مِنْ شبابِه واكتهاله
لستتدرى الحِمامُ بالغاب هل حا مَ على اللَّيْثِ ، أم على أشباله
با (سعيدُ) اتَّئِدْ ، ورِفْقاً بشيخٍ والِهٍ من لواعج الثُّكل واله(٢)
ما كفاه نوائبُ الحقِّ حتى زِدْتَ فى هَمِّه وفى إشغاله
فَجأَ الدهرُ ، فاقتضبْتُ القوافى من فُجاءاته وخَطْفِ ارتجاله
قُمْ فشاهدْ لو استطعْتَ قِياماً حَسرَةَ الشعرِ ، والْتِياعَ خياله
كان لى منك فى المجامع راوٍ عجَزَ (ابنُ الحسين) عن أمثاله(٣)

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له .

١ــ شيخكم أبو احماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .
٢ــ الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد ــ٣ــ ابن الحسين : الشاعر المتنبى . وراوى الشعر وراويته : الذى يروى الشعر ويحفظه .

فطِنٌ للصَّحاح من لُؤلُؤِ القو لِ ، وأدرَى بهنَّ مِنْ لَآله(١)
لم يَكُنْ فى غُلُوِّهِ ضيق الصَّد رِ ، ولا كان عاجزًا فى اعتداله
لا يُعادى ، ويُتَّقى أن يُعادَى ويُخلِّى سبيلَ منْ لم يُوالِه
فامْضِ فى ذمةِ الشبابِ نقيًّا طاهرًا ما ثَنيْت من أذياله
إنّ للعصر والحياةِ لَلُوماً لستَ مِنْ أهلِه ولا مِنْ مَجاله
صانكَ اللهُ من فسادِ زمانٍ دَنَّسَ اللومُ مِن ثيابِ رِجاله
سيقولون : ما رثاه على الفضـ ـل ، ولكنْ رَثاه زُلْفَى لخاله
أيُّهم مَنْ أتَى برأس كُلَيْبٍ أو شَفَى القُطْرَ من عَياءِ احتلاله؟
ليس بينى وبين خالِكَ إلا أننى ما حييتُ فى إجلاله
أتمنَّى لمصرَ أن يَجرِىَ الخيـ ـرُ لها مِنْ يَمينِه وشِماله
لستُ أرجوه كالرجال لصَيْدٍ من حَرامِ انتخابِهم أو حَلاله
كيف أرجو (أبا سعيدٍ) لشىءٍ كان يُقْضَى بكُفره وضلاله ؟ !
هو أهلٌ لأنْ يردَّ لقومى أمْرَهم فى حقيقة استقلاله
وأنا المرءُ لم أرَ الحقَّ إلا كنْتُ مِن حِزْبِه ومن عُمَّاله
رُبَّ حرٍّ صنعْتُ فيه ثناءً عجزَ الناحتون عن تمثاله(٢)

١ــ اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه ــ٢ــ يقول : اننى كثيرا ما اصنع للأحرار قصائد ثناء ، فتقوم فى تصويرهم وتخليد اشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها .

أمين بك الرافعى(*)

مال أحبابُه خليلاً خليلا وتولَّى الِّلداتُ إلا قليلا
نَصلوا أمسِ من غُبار الليالى ومضى وحدَه يَحُثُّ الرحيلا(١)
سكَنتْ منهم الركابُ ، كأن لم تضطربْ ساعةً ولم تَمْضِ مِيلا
جُرِّدوا من مَنازِلِ الأرضِ إلا حَجَرًا دارِسا ورَملاً مَهيلا(٢)
وتَعَرَّوْا إلى البِلَى ، فكساهم خُشْنةَ اللَّحدِ والدُّجىٰ المسدولا
فى يَبَابٍ من الثرى رَدَّه المو تُ نقيًّا من الحقودِ غَسيلا(٣)
طَرَحوا عندَه الهمومَ ، وقالوا إن عِبْءَ الحياةِ كان ثقيلا
إنما العالمُ الذى منه جئنا مَلعبٌ لا يُنوِّع التمثيلا
بطلُ الموتِ فى الرواية ركنٌ بُنِيَتْ منه هيكلاً وفصولا
كلّما راح أو غدا الموتُ فيها سَقط السِّترُ بالدموع بَليلا

* * *

(*) امين بك الرافعى ، كان كاتبا سياسيا عظيما ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثالا عاليا ، لطهارة الذمة ، ونبل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها الا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهدا فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٦ .

١ ــ نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كنائى عن الموت ، اذ غبار الليالى عبارة عن أحداثها ، وليس فى امكان الحى التنصل من هذه الاحداث الا بالموت . يقول ان أحبابه وخلانه سبقوه ، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على اثرهم مسرعا ، ليلحق بهم ، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا ــ٢ــ يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى ايديهم من ممتلكاتها الا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى لم يتقاتل الناس ، ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع ، وهم اذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات الا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رممهم ــ٣ــ اليباب : الخراب . يقول : ان هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الاكدار ، وغسله من الاحقاد ، فهو من اجل ذلك صار أروح للأرواح عن المواضع الآهلة بالعمران .

ذكرياتٌ من الأَحبَّةِ تُمحَى بِيَدٍ للزمان تَمحو الطُّلولا
كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ سوف يمشى البِلَى عليه مُحيلا
رُبَّ ثُكْلٍ أساكَ مِن قُرْحةِ الثُّكْـ ـلِ ، ورُزءٍ نسَّاك رُزْءاً جليلا

* * *

يابَناتِ القَريضِ ، قُمْنَ مَناحا تٍ ، وأَرْسِلْنَ لَوْعةً وعَويلا
من بَناتِ الهَدِيلِ أَنْتُنَّ أَحْنَى نغمة فى الأَسْى ، وأَشجَى هَديلا(١)
إن دمعًا تَذْرِفْنَ إثرَ رِفاقٍ سوف يَبْكِى به الخليلُ الخليلا
رُبَّ يومٍ يُناحُ فيه علينا لو نُحِسُّ النُّواح والترتيلا
بمَراثٍ كَتَبْنَ بالدمع عنّا أَسطُرًا من جوًى ، وأُخْرَىٰ غليلا
يَجِدُ القائلون فيها المعانى يومَ لا يأْذن البِلَى أن نَقولا

* * *

أخذ الموتُ من يدِ الحقِّ سَيفا خالِدىَّ الغِرارِ ، عَضْبًا ، صقيلا(٢)
من سيوف الجهادِ فُولاذُهُ الحـ ـقُّ ، فهل كان قَيْنُه جِبريلا ؟(٣)
لمسته يدُ السماء ، فكان الـ ـبَرْقَ والرعدَ خَفْقَةً وصَليلا
وإباءُ الرجالِ أمضَى مِن السيـ ـفِ على كفِّ فارسٍ مَسلولا
رُبَّ قلبٍ أصارَه الخُلْقُ ضِرْغا ماً ، وصدرٍ أصارَه الحقُّ غِيلا(٤)

١ــ الهديل : الحمام . وصوت الحمام ، والهديل ايضا : فرخ قالوا انه كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه ــ٢ــ العضب : السيف ، والغرار : حد السيف . وقوله : « خالدى » نسبة الى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول ــ٣ــ القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف ــ٤ــ الضرغام : من اسماء الاسد . والغيل : موضع الأسد .

قيلَ : حَلِّلْهُ . قُلْتُ : عِرقٌ من التِّـ ـبْرِ أَراحَ البيانَ والتَّحليلا
لم يَزِدْ فى الحديد والنارِ إلا لَمحةً حُرَّة ، وصبراً جميلا
لم يَخَفْ فى حياته شَبَحَ الفقـ ـرِ إذا طاف بالرجال مَهولا
جاعَ حِينًا ، فكان كاللَّيْثِ آبَى ما تُلاقيه يومَ جُوعٍ هَزيلا
تأكل الهِرَّةُ الصِّغارَ إذا جا عَتْ ، ولا تأكل اللَّباةُ الشُّبولا
قِيلَ : غالٍ فى الرأى . قُلتُ : هَبوهُ قد يكون الغُلُوُّ رأياً أصيلا
وقديماً بَنَى الغُلُوُّ نُفوساً وقديماً بَنَى الغلُوُّ عُقولا
وكم استنهضَ الشيوخَ ، وأذكى فى الشباب الطِّماحَ والتأميلا
ومِنَ الرأيِ ما يكونُ نِفاقاً أو يكونُ اتجاهُه التضليلا
ومن النقدِ والجِدالِ كلامٌ يُشبه البَغْىَ ، والخَنا ، والفُضولا
وأرى الصدقَ ديْدَناً لسَلِيلِ الـ ـرافعيِّينَ والعَفافَ سَبيلا
عاش لم يَغْتَبِ الرجالَ ، ولم يَجْـ ـعَلْ شئونَ النفوسِ قالاً وقِيلا
قد فقدنا به بقيَّةَ رَهْطٍ أيقظوا النيلَ وَادِياً ونَزيلا
حَرَّكوهُ ، وكان بالأمس كالكهـ ـفِ حُزوناً ، وكالرَّقِيم سُهولا(١)
يا أمينَ الحقوقِ ، أدَّيْتَ حتى لم تَخُنْ مصرَ فى الحقوق فَتيلا
ولوِ اسْطعْتَ زِدْتَ مصرَ من الحقِّ على نيلها المباركِ نيلا
لَسْتُ أنساكَ قابعًا بين دُرْجَيْـ ـكَ مُكِبًّا عليهما مَشغولا

١ــ الكهف : كالبيت المنقور فى الجبل . والرقيم : يقال هو الكتاب ، واذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم ، معناه انها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهيأة لان يخط فوقها حروف الحياة الاولى . ولو سئلَ احد الحكماء ما هى الحروف الاولى للحياة ؟ لاجاب على الفور : هى اليقظة . ولعمرى ان ربة الحكمة اذن هى التى الهمت امير الشعراء قوله فى البيت السابق : « ايقظوا النيل واديا ونزيلا » ففى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله الى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم .

قد تواريتَ فى الخُشوع ، فخالو كَ ضئيلاً ، وما خُلِقْتَ ضئيلا
سائل (الشعبَ) عنك ، و (العَلَمَ) الخفَّاقَ ، أو سائل اللواءَ الظليلا(١)
كم إمامٍ قربْتَ فى الصفِّ منه ومُغَنٍّ قَعَدْت منه رَسيلا ؟
تُنْشِدُ الناسَ فى القَضِيَّةِ لَحْنًا كالحوارىِّ رَتَّل الإنجيلا
ماضياً فى الجهاد لم تتأَخَّر تَزِنُ الصفَّ ، أو تُقيم الرَّعيلا(٢)
ما تبالى مَضَيْتَ وحْدَكَ تَحْمِى حَوْزَةَ الحق ، أم مضَيْتَ قَبيلا

* * *

إن يَفُتْ فيكَ مِنْبَرَ الأَمسِ شِعرى إن لى المنبرَ الذى لن يزولا
جلّ عن مُنْشِدٍ سِوَى الدهرِ يُلْقيـ ـهِ على الغابرين جِيلاً فجيلا

١ــ الشعب ، والعلم ، واللواء : اسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه ــ٢ــ الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد انه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف اذا مالت ، ويرد الطوائف اذا نفرت .

الشيخ سلامه حجازى(*)

ياثَرَى النيلِ، فى نَواحِيكَ طيرٌ كان دنيا ، وكان فرحةَ جِيلِ
لم يَزَلْ يَنْزلُ الخمائلَ حتى حلّ فى رَبْوَةٍ على سَلسبيل
أقعد الرَّوْضَ فى الحياة مَلِيًّا وأقامَ الرُّبَى بسِحْر الهَدِيل(١)
يا لِواءَ الغناءِ فى دَوْلةِ الفـ ـن ، إليكَ اتجهتُ بالإكليل
عبقريًّا كأنه زَنْبَقُ الخُلْـ ـدِ على فَرْعِهِ السَّرِىِّ الأَصيل(٢)
أَينَ مِنْ مَسْمَعِ الزمانِ أَغانـ ـىٌّ عليهنَّ رَوْعةُ التمثيل ؟
أَين صَوتٌ كأنه رَنّةُ البلبـ ـلِ فى الناعم الوَريفِ الظليل ؟
فيه من نَغْمةِ المزامِير مَعنًى وعليه قَداسةُ الترتيل
كلما رَنَّ فى المسارح «إن كنـ ـتُ» انثنَى بالهُتاف والتهليل(٣)
كعِتاب الحبيب فى أُذُنِ الصَّـ ـب ،وهَمْسِ النديمِ حولَ الشَّمول(٤)
كيف إخوانُنا هناك على الكَوْ ثَر بينَ الصَّبا وبينَ القبول؟(٥)

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازى أعلى قمم المجد فى فن الغناء والتمثيل فى عصره ؛ وقد رؤى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافا عمليا . فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه الى ضريح يتناسب وهذا التقدير . ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية ان يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، واقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وانشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

١ـ الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام ـ٢ـ السرى : الجدول ـ٣ـ ان كنت ، يشير الى ان الفقيد قد ذاعت من اغانيه قصيدة مطلعها :

ان كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم
فاننى فى هواكم صاحب الألم

٤ـ الشمول : الخمر ـ٥ـ الصبا : ريح مهبها من جهة المشرق وهى من ألطف الرياح .

كيف فى الخُلد ضَرْبُ أحمدَ بالعو دِ ، ونفخُ الأمين فى الأرغول؟(١)
فرَحٌ كُلُّهُ النعيمُ وعُرْسٌ كيف (عثمانُ) فيه كيف (الحَمُولِى)؟(٢)
فهنيئًا لكم ونعمةُ بالٍ إستَرحتم من ظِل كلِّ ثَقيل
إنما مَنزلٌ رُفاتُك فيه لَبقايا من كل فَنٍّ جميل
ذَبُلَتْ فى ثَراهُ رَيْحانةُ الف نِّ ، وجَفَّتْ رَيْحانةُ التمثيل

* * *

قام يَجْزِى (سلامةً) فى ثَراه وطنٌ بالجزاء غيرُ بَخيل
قد يُوفِى البِناءَ والغرْسَ أجرًا ويُكافِى على الصَّنيعِ الجليل
مُحسنٌ بالبنينَ فى حاضرِ العَيْ شِ ، وفى سالفِ الزمانِ الطويل
ويُعِدُّ الضَّريحَ من مَرْمَرِ الخُلـ ـدِ الكريمِ المهذَّبِ المصقول(٣)
يدفنُ الصالحين فى وَرَقِ المُصْـ ـحَفِ، أو فى صحائف الإنجيل

* * *

مصرُ فى غَيبةِ المُشايعِ ، والحا سدِ ، والحاقد اللَّئيمِ الذَّليل
قامت اليومَ حولَ ذِكراك تَجرِى وطنيًّا من الطِّراز القليل
من رجالٍ بَنَوْا لمصر حديثًا وأذاعوا مَحَاسِنًا للنيل
هم سُقاةُ القلوبِ بالوُدِّ والصَّفْـ ـوِ ، وهم تارةً سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فَتًى عبقرىٌّ ليس فى المجد بالدَّعِى الدخيل

---

١ ــ احمد : اسم احد المعاصرين ، اشتهر بضرب العود . وامين : معاصر آخر اشتهر بالارغول ــ٢ــ عثمان : هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى : هو عبده الحمولى ــ٣ــ الضريح : هو البناء الذى اتفقت لجنة احياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له .

أدهم باشا(*)

مُصابُ بَنِى الدنيا عظيمٌ (بأدهمٍ) وأعظمُ منه حَيْرَةُ الشعرِ فى فَمى
أأنطقُ والأنباءُ تترَى بطيِّبٍ وأسكُتُ والأنباءُ تَتْرَى بمؤلم ؟
أتَيْتُ بغالٍ فى الثَّنَاءِ مُنَضَّدٍ فمَنْ لى بِغالٍ فى الرِّثاءِ مُنظَّم ؟
عَسى الشعرُ أن يَجْزِى جَريئًا ،لفقدِه بَكىٰ التركُ واليونانُ بالدمع والدّم
وكم مِنْ شُجَاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ وكم مِنْ جَبانٍ فى اللِّداتِ مُذمَّم
وهل نافعٌ جَرْىُ القَوافى لغايةٍ وقد فَتَكَتْ دُهْمُ المنايا بأدهم ؟(١)
رمَتْ فأصابت خيرَ رامٍ بها العِدَى وما السَّهمُ إلا للقضاءِ المحتَّم
فتًى كان سيفَ الهندِ فى صورةِ امرىءٍ وكان فتى الفتيانِ فى مَسْكِ ضيْغَم(٢)
لَحاهُ على الإقدام حُسَّادُ مَجْدِهِ وما خُلِقَ الإقبالُ إلا لمُقْدِم
مُزعْزِعُ أجيالٍ ، وغاشِى مَعاقلٍ وقائدُ جَرّارٍ ، ومُزْجِى عَرَمْرَم(٣)
سلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه وفى ذِرْوَتَيْهِ مِنْ نُسورٍ وأعْظُم
لَيَالَىَ باتَ الدِّينُ فى غير قَبضةٍ وزُلْزِلَ فى إيمانه كلُّ مُسْلِم
وقال أُناسٌ : آخرُ العهدِ بالملا وهَمَّتْ ظنونٌ بالتُّراثِ المُقَسَّم(٤)
فأطْلَعَ للإسلام والمُلْكِ كوكبًا من النصر فى داجٍ من الشك مُظلِم
ورحنا نُباهى الشرق والغربَ عِزَّةً وكُنَّا حديثَ الشامتِ المترحِّم
مَفاخرُ للتاريخ تُحْصَى لأدهم ومَنْ يُقْرِضِ التاريخَ يَرْبَحْ ويَغْنَم

* * *

(*) ادهم باشا : هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية ـ١ـ دهم المنايا : اى سود المنايا ـ٢ـ المسك (بفتح الميم) : الجلد. والضيغم:الأسد ـ٣ـ العرموم:الجيش الكبير ـ٤ـ الملأ : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت.

ألا أيُّها الساعونَ ، هل لَبِسَ الصَّفا سَواداً ، وقد غَصَّ الوُرودُ بزَمْزَم؟
وهل أقبلَ الرُّكبانُ يَنْعَوْنَ (خالداً) إلى كلِّ رامٍ بالجِمارِ ومُحْرِم ؟
وهل مَسجدٌ تَتْلُونَ فيه رِثاءه ؟ فكم قد تَلَوْتُم مَدْحَهُ بالترنُّم !
وكان إذا خاضَ الأَسِنَّةَ والظُّبى تَنَحَّتْ إلى أن يَعْبُرَ الفارسُ الكَمِى
ومَنْ يُعْطَ فى هٰذى الدَّنِيَّةِ فُسْحَةً يُعَمَّرْ وإن لاقَى الحروبَ ويَسْلم
(علىٌّ) أبو الزَّهراءِ داهِيَةُ الوغَى دهاهُ ببابِ الدّارِ سيفُ ابن مُلْجَم
(فروق) ، اضْحكِى وابْكِى فَخاراً ولَوْعةً
وقُومِى إلى نعش الفقيدِ المعظَّم
كأُمِّ شَهيدٍ قد أتاها نَعِيُّهُ فخفَّتْ له بينَ البُكا والتبسُّم
وخُطِّى له بينَ السلاطينِ مَضجعاً وقبراً بجنبِ الفاتح المتقدِّم
بَخِلْتِ عليه فى الحياةِ بموكبٍ فتُوبى إليه فى الممات بأتم
ويا داءُ ، ما أنصَفْتَ إذ رُعْتَ صدرَهُ وقد كان فيه الملكُ إن رِيعَ يَحتمِى
ويأيها الماشونَ حولَ سَريرِه أحَطْتُم بتاريخٍ فَصيحِ التكلُّم
ويامصرُ ، مَنْ شَيَّعْتِ أعْلى هامةً وأثْبَتُ قلباً مِنْ رَواسِى المقطَّم
ويا قومُ ، هذا مَنْ يُقام لمثله مثالٌ لباغى قُدْوَةٍ مُتَعلِّم
ويابحرُ ، تدرى قدرَ مَنْ أنتَ حاملٌ؟ ويا أرضُ ، صونيه ، ويارَبِّى ، ارْحَمِ

عثمان باشا الغازى(*)

هالةٌ للهلالِ فيها اعتصامُ كيف حامَتْ حِيالَها الأَيّامُ؟
دخلتْها عليكَ (عثمانُ) فى السلـ ـم ، وقد كنتَ فى الوَغَى لا تُرام
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا صعُبَتْهُ لأَهلِها الأَحلام
فبرغم (المُشيرِ) أن يَتَوَلَّى والخطوبُ المُرَوِّعاتُ جِسام
ويدُ الملكِ تستجيرُ يَدَيْهِ والسرايا تدعوه ، والأَعلام
وبنوه يرجونه وهُمُ الجُنـ ـدُ ، وهم قادةُ الجنودِ العِظام
مثَّلَتْهم صِفاتُه للبرايا رُبَّ فردٍ سادت به أَقوام
بطلَ الشرقِ . قد بَكتْك المعالى ورثاك الوَلِىُّ والأَخصام
خَذَل الملكَ زندُه يوم أَوْدَيْـ ـتَ ، وأَهوَى من راحتَيْهِ الحُسام
ودَهَى الدينَ والخلافةَ أَمرٌ فادحٌ ، رائعٌ ، جليلٌ ، جُسام
علمُ العصر والممالكِ وَلَّى وقليلٌ أَمثالُه الأَعلام
سَلْ (بلفنا) : أَكنتَ تُدْرَكُ فيها ولَوَ أَنَّ المحاصِرِين الأَنام
خَيَّم الروسُ حولَ حِصْنِكَ ، لكن أَين مِنْ هامَةِ السِّماكِ الخِيام ؟
وأَحاطت بعزمك الجندُ ، لكن عزمُك الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام
كلما جَرَّدَ (المُحاصِرُ) سيفًا قطع السيفَ رأْيُكَ الصَّمصام
وإذا كانت العقولُ كِبارًا سَلِمت فى المَضايق الأَجسام
وعجيبٌ لا يأْخذُ السيفُ منكم ويَنال الطَّوَى ، ويُعْطَى الأُوَامُ
فخرجتم إلى العِدا لم تُبالوا ما لأُسْدٍ على سُغوب مُقام

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية .

تَخرقون الجيوشَ جيشًا فجيشًا ... مِثلَما يَخرقُ الخَوَاءُ الغَمام
والمنايا مُحيطةٌ ، وحصونُ الرُّ ... وسِ تَخْمِى الطريقَ والأَلغام
ولِنارِ العدوِّ فيكم قُعودٌ ... ولِسيفِ العدوِّ فيكم قِيام
جُرِحَ الليثُ يومُ ذاكَ ، فخان الـ ... ـجَشَ قلبٌ ، وزُلزِلَتْ أقدام
ما دفَعْتَ الحُسامَ عجزًا ، ولكن ... عَجَّزتَ ضَيْغَمَ الحروبِ الكِلام
فأعادوه خيرَ شىء أعادوا ... وكذا يَعرِفُ الكرامَ الكِرام
فتقلَّدتَه وكنتَ خليقًا ... سَلَبَتْنا كِلَيْكُما الأيام
ما لها عَوْدَةٌ ، ولا لك رَدٌّ ... نِمتَ عنها ، ومَنْ تَرَكْتَ نِيام
إنما الملكُ صارمٌ ويَراعٌ ... فإذا فارقاه ساد الطَّغام
ونظامُ الأُمورِ عقلٌ وعدلٌ ... فإذا وليًّا تَوَلَّى النظام
وعجيبٌ خُلِقْتَ للحرب لبْثًا ... وسجاياك كلُّهن سَلام
فهْىَ فى رأيكَ القويمِ حَلالٌ ... . وهْىَ فى قلبك الرحيمِ حَرام
لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بغيضٌ ... وحَنانٌ يُحبّه الأيتام
مُستبدٌّ على قوىٍّ ، حليمٌ ... عن ضعيفٍ . وهكذا الإسلام

بطرس باشا غالى (*)

قبرَ الوزيرِ ، تحيَّةً وسَلاما الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
ومحاسنُ الأخلاقِ فيك تغيَّبَتْ عاماً ، وسوف تغيّب الأعواما
قد كنت صَوْمَعَةً فصِرْت كنيسة فى ظلِّها صلَّى المُطيفُ وصاما
والقومُ حَوْلَكَ يا بن (غالى) خُشَّعٌ يقضونَ حقًّا واجبًا وذِماما
يَسعَوْنَ بالأبصار نحوَ سَرِيرِه كالأرض تَنْشُدُ فى السماءِ غَماما
يَبكون مَوْئِلَهم ، وكَهْفَ رَجَائِهم والأَرْيَحىَّ المُفْضِلَ المِقداما
مُتسابقين إلى ثَراك ، كأنّهم ناديكَ فى عزِّ الحياةِ زِحاما
وَدُّوا غَداةَ نُقِلْتَ بينَ عُيونِهم لو كان ذلك مَحشرا وقِياما
ماذا لقيتَ من الرّياساتِ العُلا وأخذتَ مِن نِعَمِ الحياةِ جِساما؟
اليوم يُغنِى عنك لَوْعَةُ بائسٍ وعَزاءُ أرمَلَةٍ ، وحُزنُ يَتامى
والرأىُ للتاريخ فيك ؛ فنِى غدٍ يَزِنُ الرجالَ ، ويَنْطِقُ الأحكاما
يَقضِى عليهم فى البَرِيَّةِ ، أو لهم ويُديمُ حَمدًا ، أو يُؤيِّدُ ذاما
أنت الحكيمُ ، فلا تَرُعْكَ منِيَّةٌ أعلِمْت حيًّا غيرَ رِفْدِكَ داما
إنَّ الذى خلقَ الحياةَ وضِدَّها جَعَلَ البقاءَ لِوَجْهِهِ إكراما
قد عِشْت تُحدِثُ للنصارَى أُلْفَةً وتُجِدُّ بين المسلمين وئاما
واليومَ فوقَ مَشيدِ قبرِك مَيتًا وَجَدَ المُوَفَّقُ للمقال مَقاما

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى ايام حكم الخديو عباس الثانى ، وقد اغتاله ابراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لاسباب سياسية .

الحقُّ أبلجُ كالصباح لِناظرٍ لو أنَّ قوماً حَكَّموا الأحلاما
أعَهِدْتَنا والقِبْطَ إلَّا أمَّةً للأرضِ واحدة تَروم مَراما ؟
نُعْلِي تعاليمَ المسيحِ لأجلهم ويُوَقِّرون لأجلنا الإسلاما
الدِّينُ للدَّيّانِ جلَّ جلالُه لو شاء ربُّكَ وَحَّدَ الأقواما
ياقومُ ، بانَ الرُّشدُ فاقْصُوا ما جرى وخُذوا الحقيقةَ ، وانبذوا الأوهاما
هٰذى رُبُوعُكُمُ ، وتلك رُبوعُنا مُتقابلين نعالج الأياما
هٰذى قُبورُكُمُ ، وتلك قُبورُنا مُتجاورينَ جَماجما وعِظاما
فبحُرمةِ المَوْتَى ،وواجبِ حقِّهم عِيشوا كما يَقضى الجوارُ كِراما

يبكى والدته (*)

إلى اللهِ أشكو مِن عَوادِى النَّوَى سهما ... أصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أَصْمَى(١)

من الهاتكات القلبَ أَوَّلَ وَهْلةٍ ... ومَا دَخَلَتْ لحمًا ، ولا لامستْ عظما

تَوَارَدَ والنَّاعِي ، فأَوْجَسْتُ رَنَّةً ... كلاماً على سمعى ، وفى كبدى كَلْما(٢)

فما هتَفاحتى نَزَا(٣) الجنبُ وانزوَى ... فياوَيْحَ جَنْبِى! كم يَسيلُ؟وكم يَدمَى؟

طَوَى الشرقَ نحوَالغربِ ، والماءللثَّرَى ... إلىَّ ، ولم يَركبْ بِساطاً ولا يَمَّا(٤)

أَبانَ ولم يَنْبِسْ ، وأَدّى ولم يَفُهْ ... وأَذْمَى وما داوَى ، وأَوْهَى وما رَمَّا

إذا طُوِيَتْ بالشُّهْبِ والدُّهْمِ شُقَّةٌ ... طَوَى الشُّهْبَ ،أوجاب الغُدافِيَّةَ الدُّهْما(٥)

ولم أَرَ كالأَحداثِ سهمًا إذا جرَتْ ... ولا كالليالى راميًا يُبعِدُ المَرْمَى

ولم أَرَ حُكمًا كالمقاديرِ نافذًا ... ولا كلقاءِ الموتِ مِنْ بَينها حَتْما

(*) نظم امير الشعراء هذه المرثية الرائعة ، على اثر اعلان الهدنة ، وهو فى منفاه فى الاندلس سنة ١٩١٨ ، اذ كان يعلل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث الى نفسه بهذا الامل المرموق ، حتى وافاه البرق بنعيها ، فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تأثيرا بالغا ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى ان ينظر اليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن اوراقه الخاصة ، حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله

١ــ عوادى النوى : عوائقه . وقوله : « اصاب سويداء الفؤاد وما أصمى » : اى اصاب صميم القلب ولم يقتل ــ٢ــ الكلم (بفتح الكاف) : الجرح ــ٣ــ نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر ، اذا هم بالطيران ــ٤ــ بساطا ولايما : اى لم يركب طيارة تسير فى الهواء ، كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، اى البحر ــ ٥ــ الشهب : البيض . والدهم : السود . وجاب : قطع . والغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء او النهار والليل ، كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله اليه .

إلى حيثُ آباءُ الفَتَى يَذهبُ الفتىٰ سَبيلٌ يَدينُ العالَمون بها قِدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظلِّ رُوحِهِ ولاالموتُ إلا الرُّوحُ فارقَتِ الجِسما
ولا خلْدَ حتى تملأَ الدهرَ حِكْمةً على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْما

* * *

زَجَرْتُ تَصاريفَ الزمانِ ،فما يَقَعْ لِيَ اليومَ منها كان بالأَمس لى وَهْما(١)
وقدَّرْتُ (للنعمانِ) يوماً وضِدَّهُ فما اغْتَرَّتِ البُوسَى ،ولاغَرَّتِ النُّعْمَى(٢)
شرِبتُ الأَسى مصروفةً لو تعرضتْ بأُنفاسِها بالفمِّ لم يستفِقْ غَمَّا
فأَتْرِعْ وناوِلْ يا زمانُ ؛ فإنما نديمُكَ (سُقْراطُ) الذى ابْتَدَعَ السَّمَّا(٣)
قَتلتُكَ ،حتى ما أُبالِى : أَدَرْتَ لى بكأْسِكَ نَجْمًا ، أَم أَدَرْتَ بها رَجْما؟!
لكِ اللهُ مِنْ مَطعونةٍ بقَنا النَّوىٰ شهيدةِ حربٍ لم تُقارِفْ لها إثما
مُدَلَّهةٍ أَزكَى مِنَ النارِ زَفْرَةً وأَنزَهِ مِنْ دَمْعِ الحَيا عَبْرَةً سَحْما(٤)
سقاها بَشيرِى وهْىَ تَبكِى صَبابةً فلم يَقْوَ مَغناها على صَوْبِهِ رَسْما(٥)
أَسَتْ جُرحَها الأَنباءُ غيرَ رَقيقةٍ وكمْ نازعٍ سهمًا فكان هو السَّهما!
تَغارُ على الحُمَّى الفضائلُ والعُلا لِما قبَّلَتْ منها ، وماضَمَّتِ الحُمَّى!
أَكانت تَمَنَّاها وتَهوَى لِقاءَها إذا هى سَمَّاها بذى الأَرض مَنْ سَمى؟

١ــ الزجر : العيافة والتكهن ، يقول : انه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له ــ٢ــ كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه احد الا قتله ، ويوم نعمى لا يسأل فيه الا أعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من اجلها أمثال كثيرة للعرب ، ويرجع فى هذا الى الكتب الادبيـــة المطولة من شاء ــ٣ــ سقراط : امام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالاعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض ان يفر مع اصحابه الذين عزموا عليه بالفرار

٤ ــ العبرة السحما : اى السوداء ، ولا يكون هذا الا من اثر الحزن العميق .

٥ ــ الرسم : هو هنا مصدر « رسم المطر الديار » اذا عفاها وابقى اثرها لاحقا بالارض .

أَلَمَّتْ عليها ، وانتَقتْ ثمراتِها فلما وُقُوا الأَسْواءَ لم ترَها ذمَّا
فياحسرتا أَلَّا . تراهم أَهِلَّةً إذا أَقْصَرَ البدرُ التامُ مَضوْا قُدْما !
رَياحينُ فى أنف الوَلِيِّ ، وما لها عدوٌّ تراهم فى مَعاطِسِهِ رَغْما
وأَلَّا يطوفوا خُشَّعًا حولَ نعشِها ولا يُشبِعوا الركنَ استلاماً ولا لَثْما

حَفَفْتُ بما أَسلَفْتِ فى المهد مِنْ يَدٍ وأَوْلَيْتِ جُثْمانى من المِنَّةِ العُظمى
وقبرٍ مَنُوطٍ بالجلال مُقَلَّدٍ تَلِيدَ الخلالِ الكُثْرَ ،والطارفَ الجَمّا(١)
وبالغادياتِ الساقياتِ نَزِيلَهُ من الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ،والآىِ ،والأُمّا
لَما كان لى فى الحربِ رأْىٌ ولاهوًى ولا رُمْتُ هذا الثكلَ للناس واليُتْما
ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرقّ لى رِضاً فكيف رضائى أن يَرَى البَشَرُ الظُّلما؟
ولم آلُ شُبّانَ البريّةِ رِقَّةً كأَن ثمارَ القلب مِنْ وَلَدِى ثَمّا
وكُنْتُ على نَهْجٍ من الرأْى واضحٍ أَرى الناس صِنفَيْنِ :الذئابَ أَو البَهْما(٢)
وما الحُكْمُ إلا أُولِى البأْسِ دولةً ولا العدلُ إلا حائطٌ يَعْصِمُ الحُكما

* * *

نزلْتُ رُبَى الدنيا ، وجَنّاتِ عَدْنِها فما وَجَدَتْ نفسى لأَنهارها طعما
أُرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ فى عَرَصاتِها وإن لم أُرِحْ (مَرْوانَ) فيها ولا (لَخْما)(٣)
إذَا ضَحِكتْ زهوًا إلىّ سماوها
بكيْتُ النَّدَى فى الأَرض ، والبأْسَ ، والحزما
أُطِيقُ برسمٍ ، أَو أُلِمُّ بدِمْنَةٍ أَخال القصور الزُّهْرَ والغُرَفَ الشُّما
فمابرحَتْ من خاطرى (مصرُ) ساعةً ولا أَنتِ فى ذى الدارِ زايَلْتِ لى هَمّا

---

١ ــ التليد : القديم . والطارف : الجديد ــ٢ــ البهم (بفتح الباء) : صغار الغنم ــ٣ــ مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الاندلس زمنا .

إذا جَنَّنِى الليلُ اَهْتزَزْتُ إليكما فجنحا إلى سُعْدَى ،وجُنحا إلى سَلْمى(١)
فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى وأبصرَ فيه ذو البصيرةِ والأَعمى
وقرَّتْ سيوفُ الهندِ ، وارتكزِ القَنا وأَقْلَعَتِ البَلْوَى ، وأَقْشَعَتِ الغُمَّى
وحَنَّتْ نواقيسٌ ، ورَنَّتْ مآذنٌ ورَفَّتْ وجوهُ الأَرضِ تَستقبلُ السلمى
أَتى الدهرُ مِنْ دونِ الهناءِ ، ولم يَزَلْ وَلوعاً ببُنْيَانِ الرجاءِ إذا تَمَّا !
إذا جال فى الأَعيادِ حَلَّ نظامَها أَو العُرسِ أَبْلَى فى معالمه هَدْما
لئن فاتَ ما أَمَّلْتِهِ من مواكبٍ فَدُونَكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضَّخما !
رثَيْتُ به ذاتَ التُّقَى ونظمتُه لعنصره الأَزكى وجوهرِهِ الأَسمى
نمتكِ مَناجيبُ العُلا ونمَيْتِها فلم تُلْحَقِى بنتًا ولم تُسْبَقِى أُمّا
وكنتِ إذا هذى السماءُ تخايلتْ تواضعْتِ ، لكنْ بعد مافُتِّها نَجما
أَتَيْتِ به لم ينظم الشِّعرَ مثلُه وجِئْتِ لأَخلاق الكرامِ به نَظما
ولو نهضَتْ عنه السماءُ ، ومَخَّضَتْ به الأَرضُ كان المُزنَ والتبرَ والكَرْما !(٢)

١ـ الجنح (بضم الجيم وكسرها) : طائفة من الليل ـ٢ـ يريد انه يشبه المزن فى الكرم ، والتبر فى العرق والنفاسة ، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره .

الملك حسين(*)

لك فى الأرض والسماء مآتمْ قام فيها أبو الملائِكِ هاشمْ(١)
قعد الآلُ للعَزاء ، وقامتْ باكياتٍ على الحُسين الفَواطم(٢)

* * *

يا أبا العِلْيَةِ البَهالِيلِ ، سَلْ آ باءَكَ الزُّهْرَ : هل من الموتِ عاصم؟(٣)
المنايا نَوازلُ الشَّعَرِ الأَبـ ـيضِ ، جاراتُ كلِّ أسودَ فاحم(٤)
ما الليالى إلا قِصارٌ ، ولا الدُّنـ ـيا سِوَى ما رأَيتَ أحلام نائم
انْحِسارُ الشِّفاهِ عن سنٍّ جَذلا نَ وراءَ الكرى إلى سنٍّ نادِم
سنةٌ أفرحَتْ ، وأُخرى أساءتْ لم يَدُم فى النعيم والكربِ حالم

* * *

المَناحاتُ فى ممَالِكِ أَبنا ئِكَ بَدْرِيَّةُ العزاء قوائم(٥)
تلك (بغدادُ) فى الدموعِ ، وعمّا نُ وراءَ السَّوادِ ، والشامُ واجم(٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على ؛ زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الاتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

١ــ ابو الملائك : اى ابو الملوك . وهاشم هو أحد جدود النبى صلوات الله عليه ــ٢ــ الآل : آل البيت النبوى الشريف ، والمقصود هنا رجاله . والفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج الامام على كرم الله وجهه ــ٣ــ علية (بكسر العين) : جمع على ؛ وهو الشريف العالى القدر من الناس . والبهاليل: جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . والآباء الزهر : هم المشرقو الوجوه ، المشابهون للنجوم الزهر فى صفاء اللون والتلألؤ والظهور . ٤ــ يقول : ان المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن ــ٥ــ يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر ، اولى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ــ٦ــ بغداد : عاصمة العراق ، والمراد بها القطر كله . وعمان : عاصمة الاردن ، كنى بها عن الاقليم جميعه . والشام : يقصد بها سوريا وما اليها من الاقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط .

والحِجَازُ النبيلُ رَبْعٌ مُصَلٌّ من رُبوعِ الهُدى، وآخرُ صائم(١)
واشتركنا، فمِصرُ عَبْرَى، ولبنا نُ سَكُوبُ العيونِ باكى الحمائم

* * *

قُمْ تأمَّلْ بَنيك فى الشَّرق زَيْنُ التَّـــــاجِ، مِلْءُ السَّرِيرِ، نورُ العواصم(٢)
الزكيّون عُنْصُرًا مثل إبرا هيمَ، والطيِّبون مثل القاسم(٣)
وعليهم إذا العيونُ رَمَتْهم عُوَذٌ من محمدٍ وتَمائم(٤)
قد بنَى اللهُ بيتَهم فهْوَ باقٍ ما بنى اللهُ ما له من هادِم
دبَّروا الملكَ فى العراقِ وفى الشا مِ، فسَنّوا الهدى، ورَدّوا المظالم
أَمِنَ الناسُ فى ذَراهم، وطابت عربُ الأَرضِ تحتَهم والأَعاجم
وبَنَوْا دولةً وراء فِلَسْطِـ ـينَ، كعابَ الهدى، فتاةَ العزائم
سَاسَها بالأَناةِ أَرْوَعُ (كالدا خل)، ماضى الجنانِ يقظانُ، حازم(٥)
قُبْرُصٌ كانت الحديدَ، وقد تَنـ ـزِل قُضبانَهُ اللُّيوثُ الضَّراغم(٦)
كَرِهَ الدَّهرُ أن يقومَ لِواءٌ تُحْشَر البِيدُ تحتَه والعماعِم(٧).

* * *

---

١ ــ الحجاز النبيل : يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد والربع : الدار ــ٢ــ العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات ــ٣ــ ابراهيم والقاسم : هما من اولاد النبى صلوات الله عليه ــ٤ــ عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التميمة : تمائم ــ٥ــ الأناة : الرفق . ويريد « بالأروع » : الملك فيصل ، يشبهه بالداخل ، وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى امية فى الاندلس ــ٦ــ قبرص : جزيرة فى البحر الابيض المتوسط ، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك، يشبهها امير الشعراء فى حالة اقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الاسد ، وصنع الاقفاص الحديدية لحبس الاسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا .
٧ــ العماعم : الجماعات المتفرقون .

قم تحدّثْ (أبا علىٍّ) إلينا كيف غامرْتَ فى جِوار الأَراقمُ ؟(١)
لم تُبال النُّيوبَ فى الهامِ خُشْنًا وتعلَّقْتَ بالحواشى النَّواعِم
هاتِ حَدِّثْ عن العَوانِ وصِفْها لا تُرَعْ فى التراب ، ما أنا لائم !(٢)
كلُّنا واردُ السَّرابِ ، وكلٌّ حمَلٌ فى وَلِيمَةِ الذئبِ طاعم(٣)
قد رجعْنا من المغانم حَظًّا ووَرَدْنا الوَغَى ، فكُنَّا الغنائم

* * *

قد بَعثْتَ القضيّةَ اليومَ مَيْتًا رُبَّ عظمٍ أتى الأُمورَ العظائم
أنتَ كالحقِّ أَلَّف النائمَ يَقْظا نَ ، وزادَ ائتلافَهم وهْوَ نائم
إنما الهِمَّةُ البعيدةُ غَرْسٌ مُتَأَنِّى الجَنَى ، بَطِيءُ الكمائم(٤)
ربّما غابَ عن يدٍ غَرَسَتْهُ وحَوَتْه على المدى يدُ قَادم
حبَّذا موْقِفٌ غُلِبْتَ عليه لم يَقِفْهُ للعُربِ قبلك خادم
ذائداً عن ممالكٍ وشعوبٍ نُقِلتْ فى الأَكفِّ نقلَ الدراهم
كلُّ ماءٍ لهم ، وكلُّ سماءٍ مَوْطِئُ الخيلِ ، أو مَطارُ القَشاعم(٥)
لِمَ لَمْ تَدْعُهم إلى الهمّةِ الشَّـــــماء والعلمِ والطِّماحِ المُزاحم؟
وركوبِ اللُّجاجِ وهْىَ طَواغٍ والسمٰواتِ وهْىَ هُوجُ الشكائم؟(٦)

١ــ يشير الى انضمام الفقيد فى صف الحلفاء ضد تركيا فى أثنـــاء الحرب الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام أثره فى نهـــاية تلك الحـــرب .
٢ــ العوان : الحرب ــ٣ــ كلنا فى وليمة الذئب طعم : يريد كلنـــا مطعوم مأكول لهذا الذئب ــ٤ــ الجنى : الثمار . والكمـــائم : محـــل ما تنبت تلك الثمار ــ٥ــ القشاعم : النســور ، جمع قشعم . ويريد « بالنسور » الطيارين الذين يشبهون النسور ــ٦ــ يريد « بركوب السموات » : ركوب الطيارات ويريد بهوج الشكائم : اللجم ، أى اللجم الصعبة القياد .

وإلَى القُطْب والجَلِيدُ عليه والصّحارى وما بها من سَمائم؟(١)
اغسلوه بطيِّبٍ من وَضوء الرُّســـــلِ ، كالوَرْدِ فى رُباه البواسم(٢)
وخذوا من وِسادِهم فى المُصَلَّى رُقْعةً كَفِّنوا بها فرعَ هاشم
واستعيروا لِنعشِه من ذَرى المنـــــبرِ عودًا ، ومن شريفِ القوائم
واحملوه على البُراق إن اسْطَعْـــــتم ؛ فقد جَلّ عن ظهور الرواسم(٣)
وأديروا إلى العتيق (حُسينًا) يَبْتَهِلْ رُكنُه ، وتدعو الدعائم(٤)
واذكروا للأَمير مكَّةَ ، والقصـــــرَ ، وعهدَ الصفا ، وطِيبَ المواسم
ظَمِئْ الحُرُّ للدّيار ، وإن كا ن على مَنهلٍ من الخلد دائم

* * *

نَقِّلوا النعشَ ساعةً فى رُبا الفتـــــح ، وطوفوا برَبِّهِ فى المعالم
وقِفوا ساعةً به فى ثَرى الأَقـــــمار من قومِه وتُرْب الغمائم
وادفِنوه فى القُدس بين سُليما ن وداودَ والملوكِ الأَكارم
إنما القدسُ منزلُ الوَحْى ، مَغْنَى كلِّ حَبْرٍ من الأَوائل عالم
كُنِّفَتْ بالغيوب ، فالأَرضُ أَسْرا رٌ مَدَى الدَّهرِ ، والسماءُ طَلاسم
وتَحلَّتْ من البُراقِ بطُغرا ءَ ، ومِن حافر البُراقِ بخاتم(٥)

١ــ السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة المحرقة ــ٢ــ الوضوء (بفتح الواو) : ما يتوضأ به ــ٣ــ الرواسم : الابل ، او الخيل ، او الركائب عامة ــ٤ــ العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد ــ٥ــ الطغراء : ما يكتب فى اول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبى صلوات الله عليه ليلة اسرى به .

يرثى أباه(*)

سألونى : لِمَ لَمْ أرْثِ أبى ؟ ورِثاءُ الأَبِ دَيْنٌ أىُّ دَيْنْ
أيُّها اللُّوّامُ ، ما أظلمَكم ! أينَ لى العقلُ الذى يُسعِد أيْنْ؟(١)
يا أبى ، ما أنتَ فى ذا أوّلٌ كلُّ نفس للمنايا فرضُ عَيْن
هلكَتْ قبلك ناسٌ وقرَى ونَعى الناعون خيرَ الثقلين(٢)
غايةُ المرءِ وإن طالَ المدَى آخذٌ يأخذه بالأَصغريْنَ(٣)
وطبيبٌ يَتولَّى عاجزًا نافضاً من طِبِّه خُفَّىْ حُنَين(٤)
إنّ للموتِ يدًا إن ضَرَيَتْ أوشكَتْ تصْدُع شملَ الفَرْقَدَيْن
تَنفُذ الجوَّ على عِقبانه وتلاقى الليثَ بين الجبلين
وتحطُّ الفرخَ من أيْكَته وتنال البيْغا فى المثتين
أنا مَنْ مات ، ومَنْ مات أنا لقى الموتَ كِلانا مَرْتين
نحن كنا مهجةً فى بدنٍ ثم صِرْنا مُهجةً فى بَدَنَيْن(٥)
ثم عُدنا مهجة فى بدنٍ ثم نُلقى جُثَّةً فى كَفَنَيْن

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

١ــ يسعد : يعين ــ٢ــ الثقلان : الانس والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه ــ٣ــ الاصغران : القلب واللسان ــ٤ــ خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة ــ٥ــ المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، اى روحه .

ثم نَحيا فى (علىٍّ) بعدَنا وبه نُبْعَثُ أولَى البَعْثتين(١)
انظر الكونَ وقُلْ فى وصفِه كلُّ هذا أصلُه من أبوين
فإذا ما قيل : ما أصلُهما ؟ قل : هما الرحمةُ فى مَرْحَمتين
فقدَا الجنةَ فى إيجادِنا ونَعِمْنا منهما فى جَنّتين
وهما العذرُ إذا ما أُغضِبَا وهما الصّفحُ لنا مُسْتَرْضَيَيْن
ليتَ شِعرى أىُّ حىٍّ لم يَدِن بالذى دَانا به مُبتدِئَيْن ؟
وقفَ اللهُ بنا حيثُ هُما وأماتَ الرُّسْلَ إلّا الوالدين(٢)
ما أَبِى إلّا أَخٌ فارَقْتُه وُدُّه الصِّدقُ ، وودُّ الناسِ مَيْن(٣)
طالما قُمنا إلى مائدةٍ كانت الكِسْرةُ فيها كِسْرتَيْن
وشَربنا من إناءٍ واحدٍ وغَسلنا بعدَ ذا فيه اليديْن
وتمشَّيْنا يَدى فى يدِه مَن رآنا قال عنا : أخوَيْن
نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً سَوَّت الشرَّ فكانت نظرتين
يا أَبى والموتُ كأسٌ مُرَّةٌ لا تذوقُ النفسُ منها مَرَّتَين
كيف كانت ساعةً قضَّيْتها كلُّ شىءٍ قبلَها أو بعدُ هَيْن ؟
أشرِبْتَ الموت فيها جُرعةً أم شرِبْتَ الموتَ فيها جُرعتين ؟

١ــ على : هو احد نجلى امير الشعراء ــ٢ــ يريد فى هذا البيت ان يقرر ان الابوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الانبياء ، وانما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الابناء على غرار الآباء ، مصداقا للاثر القائل : ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ــ٣ــ المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة ادائه اعظم الوان المدائح لوالده ، فان الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الاب ، هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الاخلاق ، البالغ اعلى درجات الحكمة .

لا تَخَفْ بعدَكَ حُزناً أو بُكًا جَمدَتْ مِنِّى ومنكَ اليومَ عَيْن
أنتَ قد علمتنى تَرْكَ الأسىٰ كلُّ زَيْنٍ مُنتهاه الموتُ شَيْن
ليت شعرى : هل لنا أن نلتقِى مَرَّةً ، أم ذا افتراقُ المَلَوَين؟(١)
وإذا متُّ وأُودِعْتُ الثرى أنلقَى حُفرةً أم حُفْرتين ؟

١ــ الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

مصطفى كامل باشا(*)

لمَشرِقانِ عليكَ يَنتحِبان قاصيهُما فى مأْتَمٍ والدانى
ياخادِمَ الإسلامِ ، أَجرُ مُجاهدٍ فى اللهِ من خُلْدٍ ومِنْ رِضْوان
لما نُعيتَ إلى الحجازِ مشَى الأَسىٰ فى الزائرينَ ورُوِّعَ الحَرَمان(١)
السّكةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُما مَنكوسةُ الأَعلامِ والقُضْبان(٢)
لم تَأْلُها عندَ الشدائدِ خِدمةً فى اللهِ والمختار والسلطان
يا ليتَ مكةَ والمدينةَ فازتا فى المحفِلَيْن بصوتِكَ الرَّنَّان
ليرى الأَواخرُ يومَ ذاكَ ويسمعوا ما غابَ من قُسٍّ ومِن سَحْبان(٣)
جارَ التُّراب وأَنتَ أَكرمُ راحل ماذا لَقِيتَ من الوجود الفانى؟
أَبكِى صِباكَ ، ولا أُعاتبُ مَنْ جَنَىٰ هذا عليه كرامةٌ للجانى
يتساءلون :أَبِ (السُّلالِ)قضيْت ، أَم بالقلبِ ، أَم هل مُتَّ بالسَّرَطان؟
الله يَشهد أَنَّ موتَك بالحِجا والجدِّ والإقدامِ والعِرفان
إن كان للأَخلاقِ ركنٌ قائمٌ فى هذه الدنيا ؛ فأَنت الباقى
بالله فَتِّشْ عن فؤادِك فى الثّرى هل فيه آمالٌ وفيه أَمانى ؟
وِجْدانُك الحىُّ المُقيمُ على المَدى ولرُبَّ حَىٍّ مَيتِ الوجْدان
الناسُ جارٍ فى الحياةِ لغايةٍ ومُضلَّلٌ يَجرى بغير عِنان

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى ، وقد توفى سنة ١٩٠٨ .
١ ــ الحرمان : حرما مكة والمدينة ــ٢ــ السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين فى سبيل انشائها .
٣ــ قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل فى الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخُلْدُ فى الدنيا - وليس بهيِّنٍ - عُليا المرَاتبِ لم تُتَحْ لجبان
فلو آن رُسْلَ اللهِ قد جَبَنُوا لمَا ماتوا على دينٍ من الأَديان
المجدُ والشَّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ جُعِلتْ لها الأَخلاقُ كالعنوان
وأَحَبُّ مِن طولِ الحياةِ بذِلَّةٍ قِصَرٌ يُرِيلكَ تقاصُرَ الأَقران
دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له : إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانى
فارفعْ لنفسِك بعدَ موتِكَ ذِكرَها فالذكرُ للإنسان عُمرٌ ثانى
للمرءِ فى الدنيا وجَمٍّ شئونِها ما شاءَ مِنْ رِبحٍ ومِنْ خُسران
فَهى الفضاءُ لراغبٍ مُتطلِّعٍ وهى المَضِيقُ لِمُؤثِرِ السُّلْوان
الناسُ غادٍ فى الشَقاءِ ورائحٌ يَشْقى له الرُّحَماءُ وهْوَ الهانى
ومُنعَّمٌ لم يلقَ إلاَّ لذَّةً فى طيِّها شجَنٌ من الأَشجان
فاصبر على نُعْمَى الحياةِ وبُؤْسِها نُعْمَى الحياةِ وبُؤْسُها سِيَّان(١)
ياطاهرَ الغدَواتِ ، والرَّوحاتِ ، والـ خطراتِ ، والإسْرارِ ، والإعْلان
هل قامَ قبلكَ فى المدائن فاتحٌ غازٍ بغيرِ مُهنَّدٍ وسِنان ؟
يدعو إلى العِلْمِ الشريفِ ، وعندَه أن العلومَ دعائمُ العُمران ؟
لفُّوك فى عَلَم البلادِ مُنكَّسًا جَزَع الهلال على فتى الفتيان
ما احْمَرَّ مِنْ خجَلٍ ، ولا مِن ريبةٍ لكنَّما يَبكى بدمع قانى(٢)
يُزْجُون نعشَك فى السَّناء وفى السَّنا فكأَنما فى نعشِكَ القمران
وكأَنه نعشُ الحُسينِ «بكربَلا» يختالُ بين بُكاً ، وبينَ حَنان
فى ذِمَّةِ اللهِ الكريمِ وبِرِّهِ ما ضمَّ مِن عُرْفٍ ومِن إحسان

١ــ سيان : مثلان ، الواحد سى ٢ــ قانى : احمر .

ومَشَى جلالُ الموتِ وهْوَ حقيقةٌ وجلالُك المصدوقُ يلتقيان
شَقَّتْ لِمَنظرِك الجيوبَ عقائلٌ وبَكتْكَ بالدّمعِ الهَتُونِ غوانى(١)
والخلقُ حولَك خاشعون كعهدِهم إذ يُنصِتُون لخطبةٍ وبَيان
يتساءلون : بأىِّ قلبٍ تُرْتَقَى بعدُ المنابرُ ، أم بأىِّ لسان ؟
لو أنّ أوطاناً تُصوِّرُ هَيْكَلا دفنوكَ بينَ جوانحِ الأوطان
أو كان يُحمَل فى الجوارح ميِّتٌ حملوك فى الأسماع والأجفان
أو صِيعَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا كفنٌ لَبِستَ أحاسنَ الأكفان
أو كان للذكر الحكيم بقيةٌ لم تَأْتِ بعدُ ؛ رُثِيتَ فى القرآن
ولقد نظرتُك والرَّدَى بك مُحْدِقٌ والداءُ مِلْءُ معالمِ الجُثْمان
يَبْغِى ويطْغَى ، والطبيب مُضلَّلٌ قَنِطٌ ، وساعاتُ الرَّحيل دَوانى
ونواظرُ العُوّادِ عنكَ أمالَها دمعٌ تُعالِج كتْمَهُ وتُعانى
تُمْلِى وتَكتُبُ والمشاغِل جَمَّةٌ ويَداك فى القِرطاسِ ترتجفان
فهَشَشْتَ لِى ، حتى كأنك عائدى وأنا الذى هَدَّ السَّقامُ كِيانى
ورأيتُ كيف تموتُ آسادُ الشَّرَى وعرفتُ كيف مصارعُ الشُّجعان(٢)
ووَجَدْتُ فى ذاكَ الخيالِ عزائماً ما للمَنونِ بدَكِّهِنَّ يَدان
وجَعلْتَ تسألُنى الرِّثاءَ ، فهاكه من أدمُعى وسرائرى وجَنانى
لولا مُغالبةُ الشُّجونِ لخاطرى لنظمتُ فيكَ يَتيمةَ الأزمان
وأنا الذى أرثِى الشموسَ إذا هَوَتْ فتعودُ سِيرتها إلى الدَّوَران
قد كنتَ تهتفُ فى الورى بقصائدى وتُجِلُّ فوق النيِّراتِ مكانى

١ــ العقائل : جمع عقيلة وهى من كل شىء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، اذا قطر والغوانى جمع غانية ، وهى الفتاة تغنى بجمالها عن الحلى ــ٢ــ آساد : جمع أسد . والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الاسد .

مَاذَا دَهانِى يومَ بِنْتَ فعَقَّنى ... فيكَ القريضُ ، وخاننى إمكانِي؟
هوِّنْ عليكَ ؛ فلا شماتَ بميِّتٍ ... إنّ المنيَّة غايةُ الإنسان
مَنْ للحسودِ بميْتةٍ بُلِّغْتَها ... عَزَّتْ على (كِسْرَى) أنوشِيرْوان؟
عُوفِيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحَرْبِها ... فهل استرحْت أم استراح الشانى؟(١)
ياصَبَّ مِصْرَ ، وياشهيدَ غرامِها ... هذا ثرَى مِصْرٍ ؛ فنَمْ بأمان
اِخلَعْ على مصرٍ شبابَك عالياً ... وألبِسْ شَبابَ الحُورِ والوِلْدان
فلعلَّ مصرًا من شبابِكَ تَرتدِى ... مجدًا تَتيهُ به على البُلدان
فَلَوَ آنّ بالهَرَمَيْنِ من عَزماتِه ... بعضَ المَضَاء تحرّك الهَرمان
علّمْتَ شُبانَ المدائنِ والقُرى ... كيف الحياةُ تكونُ فى الشبان
مصرُ الأَسيفةُ ريفُها وصعيدُها ... قبرٌ أبرُّ على عظامِك حانى
أقسمْتُ أنك فى الترابِ طهارةٌ ... مَلكٌ يَهابُ سؤالَه الملَكان

---

١ ــ حربه (كطلبه) : سلبه ماله ، والشانى : المبغض .

حسن بك أنور(*)

تُسائِلنى (كرْمَتِى) بالنهار ... وبالليل : أين سَمِيرِى (حَسَنْ) ؟(١)
وأين النديمُ الشهِىُّ الحديثِ ؟ ... وأين الطَّروبُ اللطيفُ الأُذن ؟
نَجِىُّ البلابِل فى عُشِّها ... ومُلْهِمُها صِبْيَةً فى الفَنَن ؟
فقلتُ لها : ماتَ ، واستشعَرت ... ليالِى السرورِ عليه الحَزَن
لَئِنْ ناءَ من سِمَنٍ جسمُه ... فما عَرفت رُوحُه ما السِّمَن
وما هو مَيْتٌ ، ولكنه ... بشاشةُ دهرٍ محاها الزمن
ومَعْنًى خلا القولُ من لفظِه ... وحُلْمٌ تَطَايَرَ عنه الوَسَن(٢)

* * *

ولا يَذكرُ المعهدُ الشرقىُّ ... (لأنورَ) إلا جليلَ المِنَن
وما كان من صَبره فى الصِّعابِ ... وما كان من عَوْنِه فى المِحَن
وخِدمة فنٍّ يُداوِى القلوبَ ... ويَشفِى النفوسَ ، ويُذْكِى الفِطَن
وما كان فيه الدَّعِىُّ الدخيلَ ... ولكنْ مِن الفنِّ كان الرُّكُن(٣)

* * *

ولو أنصف الصحبُ يومَ الوَداعِ ... دُفِنْتَ (كإسحاقَ) لمّا دُفِن
فغُيِّبْتَ فى المِسْكِ ، لا فى التراب ... وأُدرِجْتَ فى الوَرْدِ ، لا فى الكَفَن
وخُطَّ لك القبرُ فى رَوْضَةٍ ... يَميلُ على الغُصْنِ فيها الغُصُن

(*) المرحوم حسن بك انور : احد الاعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقى ، وكان من الاصدقاء المقربين لامير الشعراء ، وقد توفى سنة ١٩٣٠

١ــ كان يطلق على دار امير الشعراء كرمة ابن هانىء ــ٢ــ الوسن : النعاس ــ٣ــ الركن : الركن ، وقد حركت الكاف من أجل الشعر . والركن من كل شىء : جانبه الاشد والاقوى .

وَيَنتحِبُ الطيرُ فى ظلِّها ويَخلَعُ فيها النسيمُ الرَّسَن(١)
وقامت على العود أوتارُه تُعيد الحنينَ ، وتُبدى الشَّجَن
وطارحَكَ (الناىُ) شَجْوَ النُّوَاحِ وكنتَ تَئِنُّ إذا الناىُ أنَّ
ومال فناحَ عليكَ (الكَمانُ) وأظهر من بَثِّه ما كَمَن

* * *

سلامٌ عليكَ سلامُ الرُّبا إذا نَفَحَتْ ، والغوادى الهُتُن
سلامٌ على جِيرةٍ بالإمام ورَهْطٍ بصحرائه مُرْتَهَن
سلامٌ على حُفَرٍ كالقباب وأُخرى ، كُمندرِساتِ الدِّمَن(٢)
وجَمْعٍ تَآلفَ بعدَ الخلافِ وصافَى وصُوفِىَ بعد الضَّغَن
سلامٌ على كلِّ طَوْدٍ هُناك له حَجَرٌ فى بناء الوطن

١ــ الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
٢ــ الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الديار .

أم المحسنين(*)

أَخَذَتْ نعشَكِ مصرٌ باليمينْ وحَوَتْه مِن يد الرُّوحِ الأَمينْ(١)
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقاياكِ كما لَقِيَتْ (يَثْرِبُ) أُمَّ المؤمنين
فى سَوادَيْهَا ، وفى أحشائها ووراء النَّحْر مِن حَبلِ الوَتِين(٢)

* * *

خرَجَتْ من قصرِكِ الباكى ، إلى رَمْلَةِ الثَّغْر ، إلى القصرِ الحزين
أخذَتْ بينَ اليتامىٰ مَذهبًا ومَشتْ فى عَبَراتِ البائسين
ورَمتْ طَرْفاً إلى البحرِ ترى مِن وراء الدَّمعِ أسرابَ السفين
فبَدَتْ جاريةٌ فى حِضْنِها فَنَنُ الوَرْدِ وفرعُ الياسَمين(٣)
وعلى جُؤْجُئِهَا نورُ الهدى وعلى سُكَّانها نورُ اليقين(٤)
حَملَتْ من شاطِئْ (مَرْمَرَةٍ) جوهرَ السُّؤددِ والكنزَ الثمين(٥)
وطَوَتْ بحرًا ببحرٍ ، وجَرَت فى الأُجاجِ المِلْحِ بالعَذْب المَعين
واستقلَّتْ دُرَّةً كانت سَنَى وسناءً فى جِباه المالكين(٦)

(*) أم المحسنين : هى والدة سمو الخديو عباس باشا الثانى ، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

١ــ أخذت نعشك مصر باليمين : تعبير مقصود به القول أن مصر كلها اظهرت اهتماما وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة . اما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد ــ٢ــ النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ــ٣ــ جارية : سفينة ، وفى القرآن الكريم : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام » ــ٤ــ جؤجؤ السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها ــ٥ــ مرمرة : بحر فى بلاد الترك . يقول : ان هذه السفينة لم تحمل من شاطىء تلك البلاد نعش ميتة ، وانما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين ــ٦ــ السنى ، بالقصر : الضوء ، وبالمد : الرفعة .

ذهَبَتْ عن عِلْيَةٍ صِيدٍ ، وعن خُرَّدٍ من خَفِرات البيتِ عِين
والتَّقِيّاتُ بناتُ المُتَّقِى والآمِيناتُ بُنَيَّاتُ الأَمين
لَبِسَتْ فى مَطْلَعِ العِزِّ الضُّحى ونَضَتْهُ كالشموس الآفلين(١)
يَدُها بانيةٌ غارِسةٌ كيَدِ الشمسِ وإن غاب الجبين

* * *

رَبَّة العَرشَيْنِ فى دولتها قدرَكِبْتِ اليومَ عرشَ العالَمين
أُضْجِعَتْ قبلَكِ فيه (مزيمٌ) وتَوارَى بنِساءِ المُرسَلين
إنه رَحْلُ الأَوَالِى شَدَّهُ لهمُ آدَمُ رُسْلِ الآخِرين

* * *

اِخْلَعِى الألقابَ إلا لقباً عَبقريًّا ، هو (أُمُّ المحسنين)
ودَعِى المالَ يَسِرْ سُنَّتَه يَمْضِ عن قومٍ لأَيدى آخرين
واقْذِفِى بالهمِّ فى وَجه الثَّرى واطرحى منْ حالِقٍ عِبْءَ السنين(٢)
واسخرى من شانِئٍ أو شامتٍ ليس بالمخطِىءِ يومُ الشامِتين
وتعزّى عن عوادى دولةٍ لم تَدُمْ فى وَلَدٍ أو فى قَرين
وازهدِى فى موكبٍ لو شِئتِه لتغطّى وجهُها بالدارعين(٣)
ما الذى رَدَّ على أصحابه ؟ ليس يُحيِى مَوكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبَّ محمولٍ على المِدفع ما مَنَعَ الحَوْضَ ، ولا حاط العَرين(٤)
باطلٌ من أُممٍ مَخدوعةٍ يَتحلَّوْنَ به الحقَّ المبين

* * *

---

١ ــ نضته : خلعته . والآفلين : جمع آفل . والافول للشموس : المغيب .
٢ــ حالق الجبل : اعلاه ، كأنه يقول : أن الموت ارتفاع عظيم ــ٣ــ الدارعين : جمع دارع ، أى لابس الدرع ــ٤ــ العرين : ماوى الاسد . يقول : كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ، ولم يمنعوا العدوان عن الحمى ، فمادام هذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقه ، فهو اذن ليس بذى خطر ؛ وليس بالذى يعتز به حقيقة .

فى (فَروقٍ) ورُباها مأْتمٌ ذرَفَتْ آماقَها فيه العيون
قام فيها ، من عَقِيلات الحِمى مَلأٌ بُدِّلْنَ مِنْ عِزٍّ بهُون
أُسَرٌ مالت بها الدنيا ، فلم تَلْقَ إلا عندكِ الركنَ الركين
قد خلا (بيبكُ) من حاتمه ومن الكاسِين فيه الطاعمين(١)
طارت النعمةُ عن أيْكَتِه وانقضى ما كان من خَفضٍ ولِين
اليتامى نُوَّحٌ ناحيةً والمساكينُ يَمُدُّون الرَّنين
دولةٌ مالت ، وسُلطانٌ خلا دُوولَتْ نُعماهُ بينَ الأقربين
مُنهضُ الشرقِ (عَلِيٌّ) لم يزل من بنيه سيِّدٌ فى (عابِدين)
يُصلِحُ اللهُ به ما أفسدَتْ فَتَرَاتُ الدهر من دُنيا ودين
أمَّ عبَّاسٍ ، ومالِي لم أقُلْ : أمَّ مصرٍ من بناتٍ وبنين ؟
كنتِ كالورد لهم ، واستقبلوا دولةَ الرَّيْحانِ حيناً بعدَ حِين
فيقال : الأُمُّ فى موكبها ويُقالُ : الحرَمُ العالى المصون(٢)

* * *

(العفيفىُّ) عفافٌ وهُدًى (كالبَقِيعِ) الطُّهْرِ ضَمّ الطاهرين(٣)
ادخلى الجنَّةَ من رَوْضَتِه إنّ فيها غرفةً للصابرين

---

١ ــ بيبك : قصر الفقيدة فى الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل يضرب به المثل فى الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمى . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن اجل ذلك قيل لها أم المحسنين ــ٢ــ يشير هذا البيت الى ان الفقيدة العظيمة كانت ام خديو وزوجة خديو .
٣ــ العفيفى : علم على الموضع الذى اقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور احمد فؤاد(*)

أَوْحَتْ لطَرْفِكَ فاستهلَّ شُئُونا دارٌ مَرَرْتَ بها على (قَيْسونا)(١)
غاضَت بشاشتُها ، وفَضَّتْ شملَها دنيا تَغُرُّ السادِرَ المفتونا
نزَلَتْ عَوادِى الدهرِ فى ساحاتها وأَقلَّ رَفْرَفها الخطوبَ العُونا(٢)
فتكادُ مِنْ أَسَفٍ على آسِى الحِمَى من كلِّ ناحيةٍ تَثور شُجونا
تلك (العيادةُ) لم تكن عَبَثًا ، ولا شَرَكًا لصَيْدِ مَآربٍ وكَمينا
دارٌ (ابنِ سِينَا) نُزِّهَتْ حُجُراتُها عن أن تَضُمَّ ضَلالةً ومُجونا(٣)
خَبَتِ المطالعُ مِنْ أَغرَّ مُؤَمَّلٍ كالفجر ثَغْرًا ، والصباحِ جَبينا(٤)
ومِنَ الوُفودِ ، كأَنهم مِنْ حَوْلِه مَرْضَى (بعيسى الروحِ) يَستشفونا
مَثَلٌ تَصوَّر من حياةٍ حرةٍ للنشْءِ يَنطِق فى السكوت مُبينا
لم تُخْصَ من عهدِ الصِّبا حَرَكاتُه وتَخالُهنَّ من الخُشوع سُكونا

• • •

جَمَحَتْ جِراحُ المُعْوِزين ، وأعضلَتْ أَدْواؤهُم ، وتَغَيَّبَ الشافونا(٥)

(*) كان الدكتور احمد فؤاد مثالا نادرا من امثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

١ــ قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشئون : الدموع . يقول : ان المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعا ، حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة ، والسكون بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا ــ٢ــ اقل : حمل . والرفوف : شىء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . والعون : جمع عوان . والخطوب العون : اى التى نزلت مرة قبل هذه . يريد ان هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الاخير الذى حل بها ــ٣ــ يشبه الفقيد فى الطب والامانة للعلم بابن سينا ــ٤ــ خبت المطالع : انطفأ نورها ــ٥ــ أدواء : جمع داء .

ماتَ الجوادُ بطِبِّه وبأَجره ولربَّما بذلَ الدواءَ مُعينا
وتَجُسُّ راحتُه العليلَ ، وتارةً تَكسو الفقيرَ ، وتُطعِم المِسكينا
أدّى أمانةَ علمِه ، ولطالَما حَملَ الصداقةَ وافياً وأمينا
وقضى حقوقَ الأهلِ ، يُحسِن تارةً بأَبيه ، أو يَصِل القرابة حينا
خُلقٌ ودينٌ فى زمانٍ لا ترى خُلقًا عليه ولا تُصادِف دينا

* * *

أمُداوىَ الأرواحِ قبل جُسومِها قُمْ داوِ فيك فؤادىَ المحزونا
روِّحْ بلفظك كلَّ رُوحٍ مُعَذَّبٍ حَيرانَ طار بلُبِّه الناعونا
قد كال للقدَر العِتابَ ، وربَّما ظنَّ المُدَلَّهُ بالقضاء ظُنونا(١)
داوَيْتَ كلَّ مُحطَّمٍ فشفيْتهُ ونسِيتَ داءً فى الضلوع دَفينا
كبدٌ على دَمِها اتَّكَأْت ولحْمِها فحَمَلْتَ همَّ المسلمين سِنينا
ظلَّتْ وراءَ الحربِ تَشقَى بالنَّوَى وتَذوب للوطن الكريمِ حنينا

* * *

ناصرتَ فى فجر القضيَّةِ (مصطفى) فنَصَرْتَ خُلْقًا فى الشَّباب مَتينا(٢)
أقدمْتَ فى العشرين تحتَ لوائِه وروائعُ الإقدامِ فى العشرينا
لم تَبغِ دُنيا طالما أغضَى لها حُمْسُ الدّعاةِ وطَأْطَئُوا العِرنينا(٣)

* * *

رُحْمَاكَ (يوسفُ) قِفْ رِكَابَكَ ساعةً واعطِفْ على يعقوبَ فيه حزينا(٤)

١ــ المدله : الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه ــ٢ــ يشير الى انه كان من الانصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا ــ٣ــ حمس : جمع حمس ، بكسر الميم ، أو أحمس : وهو الصلب فى القتال والعقيدة ، والحمس لقب لقريش ، ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء ، اى الكعبة . والعرنين : الانف ــ٤ــ يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ، ليمهد لتشبيه أبيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته .

لم يَدْرِ خلفَ النعشِ من حَرِّ الجَوى أَيَشُقُّ جَيْبًا ، أم يَشُقُّ وَتينا ؟(١)
ساروا بمُهجتِه ، فحُمِّلَ ثُكْلها وقَضَوْا بعائله ، فمالَ غَبينا(٢)
أتعودُ فى رَكْبِ الربيعِ إذا آنثنى بَهِجًا يَزُفُّ الوردَ والنَّسرينا ؟
هيهات من سَفرِ المنيَّة أَوْبةٌ حتى يُهيبَ الصُّبحُ بالسارينا
ويقالُ للأَرض الفضاءِ : تمخَّضِى فتردَّ شيخاً أَو تمجَّ جنينا

* * *

اللهُ أبقى ! أين مِنْ جَسدى يدٌ لم أَنْسَ رِفقَ بَنانِها واللِّينا ؟(٣)
حتى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صورةً تُومِى براحٍ ، أَو تُجِيلُ عيونا
فجررَتُ جُثْمانى ، وهانت كُربةٌ لولا اعتِناؤكَ لم تكن لِتهونا
إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها ما كان آس بالشفاءِ ضَمينا
واليومَ أَرْتجلُ الرِّثاءَ ، وأَنزَوِى فى مأْتمٍ أَبكى مع الباكينا
سبحانَ من يرِثُ الطبيبَ وَطِبَّه ويُرِى المريض مصارعَ الآسينا ! !(٤)

١ــ الوتين : عرق فى القلب اذا قطع مات صاحبه ــ٢ــ المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، اى روحه ــ٣ــ يشير : الى ان الفقيد كان احد اطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه ــ٤ــ الآسينا : جمع آسى ، وهو الطبيب .

نجل امام اليمن(*)

مضى الدهرُ بابن إمامِ اليَمَنْ وأَوْدَى بزين شبابِ الزمنْ
وباتَت بصنعاء تبكى السيوفُ عليه ، وتبكى القنا فى عدن(١)
وأعْوَلَ نجدٌ ، وضجَّ الحجازُ ومالَ الحُسينُ ، فعزَّ الحَسن
وغَصَّتْ مَناحاتُه فى الخيام وغَصَّتْ مآتمُه فى المُدُن
ولو أنَّ مَيْتاً مَشى للعزاء مشى فى مآتمه ذو يَزن(٢)
فتًى كاسمِه كان سيفَ الإلٰه وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطن
ولُقِّبَ بالبدْرِ من حُسنه وما البدرُ؟ ما قدرُه ؟ وابنُ مَنْ؟

* * *

عزاءً جميلاً إمامَ الحِمَى وهوِّنْ جَليلَ الرزايا يهُن
وأنتَ المُعانُ بإيمانه وظنُّك فى الله ظنٌّ حسن
ولكن متى رقَّ قلبُ القضاءِ ؟ ومن أيْن لِلموتِ عقلٌ يَزِن ؟
يجامِلُك العربُ النازحون وما العربيَّةُ إلا وطن
ويجمَعُ قومك بالمسلمين عظيمُ الفروضِ وسمْحُ السُّنَن
وأنَّ نبيَّهُمُ واحدٌ نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللَّسَن
ومصرُ التى تجمع المسلمين كما اجتمعوا فى ظلال الرُّكُن(٣)

(*) هو الامير سيف نجل الامام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول انقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٣ .

١ ــ صنعاء : حاضرة اليمن . عدن : احدى الموانى هناك ، وهى على خليج عدن المشهور ــ٢ــ ذو يزن : احد اقيال اليمن الأقدمين ، ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيــه واجداده اضيفت اليه اســاطير كثيرة .
٣ــ يريد بالركن : الكعبة .

تُعزِّى اليَمانِينَ فى سَيفهم وتأْخذ حِصَّتَها فى الحَزَن
وتَقعُد فى مأْتم ابنِ الإمامِ وتبكيه بالعبَرات الهُتُن
وتَنْثُر رَيْحانَتَىْ زَنْبَقٍ من الشَّعرِ فى رَبَواتِ اليمن
تَرفَّانِ فوقَ رُفاتِ الفقيدِ رفيفَ الجنَى فى أعالى الغُصُن
قَضَى واجبًا ، فقضَى دونَه فتىً خالص السِّر ، صافى العَلن
تطوَّحَ فى لُجَجٍ كالجبال عِراضِ الأَواسِى طِوَالِ القُنَن(١)
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْثِ ، لاقى السلاح ولا فى الدُّروع . ولا فى الجُنَن(٢)

* * *

متى صِرتَ يابحرُ غمدَ السيوفِ وكنا عَهدناكَ غِمدَ السُّفن ؟
وكنتَ صِوانَ الجُمانِ الكريمِ فكيف أُزِيلَ ؟ ولِمْ لَمْ يُصَن؟
ظَفِرْتَ بجوهرةٍ فَذَّةٍ من الشرف العبقرىِّ اليُمُن
فتًى بذَلَ الروحَ دونَ الرِّفاق إليكَ ، وأعطى الترابَ البَدن
وهانتْ عليه مَلاهِى الشبابِ ولولا حقوقُ العُلا لم تَهُن
وخاضَك يُنقِذُ أترابَه وكان القضاءُ له قد كَمَن
غدرْتَ فتًى ليس فى الغادرين وخُنْتَ امرأً وافيًا لم يَخُن
وما فى الشجاعةِ حَتْفُ الشجاعِ ولا مَدَّ عمرَ الجبان الجُبُن
ولكن إذا حانَ حَيْنُ الفتى قَضَى ، ويَعيش إذا لم يَحِن(٣)

* * *

ألا أيُّهذا الشريفُ الرَّضِىُّ أبو السُّجَر الرَّماحِ اللُّدُن

١ــ القنن : جمع قنة ، وهى راس الجبل . والاواسى من البناء : الدعائم ــ٢ــ الجنن : جمع جنة ، بالضم ، وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك ــ٣ــ الحين : الاجل .

شهيدُ المُروءةِ كان البَقِيعُ أحقَّ به من تراب اليمن
فهل غَسّلوه بدمعِ العُفاةِ وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن ؟
لقد أغرَقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ واغرقْتَ أبناءه بالمِنن
أتذكر إذ هو يَطوِى الشهورَ وإذ هو كالخِشْفِ (حُلْوٌ) أغنّ؟(١)
وإذ هو حولَك حسنُ القصورِ وطِيبُ الرياضِ ، وصَفْوُ الزمَن؟
بشاشتُه لذّةٌ فى العيون ونَغْمتُه لذّةٌ فى الأذن ؟
يلاعِب طُرّتَه فى يَدَيْكَ كما لاعبَ المُهرُ فضل الرَّسَن؟
وإذ هو كالشبل يَحكِى الأسودَ أدلّ بمِخْلَبِه وافْتَتَن؟(٢)
فشَبّ . فقامَ وراءَ العَرينِ يَشُبّ الحروبَ ، ويُطفِى الفِتَن؟(٣)
فما بالُه صار فى الهاملين وأمسى عَفَاءً كأنْ لم يَكُن ؟
نظَمْتُ الدموعَ رِثاءً له وفصّلْتُها بالأسَى والشَّجَن

١ــ الخشف (مثلثة الخاء) : الظبى . والأغن : الذى يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب ــ٢ــ الشبل : ولد الاسد اذا ادرك الصيد . وادل بمخلبه : اى تباهى به وتخايل على اقرانه ــ٣ــ العرين : بيت الاسد . ويشب الحروب : يوقدها .

عبد الله بك الطوير(*)

يا قلبُ ، ويْحَكَ والمودّةُ ذِمّةٌ ماذا صنَعْتَ بعهدِ (عبدِ اللهِ)؟
جاذَبتنى جَنبى عَشيّةَ نَعْيِهِ وخَفقْتَ خَفْقَةَ مُوجَعٍ أوّاه(١)
ولَوَ أنْ قلباً ذابَ إثرَ حَبيبِه لهوَى بك الركنُ الضعيفُ الواهى
فعليكَ من حُسن المروءةِ آمرٌ وعليك مِن حُسن التجلّدِ ناه
نزل «الطويرُ» فى الترابِ منازلاً تهوِى المكارمُ نحوَها بشفاه
عَرَصاتُها مَمطورَةٌ بمدامعٍ مَوْطوءَةٌ بمفارِقٍ وجِباه
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينه فيها ؛ لفاضَت من جَنًى ومياه(٢)

* * *

يا كابرا من كابرين ، وطاهرًا مِن آلِ طُهرٍ عارِفٍ بالله
ومُحكّمًا عَلَمَ القضاءِ مكانَه فى المُقسطينَ الجِلّةِ الأنزاه(٣)
وحكيمًا اسْتعصَتْ أعِنّتُه على كذبِ النعيمِ ، وتُرّهاتِ الجاه
وأخاً سَقَى الإخوانَ مِنْ (راووقِه) بودادِ لا صَلِفٍ ، ولا تَيّاه(٤)

(*) المرحوم عبدالله بك الطوير : كان احد رجال القانون فى مصر ، وقد توفى سنة ١٩١٥ .

١ــ خفق القلب : اضطرب فى موضعه . والاواه : كثير التاوه . وفى القرآن الكريم « ان ابراهيم لأواه حليم » ــ٢ــ اليمين : يراد بها هنا القوة . والجنى : الثمار ــ٣ــ المقسطين : اى العادلين . والجلة (بكسر الجيم) : قوم سادة عظماء ذوو اخطار . والانزاه : جمع نزه : وهو العفيف المتكرم . ٤ ــ الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها الشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعرى شغلَ نفسِكَ ، فاقترح من كلِّ (جائلةٍ) على الأَفواه
أُنزِلْتَ منه حينَ فَاتَكَ جَمْعُه فى منزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه
فاقرأ على «حَسّانَ» منه ، لعله بفتاه فى مدحِ الرسولِ مُباه(١)
وانزل بنور الخلدِ جَدّكَ ، واتَّصِلْ بملائكٍ من آلهِ أَشباه(٢)
ناعيكَ ناعى حاتمٍ أَو جعفرٍ فالناسُ بين نوازِلٍ ودواهِ(٣)

١ــ حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .
٢ــ جدك ؛ منصوب على نزع الخافض ، اى انزل على جدك ، وكان الفقيد منسوبا لآل البيت النبوي ــ٣ــ حاتم : هو الطائى المشهور بالكرم . وجعفر : لعله يقصد به جعفرا البرمكى ، او عبد الله بن جعفر احد أجواد العرب فى العصر الاموى ، والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين اللذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول(*)

شيَّعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرقُ عليها فبكاها
ليتنى فى الركبِ لما أفلَتْ (يوشعُ)، همَّتْ، فنادَى، فثناها(١)
جَلَّلَ الصبحَ سوادًا يومُها فكأنّ الأرض لم تخلع دُجاها(٢)
انظروا تَلْقَوْا عليها شَفَقًا من جِراحاتِ الضحايا ودِماها
وتَرَوْا بَينَ يَدَيْها عَبرةً من شهيدٍ يقطرُ الورد شَذاها
آذنَ الحقُّ ضَحاياها بها وَيْحَهُ ! ! حتى إلى الموتى نَعاها

* * *

كفّنوها حُرَّةً عُلْوِيَّةً كَسَتِ الموتَ جلالاً ، وكساها
مِصْرُ فى أكفانها إلا الهدى لحمةُ الأكفانِ حقٌّ وسُداها(٣)
خطر النعشُ على الأرض بها يَحْسِرُ الأبصارَ فى النعش سَناها(٤)
جاءها الحقُّ ، ومِنْ عادتها تؤثرُ الحقَّ سبيلاً واتِّجاها(٥)
ما دَرتْ مصرُ : بدفن صُبِّحَتْ أم على البعثِ أفاقَتْ مِنْ كَراها ؟
صَرَخَتْ تَحسبها بنْتَ الشَّرَى طلَبَتْ مِنْ مِخْلَب الموتِ أباها(٦)
وكأنّ الناسَ لما نَسَلوا شُعَبُ السيلِ طَغَتْ فى مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

١ــ يوشع : احد انبياء بنى اسرائيل ، دعا الله ان يؤجل الغروب فاجابه وثنى الشمس عن غروبها ــ٢ــ جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه . ٣ــ اللحمة : ما سدى به الثوب ، والسدى : ضد اللحمة ــ٤ــ يحسر الابصار : اى يردها كليلة ضعيفة ــ٥ــ الحق الاول : يقصد به الموت . والحق الثانى : يقصد به العدل ــ٦ــ بنت الشرى : انثى الاسد .

وضعوا الرّاحَ على النعشِ كما يَلمَسون الرُّكنَ ، فارتدَّتْ نزاها
خَفضوا في يوم (سعد) هامَهم و(بسعدٍ) رَفعوا أمسِ الجِباها

• • •

سائلوا «زَحْلَةَ» عن أعراسها هل مَشى الناعى عليها فمحاها؟(١)
عَطَّلَ المُصْطافَ من سُمَّارِه وجَلا عن ضِفَّة الوادى دُماها(٢)
فتحَ الأبوابَ ليلاً (دَيْرُها) وإلى (الناقوسِ) قامتْ بِيعَتاها
صدَع البرقُ الدُّجَى ؛ تنشرُه أرضُ (سوريّا) ، وتَطويه سَماها(٣)
يَحمِلُ الأنباءَ تَسرِى مَوْهِنًا كعوادى الثُّكل فى حَرِّ سُراها(٤)
عَرَضَ الشكُّ لها فاضطرَبتْ تَطأُ الآذانَ هَمْسًا والشُّفاها
قالتُ : ياقوم اجمعوا أحلامَكم كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها(٥)

• • •

يا عدوَّ القيدِ لم يلمَحْ له شبَحًا فى خطَّةٍ إلا أباها
لا يَضِقْ ذَرْعُكَ بالقيد الذى حَزَّ فى سُوق الأوالِى وبَراها
وقعَ الرُّسْلُ عليه ، والْتَوَتْ أرجلُ الأحرارِ فيه فعَفاها
يا رُفاتًا مِثلَ رَيْحَانِ الضُّحى كلَّلَتْ (عَدْنٌ) بها هامَ رُباها(٦)

١ــ يشير البيت الى أن امير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة احدى مصايف لبنان ــ٢ــ السمار : جمع سامر ؛ وهم اخوان الحديث فى المساء . والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدمى : جمع دمية . وهى الصورة يعملها المثال من الرخام ــ٣ــ صدع : شق وقطع ٤ ــ الموهن : نصف الليل ، او بعده بنحو ساعة ــ٥ــ الوريدان : مثنى الوريد ؛ احد شرايين الجسم ــ٦ــ عدن : الجنة . وهام رباها : اى رءوس ربواتها . والربوات : الامكنة المرتفعة فيها .

وبقايا هيكل من كرمٍ وحياة أترَعَ الأرض حَياها(١)
ودَّعَ العدلُ بها أعلامَه وبكتْ أنظِمةُ الشُّورى صُواها(٢)
حَضنتْ نعشك ، والتفَّتْ به رايةٌ كنتَ من الذلّ فِداها
ضمَّت الصدرَ الذى قد ضمَّها وتلقَّى السهمَ عنها فوقاها
عجبي مِنها ومن قائدها !! كيف يَحمِي الأعزلُ الشيخُ حِماها؟

* * *

مِنْبَرُ الوادى ذَوَت أعوادُه مِن أواسِيها وجَفَّتْ من ذُراها
مَن رَمَى الفارسَ عن صَهْوَتِها ودَها الفُصحىٰ بما ألجمَ فاها ؟
قدَرٌ بالمُدْنِ ألْوَى والقُرَى ودَها الأجبالَ منه ما دَهاها
غال (بَسْطورا) وأردَى عُصبةً لمسَتْ جُرثومةَ الموتِ يَداها
طافت الكأسُ بساقٍ أمّةٍ مِن رَحيقِ الوطنيّاتِ سقاها
عَطِلتْ آذانُها من وَتَرٍ ساحرٍ رَنَّ مَلِيًّا فشجاها
أرغُنٌ هامَ به وِجْدَانُها وأذانٌ عَشِقتْه أذُناها
كلَّ يومٍ خطبةٌ روحيّةٌ كالمزامير وأنغامِ لُغاها
دَلَّهَتْ مصراً ، ولو أنَّ بها فَلَوَاتٍ دَلَّهَتْ وَحْش فَلاها
ذائدُ الحقِّ وحامى حَوْضِه أنفَذَتْ فيه المقاديرُ مُناها
أخَذَتْ (سعدًا) من (البيت) يَدٌ تأْخذُ الآسادَ من أصل شراها
لو أصابَت غيرَ ذى رُوحٍ لمَا سَلمَتْ منها الثُّرَيّا وسُهاها
تتحدّى الطبُّ فى قفّازها عِلّةُ الدهر التى أعيا دَواها

١ــ اترع : ملأ . والحيا : المطر ــ٢ــ الصوى : جمع صوة ــ بضم الصاد ــ وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

من وراء الإذنِ نالَتْ ضَيْغَماً لم يَنَلْ أقرانَه إلا وِجاها
لم تصارِخْ أصْرخَ النامِسِ يَدًا ولساناً ، ورُقادًا ، وانتباها

* * *

هذه الأَعوادُ من آدَمَ لَمْ يَهْدَ خُفَّاها ، ولم يَعْرَ مَطاها
نقَلَتْ (خُوفو) ، ومالتْ (بمِنا) لم يفُت حَيًّا نصيبٌ من خُطاها(١)
تَخْلِطُ العُمْرينِ : شيْبًا ، وصِبًا والحياتين : شَقاءً ، ورَفاها
زَوْرَقٌ فى الدمعِ يَطفو أبدًا عرَفَ الضَّفَّةَ إلا ما تلاها
تَهلَع الثَّكْلىٰ على آثارِه فإذا خَفَّ بها يوما شفاها

* * *

تسكُبُ الدمعَ على (سعدٍ) دماً أمةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
من لَيَانٍ هو فى يَنْبُوعِها وإباءٍ هو فى صُمِّ صَفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كَهلُها واستقَى الإيمانَ بالحقِّ فَتاها
بذَلَتْ مالًا ، وأمْنًا ، ودماً وعلى قائدها ألقَتْ رَجاها
حمَّلتْه ذِمَّةً أوفى بها وابتلَتْه بحقوقٍ فقضاها
ابنُ سبعينَ تلقَّى دونَها غُربةَ الأَسرِ ، ووَعْثاءَ نَواها(٢)
سفرٌ من عَدَن الأَرضِ ، إلى منزلٍ أقرَبُ منه قُطُباها
قاهرٌ أَلْقَى به فى صخرةٍ دفعَ النسرَ إليها فأَواها
كَرِهَتْ منزلَها فى تاجه دُرَّةٌ فى البحر والبرُّ نفاها
اسأَلوها ، واسأَلوا شانِئَها لِمَ لَمْ يَنفِ من الدُّرِّ سِواها ؟
ولَدَ الثَّورَةَ سعدٌ حُرَّةً بحياتىْ ماجد حُرٌّ نَماها

١ــ خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .
٢ــ الوعثاء : الطريق العسر ، او المشقة .

ما تَمنَّى غيرَها نسلاً ، ومَنْ يَلِدِ الزَّهراءَ يَزْهَدْ فى سواها
سالت الغابةُ من أشبالها بينَ عَيْنَيْهِ وماجَتْ بلبَاها(١)
بارك اللهُ لها فى فرعِها وقَضَى الخيرَ لمِصرٍ فى جَناها
أوَلَم يَكتُبْ لها دُسْتورَها بالدمِ الحرِّ ، ويَرْفَعْ مُنتداها ؟(٢)
قد كتبتاها ، فكانت صورةً صَدْرُها حقٌّ وحقٌّ مُنتهاها
رَقَدَ الثائرُ إلا ثورةً فى سبيل الحقِّ لم تَخمد جُذاها
قد تَولَّاها صبيًّا فكَوَتْ راحَتَيْهِ ، وفَتِيًّا فرعاها(٣)
جالَ فيها قلمًا مُستنهِضًا ولِساناً كلَّما أعْيَتْ حَداها(٤)
ورمَى بالنفس فى بُركانِها فتلقَّى أوّلَ الناسِ لَظاها
أعلِمتم بعد (موسى) مِنْ يَدٍ قذَفَتْ فى وجه (فِرْعَوْنَ) عَصاها ؟(٥)
وَطِئَتْ نادبةً صارخةً شادَ وجهُ الرِّقِّ - ياقوم - وشاها(٦)
ظَفِرَتْ بالكِبْر من مُستكبِرٍ ظافرِ الأيّامِ مَنصورِ لِواها
القَنا الصُّمُّ نَشاوَى حولَهُ وسيوفُ الهندِ لم تَصْحُ ظُباها

* * *

أين مِنْ عَيْنَىَّ نفسٌ حُرَّةٌ كنتُ بالأمسِ بعينىَّ أراها ؟
كلما أقبلت هَزَّتْ نفسها وتَواصَى بِشرُها بى ونداها

---

١ ــ اللبــا : جمع لبــاة ــ كقطاة ــ وهى أنثى الاسد ــ٢ــ المنتدى : البرلمان ــ٣ــ يشير الى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه ــ٤ــ أعيت : تعبت . حداها ، من قولهم : حدا الابل ، اى ســاقها وزجرها ــ٥ــ اشارة الى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يافكون » ــ٦ــ شاه وجه الرق : اى قبح .

وجرَى الماضى ، فماذا ادَّكَرَتْ وادِّكارُ النفسِ شىءٌ من وَفاها؟
أَلمحُ الأيّامَ فيها ، وأرى من وراء السِّنِّ تِمثالَ صِباها
لستُ أدرى حينَ تَندَى نَضرةً عَلَتِ الشَّيْبَ ، أم الشَّيْبُ عَلاها؟
حَلَّت السبعون فى هيكلها فَتَدَاعَى وهْىَ مَوْفورٌ بِناها
رَوْعةُ النادى إذا جدَّتْ ، فإن مَزحَتْ لم يُذهِب المَزْحُ بَهاها
يَظفَرُ العُذْرُ بأقصى سُخطِها ويَنالُ الودُّ غاياتِ رِضاها
ولها صبرٌ على حُسَّادها يُشبه الصَّفْحَ ، وحِلْمٌ عن عِداها
لستُ أنسَى صفحةً ضاحكةً تأْخذ النفسَ وتَجرِى فى هواها
وحديثًا كرِوايات الهوى جَدَّ للصَّبِّ حَنينٌ فرواها
وقناةً صَعْدَةً لو وُهِبَتْ للسِّماكِ الأعزلِ اختالَ وتاها(١)
أين منِّى قلمٌ كنتُ إذا سمتُه أن يَرثِىَ الشمسَ رَثاها؟
خاننى فى يوم (سعدٍ) ، وجَرى فى المرائى فكَبا دونَ مَداها
فى نعيم الله نفسٌ أُوتِيَتْ أنعُمَ الدنيا فلم تَنسَ تُقاها
لا الحِجَى لمّا تَنَاهَى غَرَّها بالمقاديرِ ، ولا العِلمُ زَهاها
ذَهَبَتْ أوّابةً مُؤْمِنَةً خالصاً من حَيْرَةِ الشكِّ هُداها
آنَسَتْ خَلْقًا ضعيفًا ورأتْ من وراء العالَمِ القانِى إلٰها
ما دعاها الحقُّ إلا سارَعَتْ ليتَه يومَ «وَصيفٍ» ما دعاها(٢)

١ــ القناة : الرمح . والصعدة : هى التى نبتت مستوية ، فلا تحتاج لتثقيف . والسماك : أحد كوكبين نيرين ، يوصف احدهما بالرامح ، لان امامه كوكبا صغيرا يسمى رمح السماك ورايته ، ويوصف الآخر بالأعزل ، حيث لايوجد امامه شىء . يقول ان له قواما لو منح للسماك الاعزل فى السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح ــ٢ــ وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

الشاعر الموسيقى فردى (*)

فتى العقلِ والنَّغْمةِ العالِيَهْ مضى ومَحاسِنُه باقِيَهْ
فلا سُوقَةٌ لم تكن أُنْسَهُ ولا مَلِكٌ لم تَزِن نادِيَه
ولم تَخْلُ مِن طِيبِها بَلدةٌ ولم تَخلُ من ذِكرها ناحيه
يكادُ إذا هو غَنَّى الورَى بقافيةٍ يُنْطِق القافيه
يَتِيهُ على الماس بعضُ النُّحاسِ إذا ضَمَّ أَلحانَه الغاليه
وتَحكم فى النفس أوتارُه على العودِ ناطقةً حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارِها وتُفشِى سَريرَتَها الخافيه
وكم آيةٍ فى الأَغانِى له هى الشمسُ ليس لها ثانيه !
إذا ما تَنادَى بها العارِفون قل : البرقُ والرعدُ مِنْ غاديه
فإن هَمَسُوا بعدَ جَهْرٍ بها فَخَفْقُ الحُلِيِّ على الغانيه
لقد شاب (فردى) وجاز المَشِيبَ و (عَيْدا) شَبِيبتُها زاهيه(١)
تُمَثِّلُ مِصرَ لهذا الزمانِ كما هى فى الأَعْصُرِ الخاليه
ونذكر تلكَ الليالِى بها وننشد تلك الرُّؤَى الساريه
ونَبكى على عِزِّنا المُنقَضِى ونَنْدُبُ أَيّامَنا الماضيه
فيا آلَ (فردى)، نُعَزِّيكُمُ ونبكى مع الأُسرةِ الباكيه
فَقَدنا بفقودِكم شاعِرًا يَقِلُّ الزمانُ له راويَه

(*) الشاعر الموسيقى فردى احد اعلام ايطاليا العالميين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .

١ــ عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

اسماعيل أباظة باشا (*)

سقى اللهُ (بالكَفْر الأباظيِّ) مَضْجَعًا تَضَّوع كافورًا من الخلد ساريا
يَطيبُ ثَرى (بُرْدِينَ) من نَفْح طِيبِه كأنّ ثرى (بُرْدِينَ) مَسّ الغَواليا(١)
فيالَكَ غِمدًا من صَفيحٍ وجَنْدَلٍ حوَى السيفَ مَصقولَ الغِرارِيَمانيا(٢)
وكنا استلَلْنا فى النوائب غَرْبَهُ فلم يُلْفَ هيّاباً ، ولم نُلْف نابيا(٣)
إذا اهتزَّ دونَ الحقِّ يَحمى حِياضَه تأخَّرَ عنها باطلُ القومِ ظاميا
طَوَتْهُ يدٌ للموت ، لا الجاهُ عاصمًا إذا بَطَشتْ يوماً ، ولا المالُ فاديا

* * *

تنالُ صِبا الأعمارِ عند رَفِيفِهِ وعندَ جُفوفِ العُودِ فى السِّنِّ ذاويا
وبعضُ المنايا تُنْزلُ الشُّهْدَ فى الثرى ويَحْطُطْنَ فى التُّرْب الجبالَ الرواسيا

* * *

يقولون : يَرثى الراحلين ، فوَيْحَهُم! أأَمَّلْتُ عندَ الراحلين الجَوازيا؟
أبَوْا حسدًا أن أجعل الحىَّ أسْوَةً لهم ، ومثالاً قد يُصادِفُ حاذيا
فلما رثَيْتُ الميْتَ أقْضِى حقوقَه وَجَدْتُ حسودًا للرُّفات وشانيا
إذا أنت لم ترْعَ العهودَ لهالكٍ فلستَ لحىٍّ حافظَ العهد راعيا
فلا يَطْوِيَن الموتُ عهدَك من أخٍ وهَبْهُ بوادٍ غيرِ واديك نائيا
أقام بأرضٍ أنت لافِيه عندَها وإن بِتُّما تستبعدان التلاقيا

* * *

(*) اسماعيل اباظه باشا : احد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

١ــ بردين : قرية الفقيد ، وهى من اعمال مديرية الشرقية . والغوالى جمع غالية ، وهى المسك ــ٢ــ الغرار من السيف : حده ــ٣ــ غرب السيف : حده ايضا . ونابى : كليل لا يقطع .

رَثَيْتُ حياةً بالثناء خليقةً وحَلَّيْتُ عهدًا بالمفاخِرِ حاليا
وعزَّيْتُ بيتًا قد تبارَتْ سماؤُه مَشايِخَ أقمارًا ، ومُرْدًا دَراريا(١)
إلى الله (إسماعيلُ) وانزِلْ بساحةٍ أظلَّ النَّدَى أقطارَها والنواحِيا
تَرَى الرحمةَ الكبرى وراءَ سمائها تَلُفُّ التُّقَى فى سَبْيِها والمَعاصيا
لدى مَلِكٍ لا يَمنع الظلَّ لائِذًا ولا الصَّفحَ توّاباً ، ولا العفوَ راجيا
وأقسمُ كنتَ المرءَ لم يَنْسَ دِينَهُ ولم تُلْهِهِ دُنياؤه وهْىَ ماهيا
وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤها لحاجِ اليتامَى والأَراملِ قاضيا(٢)
وكنتَ تُصلِّى بالملوكِ جماعةً وكنت تقوم الليلَ بالنفس خاليا
ومَن يُعْطَ من جاهِ الملوك وَسِيلةً فلا يَصنع الخيراتِ ؛ لم يُعْطَ غاليا
وكنتَ الجرىءَ النَّدْبَ فى كلِّ موقفٍ تلفَّتَ فيه الحقُّ لم يَلْقَ حاميا(٣)
بَصُرتُ بأَخلاقِ الرجالِ فلم أَجِدْ —وإن جَلَت الأَخلاقُ— للعزم ثانيا
من العزمِ ما يُحيِى فُحولًا كثيرةً وقدَّمَ كافورَ الخَصِىَّ الطَّواشِيا
وما حطَّ مِنْ رَبِّ القصائد مادحاً وأنزلهُ عن رتبةِ الشعر هاجيا
فليس البيانُ الهجوَ إن كنت ساخطاً ولا هو زُورُ المدحِ إن كنتَ راضيا
ولكنْ هُدَى اللهِ الكريمِ ووَحْيُه حَملتَ به المصباحَ فى الناسِ هادِيا
تُفيض على الأَحياء نورًا ، وتارةً تُضيءُ على الموتى الرِّجامَ الدَّواجيا(٤)
هياكلُ تَفْنَى ، والبيانُ مُخَلَّدُ ألا إنَّ عِتْقَ الخمرِ يُنْسِى الأَوانيا

* * *

١ــ يشبه شيوخ الاسرة الاباظية بالاقمـــار ، وشبابها المرد بدارى النجوم ، على حين ان هذه الاقمار والنجوم تتبارى فى الاشعاع والاضاءة .
٢ــ حاج : جمع حاجة ــ٣ــ الندب : الخفيف عند الحاجة اليه ــ٤ــ الرجام : القبور . والدواجى ــ جمع داجية : المظلمة .

ذهبْت (أبا عبدِ الحميدِ) مُبَرَّءًا من الذَّام ، محمودَالجوانبِ ،زاكيا(١)
قليلَ المساوِى فى زمانٍ يَرى العُلا ذُنوباً ، وناسٍ يُخْلُقون المساويا
طوَيناك كالماضى تَلقَّاه غِمدُه فلم تسترح حتى نشرناك ماضيا(٢)
فكنتَ على الأفواه سيرةَ مُجمِلٍ وكنت حديثًا فى المسامع عاليا
وَفَيْتَ لمن أدناكَ فى الملك حِقبةً فكانَ عجيبًا أن يَرى الناسُ وافيا
أثاروا على آثار مَوْتِكَ ضَجَّةً وهاجُوا لنا الذكرى ، وَرَدُّوا الليَاليا
ومَن سابَقَ التاريخَ لم يَأْمَن الهوى مُلِجًّا ، ولم يَسلَم منَ الحِقْدِ نازيا(٣)
إذا وَضعَ الأحياءُ تاريخَ جِيلِهم عَرفتَ المُلاحى مِنهمو ، والمُحابيا

* * *

إذا سلم الدستورُ هان الذى مضى وهان من الأحداثِ ماكان آتيا(٤)
ألا كلُّ ذَنْب لِيالى لأجله سَدَلْنا عليه صَفحَنا والتناسيا(٥)

١ـ زاكيا : اى ناميا مباركا ـ٢ـ الماضى ، فى اول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى ـ٣ـ نازيا : اى واثبا . والملج المتمادى فى الخصومة ـ٤ـ الأحداث : نوازل الأيام ـ٥ـ سدلنا عليه الصفح : اى سجينا على كل الذنوب أعراضنا وسترناها بغفراننا .

على بهجت(*)

أحقٌّ أنهم دفَنوا عَلِيًّا وحَطُّوا فى الثَّرى المرءَ الزكيًّا ؟
فما تركوا من الأَخلاق سَمْحًا على وجه التراب ، ولا رَضِيًّا ؟
مَضوْا بالضاحك الماضى وألْقَوْا إلى الحُفَر الخَفيفَ السَّمْهَرِيًّا
فَمَنْ عَوْنُ اللغاتِ على مُلِمٍّ أصاب فصيحَها والأَعجميًّا ؟
لقد فَقَدَتْ مُصَرِّفَها حنينًا وبات مكانُه منها خَلِيًّا
ومن يَنْظُرْ يَرَ الفُسْطاطَ تبكى بفائضةٍ من العَبَرَاتِ رِيًّا
ألم يَمْشِ الثرى قِحَةً عليها وكان رِكابُها نحوَ الثُّرَيّا ؟
فنَقَّبَ عن مواضعها عَلِيٌّ فجَدَّدَ دارساً ، وجَلا خَفِيّا
ولولا جُهْدُهُ احتجَبَتْ رُسوماً فلا دِمَناً تُريكَ ولا نُؤيًّا
تلفَّتَت القنونُ وقد تَوَلَّى فلم تَجِد النصيرَ ولا الوَلِيّا
سَلوا الآثارَ : مَنْ يَغدو يُغالى بها ، ويروحُ مُحتفِظًا حَفِيًّا ؟
ويُنْزِلُها الرُّفوفَ كجوهرىٍّ يُصَفِّفُ فى خزائنها الحُلِيًّا ؟
وما جَهِلَ العَتِيقَ الحُرَّ مِنها ولا غَبِيَ المُقَلَّدَ والدَّعِيًّا
فتًى عاف المَشاربَ من دَنايا وصان عن القَذَى ماءَ المُحَيَّا
أبُّ النفسِ فى زمنٍ إذا ما عَجَمْتَ بنيهِ لم تجِدِ الأَبِيًّا
تعوّدَ أن يراه الناس رأْساً وليس يَرَوْنه الذنبَ الدَّنِيًّا
وَجَدْتُ العلمَ لا يبنى نُفُوساً ولا يغنى عن الأَخلاق شَيًّا

(*) رثى امير البيان « احمد شوقى » فقيد العلم والعاديات المغفور له « على بهجت » بهذه اليتيمة العصماء التى قيلت فى حفلة تابينه ، وهى كما يراها القارىء الكريم ، اخذة من اخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر (نشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤) .

ولم أر فى السلاح أضلَّ حَدًّا مِنَ الأخلاق إنْ صَحِبَتْ غَوِيًا
هما كالسيف ، لاتُنْصِفْهُ يَفْسُدْ عليكَ ، وخُذْهُ مُكتمِلاً سَوِيًّا

* * *

غديرٌ أترعَ الأوطانَ خيرًا وإن لم تَمتلئْ منه دَوِيًّا
وقد تأتى الجداولُ فى خشوعٍ بما قد يُعْجِزُ السَّيلَ الأَتِيًّا
حياةُ مُعَلِّمٍ طفِئَتْ ، وكانتْ سراجاً يُعجبُ السارى وَضِيًّا
سبقتُ القابسين إلى سَناها ورُحتُ بنورها أَحْبُو صَبِيًّا
أَخذْتُ على أريبٍ أَلمَعِيٍّ ومَنْ لكَ بالمعلِّم أَلْمَعِيًّا ؟
ورُب مُعَلِّمٍ تلقاه فَظًّا غليظ القلبِ ، أو فَدْمًا غَبِيًّا
إذا انتدب البنون لَها سيوفاً من الميلاد ردَّهُمُ عِصِيًّا
إذا رَشَد المعلمُ كان مُوسَى وإن هو ضَلَّ كان السامِرِيًّا
ورُبَّ معلِّمِينَ خَلَوْا وفاقوا إلى الحرية انساقُوا هديًّا
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا لنار الظالمين بها صِلِيًّا

* * *

أَرِقْتُ وما نَسِيتُ «بناتِ بومٍ» على « المطريَّة » انْدَفَعَتْ بُكيًّا
بكَتْ وتأوَّهَتْ ، فَوَهِمْتُ شَرًّا وقبلى داخَلَ الوَهْمُ الذَّكِيا
قلبتُ لها الحذَىَّ ، وكان منى ضلالاً أن قلبتُ لها الحَنِيًّا
زَعَمْتُ الغَيْبَ خلفَ لسانِ طيرٍ جَهِلْتُ لسانَه فزعَمْتُ غيًّا
أَصاب الغيبَ عندَ الطير قومٌ وصار البومُ بينهمو نَبِيًّا
إذا غَنّاهمو وجدوا سَطِيحًا على فمه ، وأَفْنَى الجُرْهُمِيًّا
رمى الغربانُ شيخَ تَنوخَ قبلى وراثى من الطويل لها دَوِيًّا
نجا من ناجِذَيْهِ كلُّ لحمٍ وغُودِرَ لحمهُنَّ به شَقِيًّا
نَعَسْتُ فما وجدتُ الغَمْضَ حتى نَفَضْتُ على المَنَاحَةِ مُقْلَتَيًّا
فقلتُ : نذيرةٌ وبلاغُ صِدْقٍ وحَقٌّ لم يُفاجِئْ مَسْمَعَيًّا

ولكنَّ الذى بَكَتِ البوَاكِى خليلٌ عزَّ مَصرعُه عَليًّا
ومَن يُفجَعْ بِحُرٍّ عبقرىٍّ يَجدْ ظلمَ المنيّةِ عبقريًّا
ومَن تَتراخَ مُدَّتُه فيُكثِرْ من الأحبابِ لا يُحْصِى النَّعِيًّا

• • •

أخى ، أقبِلْ عَلَىَّ من المنايا وهاتِ حديثَك العذبَ الشَّهِيًّا
فلم أعدِم إذا ما الدُّورُ نامت سميرًا بالمقابر أو نَجِيًّا
يُذكِّرنى الدُّجَى لِدَةً حَمِيمًا هنالكَ باتَ ، أو خِلاًّ وَفِيًّا
نَشَدْتُكَ بالمنيّة وهْىَ حقٌّ ألم يَكُ زُخْرُفُ الدنيا فَرِيًّا
عَرفْتَ الموتَ معنًى بعد لفظٍ تَكلَّمْ ، وٱكشِفِ المعنى الخَبِيًّا
أتاك من الحياة الموتُ فانظُرْ أكنتَ تموت لو لم تُلْفَ حَيًّا ؟
وللأشياءِ أضدادٌ إليها تصير إذا صَبَرْتَ لها مَليًّا
ومُنْقَلَبُ النجومِ إلى سكونٍ من الدَّوَرانِ يَطوِيهنَّ طيًّا
فخبِّرنى عن الماضين ؛ إنى شَدَدْتُ الرَّحْلَ أنتظرُ المُضِيًّا
وَصِفْ لِى منزلاً حُمِلوا إليه وما لمحوا الطريقَ ولا المُطِيًّا
وكيف أتى الغنىُّ له فقيرًا وكيف ثَوى الفقيرُ به غَنِيًّا ؟
لقد لَبِسُوا له الأزياءَ شتّى فلم يقبل سوى التَّجريدِ زِيًّا
سواءٌ فيه مَنْ وافى نهارًا ومَنْ قذف اليهودُ به عَشِيًّا
ومَنْ قطع الحياة صَدًا وجوعاً ومَنْ مَرّتْ به شِبَعًا وريًّا
ومَيْتُ ضَجَّتِ الدنيا عليه وآخَرُ ما تُحِسُّ له نَعِيًّا

تم الجزء الثالث

ايضاح لا بد منه

للاســـتاذ محمـــود ابو الوفا

حين طلب الى ان اشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن فى الوقت متسع لاخراجه على كل ما كنت اتوق له من ضـــبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على انجازه فى عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما على ان اكون اداة انجاز لا اداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رايت ان اسير فى العمل على الوجه الآتى :

اولا : ترك الشرح والضبط كلما امن اللبس ووضح الكلام سواء اكان خوف اللبس من جهة الاعراب ام من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لابد من الضبط او التعليق او كليهما .

ثانيا : رايت ايضا ان اترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين او ثلاث بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

اما الشرح فتركته لا لضـــيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، لأنى احببت ان لا اتحكم فى ذوق القراء والأدباء وافرض عليهم فهمى انا ، فقـــد يجوز ان يفهم البيت على اكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى احب ان يتحاشاه كل طابعى الدواوين .

اما بعد ، فكل ما فى هذا الـكتاب من خطأ او من مؤاخـذة فهو الى ، اما ما فيه من فضل فمرجعه الى الأستاذ حسين شوقى .

فالى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هـــذا الكتـــاب من ذوق وجمال .

محمود ابو الوفـــا

فهـرس
الجزء الثالث من الشوقيات

صفحة

٣ سليمان باشا اباظه ، ومطلعها :

من ظن بعدك ان يقـــول رثـاء فليرث من هذا الورى من شـاء

٥ مصطفى باشا فهمى ، مطلعها :

يأيهـــا النـــاعى ابا الوزراء هذا اوان جـــلائل الانبـــاء

٩ ابو هيف بك ، مطلعها :

اجمل رثاءك للرجـــال جـــزاء وابعثه للوطن الحزين عـــزاء

١٢ مولانا محمد على ، مطلعها :

بيت على ارض الهدى وســمائه الحق حـــائطه واس بنـــائه

١٤ سيد درويش ، مطلعها :

كل يـوم مهرجـــان كللـوا فيه ميتا بزياحـــين الثنـــاء

١٧ عمر المختار ، مطلعها :

ركزوا رفاتك فى الرمـال لـواء يستنهض الوادى صباح مســاء

٢٠ عبدالحليم العلايلى بك ، مطلعها :

لقـد لبى زعيمـكم النـــداء عـزاء اهـــل دميـــاط عـزاء

٢٢ حافظ ابراهيم ، مطلعها :

قد كنت اوثر ان تقـــول رثائى يامنصف الموتى من الاحيـــاء

٢٦ محمد تيمور ، مطلعها :

ضربوا القباب على اليبـــاب وثووا الى يـوم الحســـاب

٢٩ يعقوب صروف ، مطلعها :

ســماؤك يادنيـــا خداع سراب وارضك عمران وشيك خـراب

٣٣ حسين شيرين بك ، مطلعها :

ارايت زين العـــابدين مجهـزا نقلـوه نقـل الورد من محـرابه

صفحة

٣٦ محمد عبد المطلب ، مطلعها :

قام من علته الشـــاكى الوصب وتلقى راحـة الدهـــر التعبه

٣٨ يرثى جدته ، مطلعها :

خلقنـا للحيـــاة وللممـــات ومن هـذين كل الحـادثات

٤١ محمد عبده ، مطلعها :

مفسر آى الله بالأمس بيننـــا قم اليوم فسر للورى آية الموت

٤٢ رياض باشا ، مطلعها :

ممـات فى المـواكب أم حيـــاة ونعش فى المنـــاكب أم عظـات

٤٩ عثمان باشا غالب ، مطلعها :

ضـــجت لمصرع (غـــالب) فى الأرض (مملكة النبـــات)

٥١ عبدالحى ، مطلعها :

طوى البساط وجفت الاقـداح وغدت عـواطلَ بعـدك الافراح

٥٣ محمد ثابت باشا ، مطلعها :

سر أبا صـــالح الى الله واترك مصر فى مـأتم وحـزن شـديد

٥٥ محمد فريد بك ، ومطلعها :

كل حى على المنيـــــة غـــادى تتوالى الركاب والمـــوت حادى

٥٩ البنون والحياة الدنيا ، ومطلعها :

الضلوع تتقـد والدموع تطـرد

٦٢ ثروت باشا ، مطلعها :

يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد كل البـلاد وســاد حين تتسد

٦٦ عبدالعزيز جاويش ، مطلعها :

أصاب المجاهد عقبى الشـــهيد والقى عصـــاه المضـــاف الشريد

٦٩ تعزية ورثاء ، مطلعها :

كأس من الدنيـــــا تدار من ذاقها خلع العـــذار

٧١ ذكرى هيجو ، مطلعها :

ما جـل فيهم عيـــدك المأثـور الا وانت اجـــل يا فكتـــور

صفحة

٧٣ عبده الحمولى ، مطلعها :

ساجع الشرق طار عن اوكاره وتولى فن على آثاره

٧٦ قاسم بك امين ، مطلعها :

يايها الدمع الوفى بدار تقضى حقوق الرفقة الاخيار

٨٠ تولستوى ، مطلعها :

(تولستوى)تجرى آية العلم دمعها عليك ويبكى بائس وفقير

٨٣ عمر بك لطفى ، مطلعها :

قفوا بالقبور نسائل عمر متى كانت الارض مثوى القمر

٨٥ عمر بك لطفى ، مطلعها :

اليوم اصعد دون قبرك منبرا وأقلد الدنيا رثاءك جوهرا

٨٨ الاميرة ، مطلعها :

حلفت بالمستره والروضة المعطره

٩٦ ذكرى مصطفى كامل ، مطلعها :

لم يمت من له اثر وحياة من السير

٩٤ المنفلوطى ، مطلعها :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى

٩٧ عاطف بركات باشا ، مطلعها :

خفضت لعزة الموت اليراعا وجد جلال منطقه فراعا

١٠١ المويلحى ، مطلعها :

كاتب محسن البيان صناعه استخف العقول حينا يراعه

١٠٤ اسماعيل باشا صبرى ، مطلعها :

اجل وان طال الزمان موافى اخلى يديك من الخليل الوافى

١١٠ فوزى الغزى ، مطلعها :

جرح على جرح حنانك جلق حملت ما يوهى الجبال ويزهق

١١٤ كريمة البارودى ، مطلعها :

احيث تلوح المنى تافل كفى عظة ايها المنزل

١١٦ فتحى ونورى ، مطلعها :

انظر الى الاقمـــار كيف تزول والى وجوه السعد كيف تحول

١٢١ على باشا ابوالفتوح ، مطلعها :

ما بين دمعى المسبل عهد وبين ثرى على

١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :

ممـالك الشرق ام ادراس اطلال وتلك دولاته ام رسمها البـالى

١٢٨ شهداء العلم والغربة ، مطلعها :

الا فى سبيل الله ذاك الدم الغالى وللمجد ما ابقى من المثل العالى

١٣٢ سعيد بك زغلول ، مطلعها :

(آل زغلول) حسبكم من عـزاء سـنة المـوت فى النبى وآلـه

١٣٤ امين بك الرافعى ، مطلعها :

مال احبـابه خليـلا خليـلا وتولى اللـدات الا قليـلا

١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها:

ياترى النيل فى نواحيـك طير كان دنيـا وكان فرحة جيل

١٤٠ ادهم باشا ، مطلعها :

مصاب بنى الدنيا عظيم (بأدهم) واعظم منه حيرة الشعر فى فمى

١٤٢ عثمان باشا ، الغازى :

هالة للهـلال فيهـا اعتصـام كيف حامت حيالهـا الايام

١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :

قبر الوزير تحيـة وسلاما الحلم والمعروف فيك اقاما

١٤٦ يبكى والدته ، ومطلعها :

الى الله اشكو من عوادى النوى سهما اصاب سويداء الفؤاد وما اصمى

١٥٠ الملك حسين : مطلعها :

لك فى الارض والسـماء مآتم قـام فيهـا ابو الملائك هـاشم

١٥٤ يرثى اباه ، مطلعها :

سـألونى لم لم أرث أبى ورثـاء الاب دين اى دين

صفحة

١٥٧ مصطفى كامل باشا ، مطلعها :

المشرقان عليـــك ينتحبـــان قاصيهمـــا فى مـــأتم والدانى

١٦١ حسن بك أنور ، مطلعها :

تســـائلنى (كرمتى) بالنهـــار وبالليل : أين سميرى (حســن) ؟

١٦٣ أم المحسنين ، مطلعها :

اخـــذت تعشك مصر باليمـــين وحـــوته من يـــد الروح الامـــين

١٦٦ الدكتور أحمد فؤاد ، مطلعها :

أوحت لطرفك فاستهل شـــئونا دار مـــررت بهـــا على قيســـونا

١٦٩ نجل امام اليمن ، مطلعها :

مضى الدهـــر بابن امام اليمن وأودى بزين شـــباب الزمـــن

١٧٢ عبدالله بك الطوير ، مطلعها :

ياقلب ويحـــك والمـــودة ذمـــة ماذا صـــنعت بعهـــد عبد الله

١٧٤ سعد باشا زغلول ، مطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليهـــا فبكاها

١٨٠ الشاعر الموسيقى فردى، مطلعها

فتى العقل والنغمـــة العالية مضى ومحاســـنه باقيـــة

١٨١ اسماعيل أباظه باشا ، مطلعها :

سقى الله بالكفر الاباظى مضجعا تضوع كافورا من الخـــلد ساريا

١٨٤ على بهجت بك ، مطلعها :

أحـــق انهم دفنـــوا عليـــا وحطوا فى الثرى المـــرء الزكيـــا